التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب

سورة آل عمران

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي



دار السنة









التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة آل عمران

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي




بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م



* دار السنة للنشر والتوزيع *
الخبر ص.ب ٣٠٧٤٤ الرمز البريدي ٣١٩٥٢
هاتف وفاكس ٨٩٤٦٧٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

• ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

• ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا** ﴾ [النساء: ١] .

• ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد :

فإن من جزيل نعم الله عز وجل وعظيم عطائه وتمام منته- بعد أن يوفق

العبد للإسلام والإيمان ؛ أن يرزقه الله سبحانه وتعالى الاستقامة على الهدى، ويأخذ بيده إلى الفقه في الدين، ذلكم الفقه الذي مادته العظمى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فقد قال سبحانه : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وقال عليه السلام : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** »(١)، وقال عليه السلام : « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** »(٢).

فنحمد الله سبحانه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على أن رزقنا الإسلام وجعلنا مسلمين ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ووالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا .

ونشكره سبحانه وتعالى على أن أورثنا الكتاب ، ونسأله عز وجل أن يجعلنا من المصطفين الأخيار ، السابقين بالخيرات ، الفائزين بأعلى الدرجات في الجنات العلى والنعيم المقيم .

ونشكره سبحانه آناء الليل وأطراف النهار شكرًا يرضى به عنا ، ويورثنا به الجنان، ويجيرنا به من النيران، ويكسونا به الحلل، ويسكننا به الغرف، ويظلل علينا به الظلل يوم لا ظل إلا ظله، على أن وفقنا ووجهنا للفقه في الدين، وسلك بنا طريق نبينا الأمين، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، وأرشدنا إلى نهج سلفنا القويم من الصحابة والتابعين، ومن سار على هديهم واتبع سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين ، ونسأله سبحانه المزيد من العلم والإيمان والثبات حتى الممات .

هذا، وقد هدانا الله سبحانه وتعالى إلى صياغة تفسير الكتاب العزيز في

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٧٤) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

صورة أسئلة مع أجوبتها ، وطرح السؤال والإجابة عليه له أصوله من سنة رسول الله ﷺ ، بل من كتاب الله عز وجل[1]، ثم هي طريقة تشحذُ الهمم وتلفتُ النظر وتُعمل الفكر بإذن الله تعالى ، وتشوِّق لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة ، فتكون وسيلة بإذنه سبحانه إلى مزيد من التفكر والتدبر اللذين أمرنا بهما ربنا عز وجل ، قال الله سبحانه : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ [صٓ : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] ، وقال سبحانه : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] .

ثم هي وسيلة إلى تعلم كتاب الله والتفقه فيه والاطلاع على تأويله ، وبيان مجمله وإيضاح متشابهه ، والنظر في عبره والاعتبار بقصصه، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المنتفعين بذلك كله ، وأن يورثنا علم ما جهلنا ، وأن

---

(١) قال الله عز وجل : ﴿ **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ [الأنعام : ١٩]، وقد سأل النبي ﷺ أصحابه جملة أسئلة وأجاب لهم عن بعضها، وأجابوا هم عن البعض الآخر ، قال عليه الصلاة والسلام : « **إن من الشجر شجرة مثلها مثل المؤمن أخبروني ما هي ...** » الحديث، وفيه: أن النبي ﷺ قال : « **هي النخلة** » .

وسأل النبي ﷺ أبي بن كعب فقال : « **يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم** » قال : قال : ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم ..** ﴾ آية الكرسي ، فقال له النبي ﷺ : « **ليهنك العلم أبا المنذر** » .

وهذا في الصحيح وفي غيره ، وكذلك في صحيح مسلم سؤال جبريل لرسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وإجابة النبي ﷺ وقوله عليه السلام : « **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** » .

ينفعنا بما علمنا، ويجعله حجة لنا لا علينا .

هذا، وقد عزمت – والله المستعان – على تفسير الكتاب العزيز كله في صورة أسئلة مع أجوبتها ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأسأله سبحانه العون والسداد ، وأسميت هذا المشروع (التسهيل لتأويل التنزيل أو تفسير القرآن في سؤال وجواب) ، وقد رأيت أن أقدم ذلك بسورة آل عمران مع أنني أرى أنه من الأليق أن يتقدمها أسئلة كمقدمة عامة عن التفسير مع أجوبتها ثم فاتحة الكتاب وسورة البقرة ، ثم آل عمران ، ولكنني أرجأت أسئلة المقدمة إلى وقت متأخر حتى يكون النفع فيها أكبر بعد مروري على أكبر قدرٍ ممكن من التفاسير ، ولما أقدمت على تفسير الفاتحة والبقرة وجدت أن سورة البقرة قد حوت جملة من الأحكام الفقهية الكبرى ، التي تحتاج إلى مجهود ضخم لتحرير النزاع فيها ، ووضع السؤال مع إجابته التي حوت الحكم النهائي في المسألة باختصار ، وذلك تطلب مني مجهودًا كبيرًا ، وقد أتيت على أكثر هذه المواطن ، ولم يعد إلا القليل والحمد لله ، فمن أمثلة المباحث الفقهية الواردة فيها : أبواب النكاح، والطلاق، والأيمان والنذور، وآيات الربا، والدين، والحج، والصيام، والصلاة، و ... إلى غير ذلك ، فطرح السؤال مع التركيز على الإجابة واختصارها بدليلها الشرعي من كتاب أو سنة مع البعد عن التقليد يحتاج إلى وقت، أسأل الله أن ييسره لنا ويحفظنا بحفظه نحن والمسلمين والمسلمات .

فلذلك رأيت ألا يُعطل العمل فبادرت بإخراج تفسير سورة آل عمران في صورة أسئلة مع أجوبتها كنموذج لهذا العمل، أسأل الله أن يجعله مباركًا خالصًا لوجهه، نافعًا لقارئه وكاتبه ، وإن شاء الله لن نُعدم خيرًا من نصح العلماء وطلاب العلم والأخيار والفضلاء، حفظنا الله وإياهم ، فعلى ضوئها وضوء ما يُستجد ، وبتوفيق الله أولًا وآخرًا ؛ نمضي قدمًا لإتمام هذا المشروع الميمون بإذن الله .

هذا ، وقد قمت بتغطية هذه السورة الكريمة بما يزيد عن الخمسمائة سؤال مع جوابه، راجيًا من الله عز وجل القبول والنفع لي ولإخواني المسلمين ولأخواتي المسلمات في الدارين .

أما عن الخطة العامة لهذا العمل على وجه السرعة فتتمثل في الآتي باختصار .

● إذا كانت هناك آية تُفسر بها آية أخرى أوردت الآية المُفسِّرة للآية التي تناولناها بالتفسير .

● الاعتماد على ما صح من حديث رسول الله ﷺ وترك الضعيف ، بل ولا نكاد نورد حديثًا ضعيفًا إلا لبيان ضعفه ، وما فيه من علل ، وإن كنت لم أتوسع في هذا الكتاب المبارك في شرح علل الحديث، إنما أشير إلى ما به من علة إشارة خفيفة فقط، إذ ليس بيان علل الحديث باستفاضة من شأن هذا الكتاب بالدرجة الأولى .

وكذلك بالنسبة للآثار التي أوردها في هذا الكتاب وأنسبها إلى قائليها فأتحرى الصحة فيها، ولا أورد إلا أثرًا صحيحًا معزوًّا إلى مخرجه، هذا إذا كان الإيراد من إنشائي، أما إذا كنت أورد أقوال بعض أهل العلم ،وفي ثناياها حديث أو أثر فأتحرى وأجتهد في الحكم عليه قدر استطاعتي ، وما توفيقي إلا بالله ، ولا حول ولا قوة لي إلا به سبحانه وتعالى .

● البعد عن الإسرائيليات قدر الاستطاعة .

● بيان معاني الجمل والكلمات والعبارات .

● قد تتعدد معاني الكلمة الواحدة فأورد من معانيها ما يقتضيه المقام ، وما يطبق عليه أكثر المفسرين ، إلا إذا رجحت شيئًا فيكون الترجيح بدليله .

فمثلًا كلمة (السيئة) تتعدد معانيها، فتأتي السيئة أحيانًا بمعنى

الشرك[1]، كما في قوله تعالى : ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ [البقرة : ٨١]، وتأتي أحيانًا بمعنى الكبيرة، كما في قوله تعالى عن قوم لوط : ﴿ **ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ﴾ [هود : ٧٨] ، وتأتي أحيانًا بمعنى الصغائر من الذنوب كما في قوله تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُّدخلًا كريمًا** ﴾ [النساء: ٣١]. فيختار من معانيها ما يستدعيه المقام ويقتضيه الحال.

● أحاول في هذا الكتاب – في كثير من الأحيان – جمع المرويات في الباب الواحد من سنة رسول الله ﷺ ، وكذلك من آيات الكتاب العزيز حتى يكتمل للشخص موضوع ما من الموضوعات ، فمثلًا إذا أراد شخص ما أن يستفيد في خطبة يلقيها مُذكرًا بها الناس أو واعظًا لهم بها فيجد مادة ثمينة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة ، وهذا هو الباقي النافع الذي يمكث في الأرض .

وقد لا يجد الشخص استقصاء الموضوع في موطنٍ يظن أنه بابه ، ولكننا نكون قد أوردنا ما يتعلق به في باب آخر نرى أنه به ألصق وموطنه هناك به أشبه .

● قد أذكر – في بعض الأحيان – تفسير الآية مضمنًا في سؤال، ويكون في الإجابة ترسيخ لمعناه ومزيد إيضاح لمحتواه .

● أعمد في كثير من الأحيان لدفع الإشكالات التي قد تعترض شخصًا ما أثناء نظره في التفسير ، فيظن مثلًا أن آية تعارض آية أخرى في معناها ، فأحاول جاهدًا دفع مثل هذه الإشكالات بما دفعه به أكثر أهل العلم المتقدمين .

● بالنسبة لأسباب النزول فالمطلع على كتب التفاسير يرى أن المفسرين

---

(١) كما في قول لبعض العلماء وسيأتي في محله إن شاء الله .

قد أكثروا في هذا الباب من القول أن آية كذا نزلت في كذا وكذا .. ولا يثبت من أسباب النزول هذه إلا النزر اليسير بالسند الصحيح ، فلذلك ترانا مقتصدين في هذا الباب اقتصادًا زائدًا، مقتصرين على الثابت الصحيح منها .

● بالنسبة لتخريج الأحاديث والآثار في هذا الكتاب؛ فما دام الحديث ثابتًا صحيحًا ، فإذا كان في الصحيحين وغيرهما اقتصرت في العزو على الصحيحين اختصارًا للوقت والجهد ، أما إذا كان في غير الصحيحين فأعزوه إلى مصدرين أو ثلاثة مع بيان درجته من الصحة أو الحسن ، وإذا كان ثمَّ ضعف بينته على وجه السرعة والاختصار .

● حاولت - قدر استطاعتي - الاستفادة من جل كتب التفاسير فثمَّ تفسير همته سياق الأحاديث والآثار بأسانيدها مع بيان مراد الرب سبحانه وتعالى من كلامه ، والله أعلم بمراده ، وثمَّ تفسير آخر همته إيراد المرويات عن رسول الله في الباب الواحد ، وثمَّ تفسير يثير قضايا فقهية وعقائدية ، وثمَّ تفسير يناقش اللغويات و ... إلى غير ذلك فآخذ من كلٍّ منها ما يستدعيه الحال ويقتضيه المقام وأرى فيه نفعًا فأورده ، وما توفيقي إلا بالله .

● راعيت - بفضل الله - الخطوط العامة لأهل السنة والجماعة في التفسير فلزمتها ولله الحمد ، وانصرفت عن طريقة أهل الكلام والجدل الذي لا فائدة من ورائه إلا إضاعة الوقت وتبديد الجهد .

● أعرضت عن قضايا يثيرها عدد من المفسرين لا طائل تحتها .

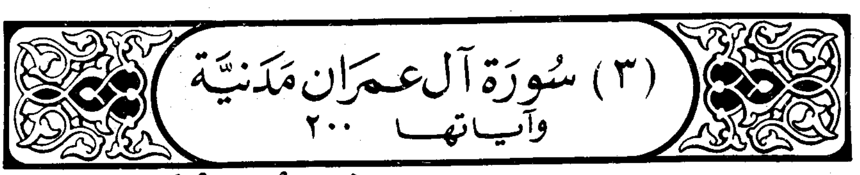
هذا وإلى الأسئلة مع أجوبتها أسأل الله التوفيق والعون والسداد .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو عبد الله/ مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية - منية سمنود



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ
هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ
شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ
تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ

كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ
ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ
حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

س : على من أنزلت هذه الكتب : التوراة – الإنجيل – الزبور ؟

ج : نزلت التوراة على موسى عليه السلام .

ونزل الإنجيل على عيسى عليه السلام .

ونزل الزبور على داود عليه السلام .

❋ ❋ ❋

س : هل من كُتبٍ أخرى ذُكرت في الكتاب العزيز غير هذه ؟

ج : ذُكرت كتب في الكتاب العزيز كما قال سبحانه : ﴿ ... إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى : ١٨ – ١٩] .

وذكرت الألواح كما في قوله تعالى : ﴿ ... وألقى الألواح ﴾ [الأعراف : ١٥٠]، ومن أهل العلم من قال : إن الألواح وصحف موسى والتوراة شيء واحد ومنهم من فرَّق . والله أعلم .

وثم كتب أخرى ذُكرت جملةً كما في قوله تعالى : ﴿ ...وإنه لفي زُبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٦] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ في قوله تعالى : ﴿ نـزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه ﴾ [آل عمران : ٣] ؟

ج : معنى ذلك – والله أعلم – أن القرآن نزل مصدقًا لما تقدمه من كتب، فالكتب التي نزلت من عند الله أخبرت بأمور، منها خروج رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال

التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وكان في الكتب المتقدمة - أيضًا - تحليلٌ لبعض الأشياء وتحريم للبعض الآخر، فأخبر الله في القرآن الكريم بما كان فيها من تحليل وتحريم .

فجاء الكتاب العزيز (القرآن الكريم) مصدقًا للكتب السابقة من هذا الباب . والله أعلم .

***

س : الهداية على نوعين اذكرهما مع أدلتهما ؟

ج : الهداية تأتي بمعنى الدلالة كما في قوله تعالى :﴿ ..وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢]، وكقوله تعالى : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] .

● أما الهداية بالمعنى الآخر فهي هداية التوفيق كما في قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦]، وكما في قوله تعالى ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ﴾ [النمل : ٨١] .

***

س : ما هو وجه الربط بين الآية الكريمة ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : ٢] والآية التي تليها ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ [آل عمران : ٣] ؟

ج : وجه الربط ظاهر ، ألا وهو : إن معنى الحي : الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا ، والقيوم : القائم بنفسه والمقيم لأمر غيره، فلا قوام لغيره إلا به كما قال سبحانه :﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ [الروم : ٢٥]، وهو سبحانه الذي يقيم خلقه وأحوالهم وأرزاقهم وسائر معايشهم كما

قال النبي ﷺ : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن .. »[1]، ومن توابع ذلك أنه سبحانه نزل على عبده الكتاب بالحق .. وأنزل التوراة والإنجيل من قبل .. ، وذلك حتى تقام للناس حوائجهم وتستنير للناس بصائرهم ، ويُرشدون إلى كل خيرٍ وصلاح .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفرقان في قوله تعالى : ﴿ ... وأنزل الفرقان ﴾[2] [آل عمران : ٤] ؟

ج : الفرقان يأتي بمعان متعددة في الكتاب العزيز – شأنه في ذلك شأن كثيرٍ من اصطلاحات الكتاب العزيز – من هذه المعاني :

● الفرقان : بمعنى القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● الفرقان : ما يفرَّق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد، كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرًا للمتقين ﴾ [الأنبياء : ٤٨] وهنا يطلق أيضًا على التوراة ، وكقوله تعالى : ﴿ .. إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

● الفرقان : يوم بدر لقوله تعالى : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ [الأنفال : ٤١] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣) ، ومسلم (مع النووي ٥٤/٦) ، وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري (٦٥٦٢) بإسناد حسن إلى قتادة ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ : هو القرآن أنزله على محمد وفرق به بين الحق والباطل فأحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه ، وحدَّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، وبيَّن فيه بيانه ، وأمر بطاعته ونهى عن معصيته .

والناظر إلى هذه المعاني يرى أنها ترجع إلى معنى واحد، وهو ما يفرَّق به بين الحق والباطل ، فالقرآن يُفرَّق به بين الحق والباطل ، وكذلك يوم بدر ، وكذلك التوراة .

● ولكن الذي يظهر لي أن المراد بالفرقان في آية آل عمران هو الزبور ؛ وذلك لأن الله جل ذكره ذكر الثلاث كتب فقال : ﴿ نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ [آل عمران : ٢-٣]، ثم قال : ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ فانتظمت الآيات الكريمة أربعة كتب: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور[1]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ [آل عمران : ٦] إيراد قويٌّ جيد على النصارى فما هو ؟ وما المراد بقوله تعالى : ﴿ يصوِّركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ ؟

ج : وجه هذا الإيراد أن عيسى عليه الصلاة والسلام صوَّره الله في بطن مريم عليها السلام كما شاء الله سبحانه، فتقلب عيسى عليه السلام في الخلق ولا يعقل أن ربًّا تحويه بطن أمٍّ؛ إذ كيف يكون إلهٌ يحكم السموات والأرض داخل بطن امرأة؟!!

أما المراد بقوله تعالى : ﴿ يصوِّركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ فالمعنى - والله أعلم - أنه سبحانه يصور الناس في بطون أمهاتهم هذا أبيض وهذا أسود ، وهذا أحمر وهذا أصفر ، وهذا طويل وهذا قصير ، وهذا ذكي وهذا غبي ، وهذا ذكر وهذه أنثى ، وهذا جميل وهذا دميم و ...

❋ ❋ ❋

---

(١) هذا مع أن هناك كثيرًا من المفسرين ذهب إلى أن المراد بالفرقان هنا هو القرآن أيضًا ، وذهب بعضهم إلى أنه الزبور ، وذهب بعضهم إلى أنه ما يُفرَّق به بين الحق والباطل كما قدمنا ، والله أعلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات .. ﴾ [آل عمران : ٧] ؟

ج : لأهل العلم أقوال في المراد بالآيات المحكمات والمراد بالمتشابهات نورد منها ما يلي :

أ - منهم من يقول : إن المحكمات هي آيات الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، والمتشابهات هي آيات الأمثال ونحوها .

٢ - القول الثاني : إن المحكمات هي التي لم تُنسخ ، والمتشابهات هي المنسوخة[١] .

٣ - القول الثالث : إن المحكمات هي ما علم الناس تأويله ، والمتشابهات ما لم يعلمه الناس كوقت الساعة وخروج يأجوج ومأجوج مثلًا ونحو ذلك .

● وهذا وثَمَّ أقوال أُخر في هذا الباب .

والذي يظهر لي - والعلم عند الله تعالى - أن المراد بالمحكمات هن الآيات الواضحات البينات اللاتي لم تنسخ ،وهي أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه والاختلاف[٢]، وهي آيات يعلمها وتأويلها أكثر الناس ، أما الآيات المتشابهات فهي التي تحمل جملة معان وتشتبه معانيها على كثير من الناس ، وهذا كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : « الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ وبينهما مُشبهات[٣] لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن

---

(١) وهذا القول مروي عن قتادة عند الطبري (٦٥٧٧) بإسناد حسن .
(٢) إن ظهر لأحد اختلاف في شيء .
(٣) وفي رواية : (مشتبهات) .

يواقعه ... » الحديث[1] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : مثّل للآيات المحكمات بأمثلة ، وكذا للمتشابهات ، وكيف يتبع الذين في قلوبهم زيغ المتشابه ويتركون المحكم ؟

ج : ذكر عدد من أهل العلم أمثلة للآيات المحكمات منها :

● قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ... ﴾ الآية [الأنعام : ١٥١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ... ﴾ السورة [الصمد : ١ - ٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى ﴾ [طه : ٨٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] .

●● أما المتشابه فمن أمثلته قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ .. وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١] .

والحروف المقطعة التي بدأت بها بعض السُّور .

● أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم ، فالنصارى - مثلًا - يتبعون قوله تعالى في شأن عيسى : ﴿ وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١]، ويتركون قوله تعالى : ﴿ إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢ ، ٢٠٥١) ، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا .

إسرائيل ﴾ [الزخرف : ٥٩] ، ويتركون قوله تعالى– أيضًا–: ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ﴾ [النساء : ١٧٢]، وقوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

والذين في قلوبهم زيغ من الخوارج مثلًا يتبعون قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، ويتركون قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] .

❋ ❋ ❋

س : قد يكون القرآن كله محكمًا باعتبار ، ويكون كله متشابهًا باعتبار آخر ، وضح ذلك ؟

ج : نعم قد يكون ذلك ، وقال الله سبحانه : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فُصِّلَتْ ﴾ [هود : ١]، فالقرآن كله محكم من ناحية نظمه ووصفه وإتقانه.

وكله متشابه كما قال تعالى: ﴿ الله نزَّل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثانى ... ﴾ [الزمر : ٢٣] فهو متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحسن ويصدق بعضه بعضًا .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لم يأت القرآن الكريم كله محكم ؟

ج : الله سبحانه وتعالى أعلم بذلك ، ثم إن بعض أهل العلم ذكروا من فوائد إيراد المتشابه: امتحان قلوب العباد في التصديق، وبيان فضيلة الراسخين في العلم ؛ إذ يقولون عند ورود المتشابه : آمنا به كلٌّ من عند ربنا ، وإثابة المجتهدين للوصول إلى الحق على اجتهادهم ، وإعمال العقل في تدبر آيات الكتاب العزيز ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التأويل ؟

ج : التأويل يطلق على أشياء منها :

١ – حقيقة الأمر التي يؤول إليها كما في قول يوسف عليه السلام : ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ [يوسف : ١٠٠]، وكقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، وكقوله تعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ [يونس : ٣٩] .

وأصل ذلك من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع . وهذا الغالب في الكتاب العزيز .

٢ – التفسير والبيان :

ومنه قول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل »[١] .

● ومنه قول الملأ : ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ [يوسف : ٤٤] فمحتمله بتفسير الأحلام .

● ومنه أيضًا أقوال العلماء كالطبري رحمه الله إذ يقول : القول في تأويل قول الله عز وجل ...

● ومنه قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »[٢] يتأول القرآن أي : يمتثله ويعمل به ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣٢٨) بإسناد حسن وسيأتي قريبًا إن شاء الله .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (٤/٢٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

٣ – صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لقرينة تدل على ذلك[١] .

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٢٣٤/١) : وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدةٍ من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح .

الأولى : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليلٍ صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك ، وهذا هو التأويل المسمى عندهم بالتأويل الصحيح ، والتأويل القريب كقوله ﷺ الثابت في الصحيح : « الجار أحق بصقبه »[٢] فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار ، وحمل الجار في هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حملٌ له على محتمل مرجوح ، إلا أنه دل عليه الحديث الصحيح المصرح بأنه إذا صرفت الطرق وضربت الحدود فلا شفعة .

الحالة الثانية : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمرٍ يظنه الصارف دليلًا وليس بدليل في نفس الأمر ، وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الفاسد والتأويل البعيد، ومثَّل له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – المرأة في قوله ﷺ : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل »[٣] على المكاتبة والصغيرة ، وحمله أيضًا المسكين في قوله

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان ٢٣٤/١) : معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك .

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٥٨) ، (٦٩٧٧) من حديث أبي رافع رضي الله عنه مرفوعًا ، (وروي بالسين في قوله سقبه) ، ويطلق السقب على القرب والملاصقة .

(٣) أخرجه أحمد (١٦٥/٦) ، وأبو داود (٢٠٨٣) ، (٢٠٨٤) بإسناد صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها وله شواهد ، وانظر (كتابنا الصحيح المسند من أحكام النكاح) .

تعالى : ﴿ ستين مسكينًا ﴾ على المد فأجاز إعطاء ستين مُدًّا لمسكين واحد .

الحالة الثالثة : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلًا ، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعبًا ، كقول بعض الشيعة : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] يعني : عائشة رضي الله عنها .

قلت : ولمزيد بحثٍ حول معنى التأويل انظر محاسن التأويل للقاسمي رحمه الله، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : كيف يتأتى الرسوخ في العلم ؟

ج : يتأتى ذلك بأمور : أولها وآخرها توفيق الله عز وجل ، ثم بعد ذلك أمور منها :

● سؤال الله عز وجل ذلك، فقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● تقوى الله عز وجل ، فالله سبحانه يقول : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣] .

● العمل الجاد الدءوب؛ لتحصيل العلم الشرعي فهو نوع جهاد ، والله سبحانه يقول : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما : مع دعاء رسول الله ﷺ له بقوله : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »(١) يقف

(١) تقدم بيان أن إسناده حسن ، وسيأتي إن شاء الله .

على أبواب الصحابة (كجابر بن عبد الله رضي الله عنهما) في الليلة الباردة شديدة البرد تسفي الرياحُ الرمالَ على وجهه من أجل البحث عن الفقه في الدين[(١)] .

• التواضع في طلب العلم ، فلن ينال العلم مستحى ولا مستكبر ، كما قال قائل السلف رحمهم الله تعالى ، وهذا نبي الله موسى عليه السلام – رغم فضله وتكليم الله له – يذهب إلى الخضر عليه السلام قائلًا له : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا ﴾ [الكهف : ٦٦] .

وهنا تشرع الرحلة في طلب العلم ، كما كان الشأن في سلفنا رحمهم الله عز وجل .

• التركيز على مصادر العلم الصحيحة (وهي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة) فالآية يراجع تفسيرها وينظر في أقوال أهل العلم من المفسرين من أهل السنة والجماعة فيها ، وتحقق الآثار الواردة على الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تفسيرها ، وكذلك حديث رسول الله ﷺ ، تجمع طرقه وينظر في أسانيدها وأقول العلماء فيه تصحيحًا أو تضعيفًا ، وكذلك أقوال أهل علل الحديث فيه هل أعلُّوه أم صححوه ، وأقوال أهل الفقه فيه وتصحيح نسبة هذه الأقوال إلى قائليها من صحابي أو تابعي أو من بعده وترجيح ما يقتضي الدليل ترجيحه ، والاستئناس بأقوال أهل العلم المعاصرين بعد ذلك ، فقد قال الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [الأنبياء : ٧] .

وبالله تعالى التوفيق ومنه يستمدُّ العون والسداد .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٩٢٥) بإسناد صحيح ، وسيأتي إن شاء الله .

وثمَّ أمور أخر مبسوطة في محالها .

* * *

س : هل الوقف في قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون[1] في العلم يقولون آمنا ﴾ [آل عمران : ٧] عند قوله تعالى : ﴿ إلا الله ﴾ أم إلى قوله تعالى : ﴿ إلا الله والراسخون في العلم ﴾ ؟

ج : جمهور العلماء على أن الوقف عند لفظ الجلالة أي : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ وقليل منهم من يرى الوقف عند العلم .

* * *

س : إذا كان الوقف عند قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ [آل عمران : ٧] **فما فضيلة الراسخين في العلم إذن ؟!!**

ج : فضيلتهم أن علمهم حملهم على الإيمان عند ورود المتشابه فيقولون : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ فإنهم – إن أشكل عليهم شيء في كتاب الله لا يتذبذبون ولا يتشككون بل هم مؤمنون في كل حال مستيقنون عند كل مقال يرد إليهم من الكبير المتعال ، لا تعتريهم الشكوك ولا تجرفهم الشبهات ، يعلمون أن ما قاله الله صدق ، وما وعد به حق ، وما قضى به عدل .

* * *

س : هل من وجه آخر في الوقف في هذه الآية الكريمة ؟

ج : نعم ، فهناك قليل من أهل العلم رأى أن الوقف عند قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ وحمل قوله تعالى :

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى مسروق أنه قال : (لقيت زيدًا فوجدته من الراسخين في العلم) (التفسير ١٣٢) .

﴿ يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ على أنها جملة حالية .

***

س : إذا ذُكر قولٌ في القرآن الكريم منسوب لقائلٍ معين فهل الأصح أن يقال : قال فلان (لهذا المعين) أو يقال : قال الله سبحانه حكاية عن فلان ؟ بمعنى أنه ورد في الكتاب العزيز مثلًا ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به ... ﴾ [آل عمران : ٧] هل الأصح أن يقال في الخطب والإنشاءات وغيرها (مما لم يكن تلاوة) قالَ الراسخون في العلم آمنا به أو يقال : قال الله حكاية عن الراسخين في العلم ؟ أو كمثال آخر في كتاب الله أن يوسف قال لإخوته . ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ [يوسف : ٩٢] هل الأصح عند حكاية ذلك أن نقول : قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ أو يقال : قال الله حكاية عن يوسف ؟

ج : الأصح في ذلك - والله أعلم - أن يقال : قال فلان (المعين) مباشرة بدون قول قال الله حكاية عن فلان ، فالأصح أن يقال - مما سبق - : قال الراسخون في العلم ، قال يوسف ، مباشرة .

وشواهد ذلك قول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : ... ولا أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف : ﴿ فصبر جميل ﴾ [يوسف : ١٨، ٨٣] ولم تقل : قال الله حكاية عن أبي يوسف[1].

وشاهد آخر : قول النبي ﷺ : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] »[2].

---

(١) ورد ذلك في حديث الإفك في البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٣٧) ، ومسلم (حديث ١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وشاهد ثالث : قول النبي ﷺ : « فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم .. ﴾ »[1] .

وشاهد رابع : قول النبي ﷺ لأصحابه[2]: « ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] » ، والله أعلم .

***

س : في قول الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [آل عمران: ٨] نوعُ توسلٍ فما هو؟ وهل لهذا نظير في كتاب الله؟

ج : هو توسل بسابق إحسان الله عزَّ وجل إليهم ، فكأنهم قالوا : يا ربنا ! يا من تفضلت علينا بالهداية !! لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية .

● ونظيره في كتاب الله : قول زكريا عليه السلام : ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيًّا ﴾ [مريم : ٤] فكأنه قال – قبل أن يُقدِّم دعوته بطلب الولد من الله سبحانه وتعالى-: يا رب يا من لم تجعلني شقيًّا بالرد والحرمان من قبل ، يا رب كل ما سألتك أعطيتني ومن الخيرات منحتني ، هذا يا رب ظني بك أنك لا تخيب الدعاء ، فيا رب هب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب .

وهذا نوع حسن جميل من أنواع التوسل ، ولله المثل الأعلى .

فإنك إذا ذهبت إلى رجل تطلب منه ألف جنيهٍ – مثلًا – فأعطاك ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٥) ، ومسلم (ص٢١٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦) ، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

ثم أتيته في العام القادم تسأله ألفًا أخرى فقال لك : من أنت ، قلت : أنا الذي أعطيتني العام الماضي ألف جنيه ، فيعلم هذا الرجل حينئذ أنك من نوع لا يجحد المعروف ولا ينكر الإحسان ، بل أنت من الشاكرين للمعروف الذاكرين للإحسان ؛ فيعطيك ولا يتردد في غالب الأحوال ، وشواهد ذلك من التنزيل ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [إبراهيم : ٧] .

***

س : من هو الصحابي الذي دعا النبي ﷺ له وقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » ؟ وأين يوجد هذا الحديث ؟ وما مناسبته ؟ اذكر طرفًا من فضل هذا الصحابي الكريم رضي الله عنه ؟

ج : الصحابي هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ومناسبة ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فوضَعْتُ له وضوءًا من الليل قال : فقالت ميمونة : يا رسول الله : وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل »(١).

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما في غاية الحرص على طلب العلم – مع دعاء رسول الله ﷺ له – فقد قال رضي الله عنه : لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ ، فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك

---

(١) أخرجه أحمد (المسند ٣٢٨/١) بإسناد حسن ، وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علمه الحكمة » ، وفي رواية للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعتُ له وَضوءًا قال : « من وضع هذا ؟ » فأخبر فقال : « اللهم فقهه في الدين » .

وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ؟ فترك ذلك ، وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[1] فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ، قال : فبقي حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال : كان هذا الفتى أعقل مني[2].

وكان أمير المؤمنين عمر يدخله مع أشياخ بدر[3]، وأثنى عليه ابن مسعود فقال : (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)[4]، وقال أيضًا : (لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل)[5].

وأثنى عليه التابعون فقال مجاهد : (كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه نورًا)[6].

● وقال شقيق : كان ابن عباس على الموسم فخطب فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ثم يُفسر ، فقال شيخ من الحي : سبحان الله ما رأيت كلامًا يخرج من رأس رجل لو سمعته الترك لأسلمت[7].

---

(١) أي : وقت القيلولة .

(٢) صحيح أخرجه أحمد في الفضائل (١٩٢٥) ، والدارمي في السنن (١/١٤١ – ١٤٢) ، والطبراني في الكبير (١٠٥٩٢) .

(٣) كما ثبت ذلك في البخاري (٤٩٧٠) .

(٤) أخرجه أحمد في الفضائل (١٨٦٣) ، وابن أبي شيبة (المصنف ١٢٢٦٩) بسند صحيح .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٢٦٨) في المصنف بسند صحيح .

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد (زوائد فضائل الصحابة ١٩٣٥) بسند صحيح .

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد (زوائد فضائل الصحابة ١٩٣٤) بسند صحيح ، والحاكم (٣/٥٣٧) ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

هذا ، وقد أثنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على نفسه ، فورد من طريق ابن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس : إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال : إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها ، وإني لأسمع بالحكم من حكام من المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلّي لا أقاضي إليه أبدًا ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة[(١)] .

* * *

س : هل من صحابي آخر أُوتي علمًا واسعًا في التفسير ؟ اذكره مع شيءٍ من فضله ؟

ج : نعم ، فهناك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال عن نفسه : والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلمُ أين أُنزلت ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلُغُه الإبل لركبت إليه[(٢)] .

وقال عبد الرحمن بن يزيد : سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلًّا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد[(٣)] .

* * *

س : كيف تجمع بين قول الله تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] وبين قوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على

---

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٠٦٢١) من حديث ابن بريدة الأسلمي بسند صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٠٢) ، ومسلم (٢٤٦٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٢) .

بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ؟

ج : الجمع بين هذا وذاك أن هذا يكون في موطنٍ ، وذاك يكون في موطن آخر ، فمواقف القيامة تتعدد في يومٍ عند ربك كألف سنة مما تعدون ، وهذا مقتضى رأي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق المنهال[1] عن سعيد قال : قال رجلٌ لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ ، قال : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، و ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ، ﴿ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ [النساء : ٤٢] ، ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾[2] [الأنعام : ٢٣] . فقد كتموا في هذه الآية ، وقال : ﴿ أم السماء بناها – إلى قوله – دحاها ﴾ [النازعات : ٢٧ – ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال : ﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين – إلى – طائعين ﴾ [فصلت : ٩ – ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى : ﴿ وكان الله غفورًا رحيمًا [النساء: ٩٦]– عزيزًا حكيمًا – [النساء : ٥٦] سميعًا بصيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] فكأنه كان ثم مضى فقال : ﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور ﴿ فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ [الزمر : ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة ﴿ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ ، وأما قوله : ﴿ ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ ولا يكتمون الله ﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول لم نكن مشركين ، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عُرف أن الله لا يكتم حديثًا وعنده ﴿ يود الذين

---

(١) وصله البخاري– رحمه الله– بعد إيراد الحديث، وذلك (مع الفتح ٨/٥٥٥ – ٥٥٦) .

(٢) في الأصل ﴿ ربنا ما كنا مشركين ﴾ والتصويب من الآية .

كفروا ﴾ الآية [النساء : ٤٢] ، وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ودَحوُها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله : ﴿ دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] ، وقوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ [فصلت : ٩] فجُعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين، وكان الله غفورًا رحيمًا سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يُرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلًّا من عند الله .

* * *

س : شخص من الذين في قلوبهم زيغ – بل في قلوبهم كفر – بل المختوم على قلوبهم من الألمان ناقش مسلمًا فقال له ما أصح كتاب في السُّنةِ عندكم ؟ فأجابه قائلًا : هو صحيح البخاري . فقال الآخر متهكمًا : إذن دينكم يدعو إلى التخلف ! قال له المسلم : ولمَ ؟ قال : عندكم في هذا الصحيح حديث أبي أمامة الباهلي قال – ورأى سكة وشيئًا من آلة الحرث فقال –: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخُل هذا بيت قومٍ إلا أدخله الله الذل »[1]، فبم ترى المسلم يجيب ؟

ج : هذا الحديث فقهه ومعناه على عكس ما فهمه هذا الألماني الغبي تمامًا ، وذلك أن معنى الحديث – والعلم عند الله تبارك وتعالى –: أن المسلم إذا اشتغل بالحرث وآلاته والزراعة وأدواتها وترك أعمال القتال وأدواته من طائرات ودبابات وصواريخ ومدمرات وسائر أدوات القتال ؛ تسلط عليه عدوه وأنزل به الذل والصغار ، أما إذا اشتغل المسلم بأدوات القتل والقتال

(١) الحديث أخرجه البخاري (٢٣٢١) من حَديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعًا .

(ولم يضيع آلات الحرث) فإن عدوه سيهابه كما قال الله عز وجل : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وثمَّ أوجه أُخر لتوجيه الحديث ، والله أعلم .

ثم إن ديننا يدعو إلى تعمير الأرض لا إلى تخريبها ، فقد قال النبي ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[(١)].

● وقال النبي ﷺ : « من أعمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق بها »[(٢)].

● وقال النبي ﷺ : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها »[(٣)].

● وقال النبي ﷺ : « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل »[(٤)].

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقف المسلم عند سماع آية من المتشابه من الكتاب العزيز ؟

ج : عليه أن يقول ابتداءً كما قال الراسخون في العلم : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ [آل عمران : ٧] ، ثم يسأل أهل الذكر لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧]، وعليه أن يحذر من الذين يتبعون هذا المتشابه لقول النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٣٩) .
(٤) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (١٩١/٣) ، (١٨٣/٦ - ١٨٤) .

لعائشة رضي الله عنها : « إذا رأيت الرجل يتبع المتشابه ويترك المحكم ، فأولئك الذين سمى الله عز وجل فاحذروهم »[1].

وفي الباب أيضًا حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون فقال : « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوا به ، وما جهلتم فكِلُوه إلى عالمه »[2].

* * *

(١) صحيح ، وسيأتي قريبًا إن شاء الله .

(٢) هذا الحديث رواه عبد الرزاق (المصنف ٢١٦/١١)، ومن طريقه أحمد بن حنبل (المسند ١٨٥/٢) من طريق معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون في القرآن فقال : « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوه ، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه » .

وهذا إسناد حسن .

وقد رواه ابن أبي حازم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله ﷺ قال : « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به »[1].

لكن اختلف على أبي حازم ، فرواها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص مرفوعًا كما هنا .

ورواها عن أبي سلمة قال : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، والمراء في القرآن كفر - ثلاثًا - ، ما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه »[2]. =

(١) وهذه الرواية عند ابن مردويه (عزاها إليه ابن كثير رحمه الله) . وهي تُعد متابعة للزهري من هذا الوجه .

(٢) وهذه الرواية أخرجها ابن حبان (موارد الظمآن ١٧٨٠) ، لكن بدون الشك من طريق =

س : ما هو المشروع عند رؤية الذين يتبعون المتشابه ؟

ج : المشروع أخذ الحذر منهم لما صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه

= قال ابن كثير عقب هذه الرواية : ولكن فيه علة بسبب قول الراوي : (لا أعلمه إلّا عن أبي هريرة) .

والحديث أورده ابن أبي حاتم في العلل من طريق شعيب بن أبي الأشعث عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « المراء في القرآن كفر » (قال ابن أبي حاتم) : قال أبي : هذا حديث مضطرب ليس هو صحيح الإسناد ، عروة عن أبي سلمة لا يكون ، وشعيب مجهول .

قلت : وللحديث رواية مختصرة أخرجها أحمد في المسند (٣٣٢/٢ ، ٤٤٠) ، والطبري في التفسير (٩/١) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٥١٦/١٠) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أُنزل القرآن على سبعة أحرف عليمًا حكيمًا غفورًا رحيمًا » .

وإسنادها حسن أيضًا .

فالحاصل لدينا الآن أن لهذا الحديث طرقًا وهي :

● عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ مطولًا ، رواها عن عمرو بن شعيب الزهريُّ وأبو حازم (في رواية عنه) .

● أبو حازم (في الرواية الأخرى عنه) عن أبي سلمة قال : (لا أعلمه إلا عن أبي هريرة مرفوعًا) .

● محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا مختصرًا .

وهذه فاتحة لمن أراد التوغل في جمع طرق هذا الحديث والنظر في علله ، وبالله التوفيق .

= أحمد بن علي بن المثنى (وهو أبو يعلى) حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعًا بدون الشك .

لكن عزاها ابن كثير إلى أبي يعلى بالشك (لا أعلمه إلا عن أبي هريرة) .

والذي يظهر لي أن رواية من روى على الشك هي المقدمة ، فقد أخرجها الطبري في تفسيره (٩/١) ، والخطيب على الشك (٢٦/١١) ، والله تعالى أعلم .

آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله – إلى قوله – أولواْ الألباب ﴾ [آل عمران : ٧] قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى اللَّهُ فاحذروهم »[1].

* * *

س : أهل الإيمان يعلمون أن ما هم فيه من خير وهدى إنما هو من الله سبحانه وتعالى ويقرون لله بذلك ويسألون الله الثبات ، اذكر ما يفيد ذلك من الكتاب العزيز ؟

ج : نعم أهل الإيمان يعلمون ذلك وعلى رأسهم من أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إمام التوحيد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يقول لقومه : ﴿ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئًا ﴾ [الأنعام : ٨٠] ، وكذلك نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام خطيب الأنبياء يقول لقومه : ﴿ قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا .. ﴾ [الأعراف : ٨٩] ، وأهل الإيمان بصفة عامة يقولون : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] ويقول الراسخون في العلم منهم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران : ٨] ، ويقول إمامهم وحامل لواء الحمد لهم : « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك »[2]،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٤٥٤٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١٨٢/٤) ، وابن ماجة (١٣ ، ٢٣) بإسناد صحيح من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا .

وكانت أكثر أيمانه عليه الصلاة والسلام : « لا ومقلب القلوب »[1] .

***

س : في دعاء الراسخين في العلم ﴿ ... وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران : ٨] طرف من فقه الدعاء ، بيِّن هذا الطرف ؟

ج : نعم فيها فائدة قيمة تتعلق بفقه الدعاء ، حاصلها أن الله سبحانه وتعالى أمرنا – في غير هذه الآية الكريمة – أن ندعوه بأسمائه الحسنى حيث قال سبحانه : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وعلمنا في هذه الآية الكريمة : ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران : ٨] أننا ندعوه باسم من أسمائه يوافق المسألة التي نريد ونطلب ، ألا ترى (هب ... الوهاب) كما في قول عيسى عليه السلام : ﴿ ... وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] ، وكما في قول موسى عليه السلام : ﴿ ... فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، وكما في قول النبي ﷺ : « اشف وأنت الشافي »[2] ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « .. إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني »[3] ، وكما في قوله عليه السلام : « ... هازم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم »[4] ...

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣/١١ مع الفتح) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣١/١٠) ، ومسلم (مع النووي ١٨٠/١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) أخرجه الترمذي (٤٩٥/٩ مع التحفة) ، وابن ماجة (٣٨٥٠) ، وأحمد (١٧١/٦ – ٢٠٨) ، وغيرهم بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه البخاري (١٩٣/١١ مع الفتح) ، ومسلم (٤٧/١٢ مع النووي) من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه .

ونحو ذلك ، فهذا يتنافى مع ما يصنعه كثير من الخطباء ويبين خطأهم حيث يقول قائلهم : (أذِلَّ الشرك والمشركين برحمتك يا أرحم الراحمين) ، فلا يليق أن تسأل الله أن يذل باسم الرحمة كما لا يليق أن يقول قائل ارحمني فإنك شديد العقاب ، ولا يليق أن يقال : اعف عني يا منتقم ، فليفهم هذا المقلدة من الخطباء الذين قلَّ فقههم !!!

❋ ❋ ❋

س : في قول أولي الألباب : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] نوع توسلٍ وضحه ؟

ج : نوع التوسل الذي فيها هو توسل بسابق إحسان الله تعالى إليهم ، فكأنهم يقولون : يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية ورزقتنا إياها مُن علينا بالثبات ولا تزغ قلوبنا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قالت المعتزلة : (إن الله لا يضل العباد) فهل هذه المقولة صحيحة؟

ج : بل هي مقولة خاطئة ، فالله سبحانه يعلم من يستحق الهداية فيهديه ومن يستحق الضلال فيضله ، والأدلة على ذلك في غاية الكثرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [إبراهيم: ٢٧].
- وقوله تعالى: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٢٥].
- ومنها قول الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] .
- ومنها قول رسول الله ﷺ : « ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه »[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٢/٤) بإسناد صحيح من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد تقدم .

● ومنها قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم .. ﴾ [البقرة : ٧] بل قال إبليس : ﴿ فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ [الأعراف : ١٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأعراف : ١٨٦] .

● وقال تعالى : ﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا ﴾ [الكهف: ١٧] .

● والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

* * *

س : المعاصي سبب لزوال النعم ونزول النقم، هل من أدلة على ذلك ؟

ج : نعم، هناك جملة أدلة على ذلك من سورة آل عمران ومن غيرها منها :

● قول الله تبارك وتعالى في قوم فرعون والذين من قبلهم : ﴿ كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ [آل عمران : ١١]، فهؤلاء قوم ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ [الدخان : ٢٥- ٢٧] فبذنوبهم أغرقهم الله عز وجل وأورث جناتهم وعيونهم وكنوزهم ومقامهم الكريم وتلك النعمة التي كانوا فيها فاكهين قومًا آخرين .

● وقال سبحانه : ﴿ لقد كان لسبإٍ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكل خمط وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ [سبأ : ١٥ - ١٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ [النحل : ١١٢ - ١١٣] .

● وهؤلاء قوم عاد أمدهم الله بأنعام وبنين وجنات وعيون فلما كذبوا أهلكهم الله عز وجل ، وما قوم صالح منهم ببعيد ، فهؤلاء ثمود قال لهم نبيهم صالح : ﴿ أتتركون فيما ها هنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين ... فأخذهم العذاب ﴾ [الشعراء : ١٤٦ - ١٥٨] .

وغيرهم من المنعمين الذي امتلأ بذكرهم وذكر مصارعهم كتاب الله عز وجل ، أقوام كفروا وعصوا الرسل فبدلت دنياهم بجحيمٍ ، عياذًا بالله .

* * *

س : من المراد بالفئتين في قوله تعالى : ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ﴾ [آل عمران : ١٣] ؟

ج : المراد بالفئتين هنا هما الفئتان اللتان التقتا يوم بدر :

الفئة المسلمة : وهم رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

والفئة الكافرة : وهم المشركون .

* * *

س : كيف تجمع بين قوله تعالى - في المتقاتلين يوم بدر : ﴿ يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ [آل عمران : ١٣] ، وبين قوله تعالى : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم ﴾ [الأنفال : ٤٤] ؟

ج : للجمع بين هاتين الآيتين طرق ومسالك لأهل العلم منها :

● أن المراد بقوله تعالى يرونهم : أن المسلمين يرون المشركين مثليهم في العدد ، فإن قيل : فكيف توجِّه إذن قوله تعالى : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ﴾ [الأنفال : ٤٤] ، فالإجابة أنه لا إشكال أصلًا ، فإن المشركين كانوا ثلاثة أضعاف المسلمين في الحقيقة ، فإذا رآهم المسلمون مثليهم (أي ضعفين) فقط فقد قُلِّلوا إذن في أعينهم .

● وجه ثان من أوجه الجمع ، أن الحالات تنوعت فصوَّر الله المسلمين للمشركين بصورة في وقت من الأوقات ، وكذلك صوَّر الله المشركين للمسلمين بصورة في نفس الوقت ثم صوَّر الله المسلمين للمشركين بصورة أُخرى في وقت آخر ، وصوَّر المشركين للمسلمين بصورة أخرى أيضًا ، فأحيانًا يُقلل المشركين في أعين المسلمين حتى يتجرأ المسلمون عليهم ، وأحيانًا يُكثِّرهم حتى يجأر المسلمون إلى ربهم بالدعاء والاستنصار ، وأحيانًا يقلل اللَّهُ عزَّ وجل المسلمين في أعين الكفار حتى يتجرأ الكفار على الذهاب لمقاتلة المؤمنين ، ويكون ذلك كاستدراج لأهل الكفر ، وأحيانًا يُكثِّر المسلمين في أعين الكفار ليُقذف في قلوب المشركين الوهن والرعب ، هذا وذاك ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا وإلى الله ترجع الأمور .

ونظيره في المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى : ﴿ فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جآن ﴾ [الرحمن : ٣٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ [الصافات : ٢٤] .

وثمَّ أوجه أخر للجمع قال بها بعض العلماء ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ زُيِّن للناس حب الشهوات ... ﴾ [آل عمران : ١٤] **من الذي زينها ؟**

ج : الذي زينها هو الله سبحانه وتعالى ، وهذا رأي جمهور أهل العلم ،

وهو الصحيح لقول الله تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا ﴾ [الكهف : ٧] ، ويشهد لذلك أيضًا قول رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد . قال : فلما خلق الله النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ؛ فحفَّها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها »[1].

هذا ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي زينها هو الشيطان ، وقولهم هذا مرجوح إلا أن يُنزَّل على أن الشيطان سبب كما هو مطرد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤) ، والترمذي (٢٥٦٠) ، والنسائي (٣/٧) ، وأحمد (٣٣٢/٢) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن .

وأخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٧٩) بإسناد حسن إلى أسلم (والد زيد) أنه قال : رأيت عبد الله بن أرقم جاء إلى عمر بن الخطاب (بحلية) من حلية جلولاء – آنية من فضة على قصب على نطع – فقال : اللهم إنك ذكرت هذا فقلت : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ حتى ختم الآية [آل عمران : ١٤] ، وقلت : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ [الحديد : ٢٣] فإنا لا نستطيع (إلا أن) نفرح بما زينت لنا ، اللهم فاجعلنا ننفقه في حقه وأعوذ بك من شره .

وهذا كما قدمنا إسناد حسن .

● وأخرج ابن جرير الطبري في التفسير (أثر ٦٦٩٥) بإسناد منقطع إلى عمر قال : لما نزل ﴿ زُين للناس حب الشهوات ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وقلت : الآن =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ زُين للناس حب الشهوات من النساء .. ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وبين قول النبي ﷺ : « حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء .. »[١] الحديث ؟

ج : لا تعارض أصلًا بين الآية الكريمة والحديث الشريف ، فالآية الكريمة لا تفيد تحريم المذكور فيها ، وقد قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، وقال النبي ﷺ : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[٢].

* * *

= يا رب حين زينتها لنا فنزلت : ﴿ قل أؤنبئكم بخيرٍ من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري مِن تحتها الأنهار ﴾ [آل عمران : ١٥] .

وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١/١/٢) .

● وأخرج ابن أبي حاتم أيضًا (١٠٢/١/٢) بإسناد منقطع أيضًا من طريق سيار أبي الحكم أن عمر بن الخطاب قرأ : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء ﴾ [آل عمران : ١٤] ثم قال : الآن يا رب وقد زينتها في القلوب .

● وأخرج ابن أبي شيبة (٦٣/١٤) بإسناد ضعيف إلى مجاهد قال : آية أنزلت في هذه الآية : ﴿ أؤنبئكم بخيرٍ من ذلكم ﴾ قال عمر : الآن يا رب .

وهذا رغم ضعفه منقطع بين مجاهد وعمر .

وبالجملة فهذه الآثار تشهد بشيء وهو أن عمر يرى أن الذي زينها هو الله سبحانه وتعالى.

(١) حديث : « حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء .. » أخرجه أحمد (٢٨٥/٣) في غير موضع ، والنسائي في عشرة النساء (١ ، ٢) ، وفي السنن (٦١/٧) ، وفي سنده بعض الاختلاف في تحديد بعض رواته وهو سلام أبو المنذر هل هو سلام بن سليمان أو ابن (أبي الصهباء) وقد فصلنا في ذلك - بحمد الله - في كتابنا جامع أحكام النساء (قسم النكاح) فليراجعه من شاء ، وفي إسناده الآن لدينا كلام أوضحناه هناك ، وقد سبق أن صححناه في بعض كتبنا لكن التعويل على ما هو مسطر في جامع أحكام النساء ، وبالله التوفيق .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : فيم تتمثل فتنة النساء ؟

ج : فتنة النساء من أخطر الفتن على أمة محمد ﷺ ، بل أخطرها فقد قال النبي ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[1].

وقال سبحانه : ﴿ زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين و .. ﴾ [آل عمران : ١٤] ، فبدأ بالنساء لعظمِ الافتتان بهن .

وقد قال النبي ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »[2].

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر الدنيا فقال : « إن الدنيا خضرة حلوة فاتقوها واتقوا النساء » ثم ذكر نسوة ثلاثًا من بني إسرائيل امرأتين طويلتين تُعرفان ، وامرأة قصيرة لا تُعرف فاتخذت رجلين من خشب وصاغت خاتمًا فحشته من أطيب الطيب المسك وجعلت له غلقًا فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس قالت به فنفخته ففاح ريحه[3].

وحذَّر النبي ﷺ أشد التحذير من الخلوة بالنساء فقال : « ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان »[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد (٤٦/٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بسند صحيح .

(٤) أخرجه أحمد (٢٦/١) بإسناد صحيح لشواهده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفتنة النساء من أسبابها قلة دينهن كما قال النبي ﷺ : « ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أَذهب لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن »[1].

وتأتي أيضًا فتنة النساء من كثرة تشوف الأنفس إليهن وما جبل عليه الرجال من ميل إليهن ، وما يصدر منهن من خضوع بالقول ، وتغنج في المسير ، وتبرج في الأزياء ، وضرب بالأرجل ليُعلم ما خفي من الزينة ، فتتصور المرأة التي هي سوداء كالفحمة في عين الرجل كأنها حسناء كالقمر ، ألا ترى الشاعر الماجن الذي ذهبت بِلُبِّه امرأة سوداء فقال :

أحببت لحبها السودان حتى حببت لحبها سود الكلاب

فانظر إلى هذا الماجن الذي أحب هذه السوداء وبالغ في ذلك الحب حتى أحب كلَّ أسودَ حتى بلغ به ذلك إلى أن أحب سود الكلاب ، وهي شياطين ؟!!!

- وأيضًا المرأة تحمل زوجها على اكتساب المال من الحرام إمضاءً لرغباتها وإشباعًا لشهواتها .
- وتحمله على التخلف عن الجمع والجماعات لشدة حسنها أو لفرط محبته لها .
- وتحمله على التخلف عن الجهاد فيقول له الشيطان : تجاهد فتقتل فتنكح المرأة ... فيُصدُّ بسبب ذلك عن الجهاد وعن الخير .
- وتحمله على قطع الأرحام وعقوق الآباء والأمهات .
- يعاهد الناس عهودًا فتخفره في عهوده .
- تتزوج رجلًا وتحب آخر فيفسد الود ويتكدر جو المعيشة الأُسرية .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤) ، ومسلم (بسنده مشيرًا إلى متنه ص٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

• تُخطب فتستشرف لرجل آخر فيخطب على خطبة أخيه فتدب البغضاء وتنشأ الشحناء وتدخل إلى قلوب العباد .

• تحتال بشتى الحيل للوصول إلى مآربها ولا تبالي .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ [يوسف : ٢٨] .

وها هو يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول مستعينًا بالله لاجئًا إليه راغبًا في فرجه وفضله : ﴿ .... وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين !!! ﴾ [يوسف : ٣٣] هذا ، ولا زال في النساء بقية من الصالحات اللواتي أثنى الله عليهن بقوله : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [النساء : ٣٤] ولكنهن قليل ، فقد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا القليل[١] ، (وقد اطلع النبي ﷺ على النار فرأى أكثر أهلها النساء)[٢] .

فيا معشر النساء تصدقن ، وقمن إلى الصلاة من جوف الليل ، فيا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة .

هذا ، وقد قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله[٣] (في تفسيره المنار ٣/٢٣٩) : النساء وحبهن لا يعلوه حب لشيء آخر من متاع الحياة الدنيا ،

---

(١) قال النبي ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون » أخرجه البخاري (٣٧٦٩) ، ومسلم (٢٤٣١) من حديث عائشة مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩) ، ومسلم (٢٧٣٧) من حديث ابن عباس مرفوعًا وله طرق .

(٣) لنا بعض التحفظ على عدة مقالات للشيخ رشيد رضا رحمه الله . خاصة في أبواب دلائل النبوة – ولكن هذا لا يمنع أن ننقل عنه ما نراه أصاب فيه ، فقد قبل النبي ﷺ من اليهود قولهم : (يا محمد إنكم تشركون ، أصحابك يقولون ما شاء الله وشاء محمد ...) الحديث .

وانظر لذلك مزيدًا في رسالتنا مفاتيح الفقه في الدين .

فهن مطمح النظر وموضع الرغبة وسكن النفس ومنتهى الأُنس وعليهن ينفق أكثر ما يكسب الرجال في كدهم وكدحهم ، فكم افتقر في حبهن غني ، وكم استغنى بالسعي للحظوة عندهن فقير ، وكم ذل بعشقهن عزيز ، وكم ارتفع في طلب قربهن وضيع !! ولعل في القارئين من يحب أن يعرف كيف يغنى الفقير ويرتفع الوضيع بسبب حب النساء – إذا كان لا يوجد فيهم من يحتاج إلى معرفة كيف يُذل العاشق ويفتقر – فنقول : إن من يحب ذات شرف ورفعة ويرى أنه لا سبيل إلى الاقتران بها إلا بتحصيل المال وتسنم غارب المعالي يوجه جميع قواه إلى ذلك ولا يزال به حتى يناله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر طرفًا من فتنة الولد ؟

ج : الولد قد يفتتن أبوه به في كثير من الأحيان ، فالولد مبخلة مجبنة ، يكون سببًا في جبن أبيه وتخلفه عن الجهاد في سبيل الله ، فيتأخر الأب عن الجهاد في سبيل الله خوفًا على ولده من بعده من الضياع ، ويمتنع الأب من الإنفاق في أوجه البر والخير خشية الفقر الذي يخشى أن يتسرب إلى ولده ، ويجزع الأب ويحزن لمرض ولده بما يحمله في كثير من الأوقات على الجهل والاعتراض على الشرع ، وكم من ولدٍ قد مات فحمل موتُه أمَّه على لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، وقد يحمل الولد أباه على الكسب المحرم من أجله .

وقد يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا ، كما قال الله سبحانه في شأن الغلام الذي قتله الخضر : ﴿ أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا ﴾ [الكهف : ٨٠].

وصدق الله إذ يقول : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [التغابن : ١٥] .

وصدق سبحانه إذ يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذورهم .. ﴾ [التغابن : ١٤] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر وجهًا للافتتان بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ؟

ج : وجه ذلك أن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تحمل صاحبها على الإعراض عن طريق الله سبحانه وتعالى كما تحمله على الطغيان والبغي .

● قال الله سبحانه : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ [العلق : ٦ -٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن يُنزل بقدرٍ ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ [الشورى : ٢٧] ، ألا ترى إلى قارون لما آتاه الله المال كيف صنع ، قال الله سبحانه : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ﴾ [القصص : ٧٦] .

● وأظن القارىء لا يخفى عليه حديث : (الثلاثة الأقرع والأبرص والأعمى الذين ابتلاهم الله عز وجل)[1]، وحديث رسول الله ﷺ :

---

(١) حديث الثلاثة نفر من بني إسرائيل ... أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال : فمسحه فذهب عنه فأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل - أو قال : البقر هو شك في ذلك ، إن =

« لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال »[1]، فإن قيل : قد يكون هناك من يشكر نعم الله عليه ، فالإجابة على هذا أن نعم الله قد يكون هناك من يشكر ، ولكن كما قال سبحانه : ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ : ١٣] .

● قال محمد رشيد رضا رحمه الله : وعلته أن المال وسيلة إلى الرغائب وموصل إلى الشهوات واللذائذ ، ورغائب الإنسان غير محدودة ، وأفراد

= الأبرص والأقرع قال أحدهما : الإبل ، وقال الآخر : البقر - فأعطي ناقة عُشراء ، فقال : يُبارك لك فيها ، وأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب هذا عني قد قذرني الناس ، قال : فمسحه فذهب ، وأعطي شعرًا حسنًا ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، قال : فأعطاه بقرة حاملًا ، وقال : يبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يرد الله إليّ بصري فأبصر به الناس ، قال : فمسحه ، فرد الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنم ؛ فأعطاه شاة والدًا فأنتج هذان وولّد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، فأعطاه شاة والدًا فأنتج هذان ووُلّد هذا ؛ فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال - بعيرًا أتبلغ به في سفري ، فقال له : إن الحقوق كثيرة ، فقال له : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له : مثل ما قال لهذا فردَّ عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، وقال له : قد كنتُ أعمى فرد الله بصري وفقيرًا فقد أغناني ، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله ، فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك .

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦) ، وأحمد (١٦٠/٤) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٢٢/٧) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٤٧٠) ، والحاكم في المستدرك (٢١٨/٤) من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه مرفوعًا .

لذائذه غير معدودة ، فهو لاستعداده الذي لا منتهى له يطلب الوسائل إلى رغائب لا منتهى لها ، وهذه الرغائب يتولد بعضها من بعض :

فما قضى أحدٌ منها لبانته ولا أنتهى أرب إلا إلى أرب

فلا جرم أن الإنسان لا يستكثر المال مهما كثر ، بل إن كثرته هي التي تزيد فيه نهمته ، حتى إنه لينسى أنه وسيلة إلى غيره فيجعل جمعه مقصدًا ، يتفنن في طرقه كلما سلك طريقًا عنَّ له من السلوك فيه طرق أخرى ، قال ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[1].

والتعبير بالقناطير المقنطرة يشعر بأن الكثرة هي التي تكون مظنة الافتتان ؛ لأنها تشغل بالتمتع بها القلبَ، وتستغرق في تدبيرها الوقت، حتى لا يكاد يبقى في قلب صاحبها منفذٌ للشعور بالحاجة إلى غيرها، من طلب الحق ونصرته في الدنيا والاستعداد لما أعده الله للمتقين في الآخرة، وما بعث الله رسولًا في أمةٍ ولا مصلحًا في قومٍ إلا وكان الأغنياء أول من كفر وعاند وأبى واستكبر، وإن مؤمني الأغنياء أقلهم عملًا[2] وأكثرهم زللًا قال تعالى : ﴿ سيقول لكَ المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾ [الفتح : ١١] ، وقال : ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ [الأنفال : ٢٨]، فقدم الفتنة بالأموال على الفتنة بالأهلين، وكأنه إنما أخر ذكر الأموال هنا عن ذكر

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٧) ، ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا ، وله طرق عن رسول الله ﷺ .

(٢) إلا من رحم الله ، وإلا فكم من غنيٍّ منفق محسن متصدق ، ألا ترى عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه جهز جيش العسرة من ماله ، وحفر رومة من خالص ماله ، ولا يخفى فضل ابن عوفٍ وإنفاقه رضي الله عنه .

النساء والبنين؛ لأن الكلام في طبيعة الحب لا في الاشتغال والفتنة به خاصة، وحب النساء والبنين مقصد، وحب المال وسيلة، لا يجعله مقصدًا إلا من أعمته الفتنة عن الحقيقة، ولو أردنا أن نخوض في شرح فتنة الناس بالمال وكيف تشغلهم عن حقوق الله وحقوق الأمة والوطن وحقوق من يعاملهم بل وعن حقوق بيوتهم وعيالهم، بل وعن حقوق أنفسهم على أنفسهم بما يثلمون شرفهم أو يقصرون في النفقة التي تليق بهم لأطلنا وخرجنا عن حد الوقوف عند بيان كون المال من متاع الحياة الدنيا بمقدار ما نفهم العبرة من الآية، ونكون قد جعلنا الكلام في المال مقصدًا كما جعله الأشحة من الأغنياء مقصدًا .

❋ ❋ ❋

س : كم مبلغ القنطار ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال : فمنهم من قال : القنطار ألف ومائتا أوقية ، ورد ذلك عن معاذ بن جبل[1]، وأبي هريرة رضي الله عنهما[2].

وقال بعضهم : القنطار ألف ومائتا دينار[3].

ومنهم من قال : القنطار ثمانون ألفًا[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٦٦٩٦) من طريق أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن معاذ بن جبل قال : القنطار ألف ومائتا أوقية .

(٢) أخرجه الطبري (٦٧٠٠) بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) روي ذلك عن الحسن البصري بإسناد صحيح عند الطبري (٦٧٠٣) .

(٤) أخرجه الطبري (٦٧١٣) ، (٦٧١٤) عن سعيد بن المسيب ، وهو صحيح عنه بمجموع طرقه .

وأخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (٦٧١٥) قال : كنا نحدث أن القنطار مئة رطل من ذهب أو ثمانون ألفًا من الورق (أي من الفضة) .

قلت : وقد ورد في الباب أحاديث مرفوعة وفيها مقال .

من هذه الأحاديث ما أخرجه أحمد (٣٦٣/٢) ، وابن ماجة (٣٦٦٠) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٦٦٣) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح =

وثمَّ أقوال أخر :

وقال الطبري رحمه الله : فالصواب أن يقال : هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس ولا يحدُّ قدر وزنه بحدٍّ على تعسف .

❋ ❋ ❋

س :كيف تكون الخيل فتنة لصاحبها وكذلك الأنعام والحرث ؟

ج : تكون الخيل فتنة لصاحبها إذا ربطها أو ركبها فخرًا ورياء وسمعةً ، ونواءً لأهل الإسلام، وكذلك الأنعام تكون فتنة لصاحبها إذا لم يؤد حق الله فيها، فتأتيه يوم القيامة تطؤه بأخفافها وأظلافها وتنطحه بقرونها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد[1] .

= عن أبي هريرة مرفوعًا: « القنطار اثنا عشر ألف أوقية » وإسنادها حسن لكنها معلولة بالوقف ، فقد رواه الدارمي (٤٦٧/٢) من طريق أبان العطار وحماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : القنطار اثنا عشر ألفًا .

ورجح الحافظ ابن كثير رحمه الله الوقف .

(١) أخرج مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نارٍ فأُحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أُعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها – ومن حقها حلبها يوم وردها – إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاعٍ قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين =

وكذلك الحرث إذا شغل صاحبه عن الجهاد في سبيل الله ولم يؤد صاحبه ما افترضه الله عليه من زكاةٍ فيه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه المفردات والجُمل :

دأب - عزيز - المآب - كفروا بآيات الله - القيُّوم - المقنطرة - زيغ - ابتغاء الفتنة - يذَّكر - الرسوخ - الألباب - المهاد - لدنك - هُن أم الكتاب - المسوَّمة ؟

= ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » قيل : يا رسول الله فالخيل ؟ قال : الخيل ثلاثة : هي لرجل وزر وهي لرجلٍ ستر وهي لرجل أجر ، فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياءً وفخرًا ونواءً على أهل الإسلام فهي له وزر ، وأما التي هي له ستر ، فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرجٍ وروضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا تقطع طِولها فاستنت شرفًا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهرٍ فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات ، قيل : يا رسول الله فالحُمُر ، قال : « ما أنزل عليَّ في الحُمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] » .

الكلمـــة	معناهـــــا
دأب	عادة – شأن .
عزيز	منيع الجناب عظيم السلطان لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ولا يحول بينه وبينه حائـل ، ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد .
المـآب	المرجـع .
كفروا بآيات الله	جحدوا بها وأنكروها وردُّوها بالباطل .
القيُّوم	الذي يقوم بأمر غيره ، ولا قيام لغيره إلا به ، القائم بتدبير أمور خلقه .
المقنطرة	المعقودة – المضعَّفة (القناطير جمع والمقنطرة جمع الجمع)[1] المقِنطرة (الحاضرة) .
زيغ	مَيلٌ (عن الحق إلى الباطل) – شك .
ابتغاء الفتنة	طلبًا لإضلال الناس وجريًا وراء إزاغتهم .
يذَّكر	يتعظ – يَعتبر .
الرسوخ	الرسوخ هو الثبات في الشيء .
الألباب	العقـــول .
المهـاد	الفراش ، وأصله فراش الطفل ، قال قوم مريم : ﴿ كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا ﴾ .
لدنـك	عنـدك .
هن أم الكتاب	أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاختلاف .
المسوَّمة	الراعية – أو المطهمة[2] الحسان – المُعلَّمة .

(١) ورد عند الطبري بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال: والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض (٦٧٢٥).

(٢) المطهمات : قيل : هي التي يقتنيها الملوك والأغنياء والكبراء للمباهة والمفاخرة .



۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا
آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ
إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم
مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ۚ
تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ
مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ
أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ۚ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ
أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن
كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

س : قوله تعالى : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [آل عمران : ١٥] أنهارٌ من ماذا ؟

ج : فسرها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسنٍ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذةٍ للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ [محمد : ١٥] ، وكذلك قال الله جل ذكره : ﴿ .. فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] .

* * *

س : بعض أهل العلم يرى أن لفظ (الأزواج) عند ذكر أهل الإيمان يعطي معنًى ألطف وأروق من ذكر المرأة أو النساء بيِّن هذه الوجهة ؟

ج : نعم قد رأى بعض أهل العلم ذلك فقد قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص١٣١) : وقد وقع في القرآن الكريم الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفردًا وجمعًا كما تقدم[1] وقال تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] ، وقال تعالى : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ [الأحزاب: ٢٨] والإخبار عن أهل الشرك بلفظ (المرأة) قال تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب – إلى قوله – وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾ [المسد : ١ – ٥] ، وقال تعالى في فرعون : ﴿ وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ [التحريم : ١١] فلما كان

---

(١) يعني بالذي تقدم ما أورده رحمه الله ، وهو قوله تعالى : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [الأعراف : ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ، وقوله تعالى : ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يسٓ : ٥٦] ، وقوله تعالى: ﴿أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ [الزخرف: ٧٠] وقول ابن عباس في عائشة رضي الله عنها : (إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة) .

هو المشرك وهي مؤمنة لم يسمها زوجًا له ، وقال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ﴾ [التحريم : ١٠] فلما كانتا مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة ، وقال في حق آدم : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [الأعراف : ١٩] ، وقال للنبي ﷺ : ﴿ إنا أحللنا لك أزواجك ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ، وقال في حق المؤمنين : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] .

فقالت طائفة منهم السهيلي وغيره : إنما لم يقل في حق هؤلاء « الأزواج » ؛ لأنهن لسن بأزواج لرجالهن في الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو من أمر الدين فجرد الكافرة منه ، كما جرد منه امرأة نوح وامرأة لوط ، ثم أورد السهيلي على نفسه قول زكريا : ﴿ وكانت امرأتي عاقرًا ﴾ [مريم : ٥] ، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فأقبلت امرأته في صرة ﴾ [الذاريات : ٢٩] ، وأجاب بأن ذكر المرأة أليق في هذه المواضع ، لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة ، فذكر المرأة أولى به ، لأن الصفة التي هي الأنوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجًا .

قلت : ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ (الأزواج) : أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه لكان أولى ، فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان والمتساويان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات : ٢٢] ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أزواجهم : أشباههم ونظراؤهم) ، وقاله الإمام أحمد أيضًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ [التكوير : ٧] أي : قرن بين كل شكلٍ وشكله في النعيم والعذاب . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الآية : الصالح مع الصالح في الجنة ، والفاجر مع الفاجر في النار ، وقاله الحسن وقتادة

والأكثرون ، وقيل : زوجت أنفس المؤمنين بالحور العين ، وأنفس الكافرين بالشياطين وهو راجع إلى القول الأول ، وقال تعالى : ﴿ ثمانية أزواج ﴾ [الأنعام : ١٤٣] ثم فسرها بقوله : ﴿ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ﴾ [الأنعام : ١٤٣] ﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ﴾ [الأنعام : ١٤٤] ، فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد ، ومنه قولهم : (زوجا خف وزوجا حمام) ونحوه ، ولا ريب أن الله سبحانه قطع المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين قال تعالى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾ [الحشر : ٢٠] ، وقال تعالى في حق مؤمن أهل الكتاب وكافرهم : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ [آل عمران : ١١٣] ، وقطع سبحانه المقارنة بينهما في أحكام الدنيا فلا يتوارثان ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه ، فكما انقطعت الصلة بينهما في المعنى انقطعت في الاسم فأضاف فيهما (المرأة) بلفظ الأنوثة المجرد دون لفظ المشاكلة والمشابهة ، فتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ، ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ (المرأة) دون لفظ (الزوجة) ، تحقيقًا لهذا المعنى والله أعلم .

وهذا أولى من قول من قال : (إنما سمى صاحبة أبي لهب امرأته ولم يقل زوجته ؛ لأن أنكحة الكفار لا يثبت لها حكم الصحة بخلاف أنكحة أهل الإسلام ، فإن هذا باطل بإطلاق اسم (المرأة) على امرأة نوح وامرأة لوط مع صحة ذلك النكاح) .

وتأمل هذا المعنى في آية المواريث وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ (الزوجة) دون (المرأة) كما في قوله تعالى : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ﴾ [النساء : ١٢] إيذانًا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية

المقتضية للتشاكل والتناسب ، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب ، فلا يقع بينهما التوارث ، وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه : ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ [آل عمران : ١٥] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس والبزاق والمخاط والحقد والمكر وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا ، وذلك كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلًا سلامًا سلامًا ﴾ [الواقعة : ٢٥ - ٢٦] .

وكما قال النبي ﷺ[1] : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كلُّ واحدة منهما يُرى مخُّ ساقها من وراء لحمها من الحسن ، يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون ، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة[2] ورشحهم المسك » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة من سورة آل عمران وكذلك من السُّنة المطهرة على مشروعية التوسل بصالح الأعمال ؟

ج : أما الأدلة على مشروعية التوسل بصالح الأعمال فمنها :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٦) ، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) الألوة :

● من سورة آل عمران قول الله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٦] ، فكأنهم قالوا : يا ربنا قد آمنا بك فلإيماننا بك اغفر لنا ذنوبنا ... فهم قد توسلوا إلى الله عز وجل بإيمانهم به ؛ لطلب المغفرة منه سبحانه ، والوقاية من عذاب النار .

● وكذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] ، فتوسلوا إلى الله بإيمانهم بما أنزل واتباعهم الرسول ؛ ليكتبهم مع الشاهدين .

● وقول أولي الألباب : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [آل عمران : ١٩٣ - ١٩٤] .

● أما من سنة النبي ﷺ ففي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار ، فقد توسل أحدهم بعفته عن الزنا بابنة عمه التي كان يحبها كأشد ما يحب الرجالُ النساء ، لما ذكرته بقولها اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام عنها ، وتوسل الثاني : بعفته عن المال الحرام ، وعن أكل حقوق الناس ، بل قد ثمَّرها لهم ونماها ، وتوسل الثالث : ببره بوالديه الشيخين الكبيرين فأنجاهم الله عز وجل جميعًا[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥) ، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأوَوا إلى غارٍ فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أُرز فذهب وتركه وأني =

وكذلك قول رسول الله ﷺ : « يغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صحب النبي ﷺ فيقولون : نعم فيستفتحون فيفتح لهم »[1] الحديث .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ الصابرين والصادقين و ... ﴾ [آل عمران : ١٧] أطلق ذكر الصابرين هنا ، فمن الصابر الذي يُثاب الثواب الأكبر ؟

ج : كم من صابر يصبر تجلدًا ، وكم من صابر يصبر خوفًا على صحته من

= عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي : إنما لي عندك فرقٌ من أرز ، فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساحت عنهم الصخرة ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كلَّ ليلة بلبن غنمٍ لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ وأني راودتها عن نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، فقالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركت المائة الدينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٩) ، ومسلم (٢٥٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون : نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ، فيقولون : نعم فيفتح لهم » .

المرض ، وكم من صابر يصبر لأنه لا فائدة في غير الصبر ، وكم من صابر يصبر حتى يُقال عنه إنه صابر !!! كل هؤلاء الله أعلم بثواب صبرهم ، أما الصابر الذي يُثاب بإذن الله ، فهو ممن قال الله فيهم : ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ [الرعد : ٢٢] ، فهو صبر ابتغاء ما عند الله ورجاء لثواب الله عزَّ وجل .

* * *

س : لماذا قُيِّد الاستغفار بالأسحار في قوله تعالى : ﴿ ... والمستغفرين بالأسحار ﴾ [آل عمران : ١٧] ؟

ج : قُيِّد الاستغفار في هذه الآية (بالأسحار) كما في قوله تعالى : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات : ١٨]، وذلك لفضيلة وقت السحر ، كما جاء عن رسول الله ﷺ : « ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟! هل من داع فأجيبه ؟! هل من مستغفر فأغفر له ؟! حتى يطلع الفجر »[١] .

هذا وإن كانت التوبة مفتوحة في كل وقت للتائبين قال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨/١١) ، ومسلم (مع النووي ٣٦/٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظ البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » وللحديث ألفاظ أُخر قريبة .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٧٦/١٧) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا .

لكن كما هو معلوم فالله فضل بعض الأوقات على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض الأيام على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض القرون على بعض و ... ولله الأمر من قبل ومن بعد .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية من سورة آل عمران فيها فضيلة لأهل العلم ؟

ج : هي قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولواْ العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨] فقرن الله سبحانه شهادة أولي العلم وشهادة الملائكة مع شهادته سبحانه وتعالى على أنه سبحانه قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . فهذه خصوصية عظيمة للعلماء جزاهم الله خيرًا ورفع الله قدرهم .

❋ ❋ ❋

س : هل يكون العلم سببًا للخلاف أحيانًا ؟

ج : المفترض أن لا يكون العلم سببًا للخلاف ، بل يكون وسيلة للالتفاف حول الحق ، ولكن عند من أزاغ الله قلبه ، قد يكون العلم سببًا للخلاف معه ، فيكون القوم كلهم على ضلال وزيغ وتحريف مثلًا فيأتيهم من الله نور وكتاب مبين ، فيتبع ذلك النور أقوام فيهديهم الله به وآخرون يأبون إلا العداوة والحسد والبغي ، فينشأ حينئذ الخلاف والفرقة والتميز بين أهل الحق وأهل الباطل ، كما قال سبحانه : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ [آل عمران : ١٩] فلما جاءهم العلم حسدوا أهله ومن جاء به ومن آمن به ، وأضمروا لهم العداوة والبغضاء فنشأ البغي ، والله أعلم .

هذا ويكاد هذا يُرى واضحًا عند كثير من الفِرَقِ التي تحجب أهلها عن تعلم العلوم الشرعية (كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى ،

ثم أقوال السلف الصالح رحمهم الله) من أجل أن كثيرًا من كبار دعاة هذه الفرق يظهر عورهم إذا تعلم أتباعهم ، فمن ثمَّ تجدهم يصدون الأتباع عن تعلم العلوم الشرعية ، ولا حولٍ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴾ [آل عمران : ٢٠] هل هو إعراض عن المحاجة ، أو هو محاجة وإظهار الدليل ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : إنه إعراض عن المحاجة ، والمعنى إذا جادلوك بالباطل بعد أن بينت لهم الدلائل وأوضحت لهم الحجج ، فأعرض أنت عنهم وأسلم وجهك لله ، ومن اتبعك أيضًا فليسلم وجهه لله .

● ومن قائل : إنه محاجة والمعنى : فإن نازعوك يا محمد فقل : أنا مستمسك بطريقة إبراهيم ﷺ وأنتم تعلمون أن طريقته حق بعيدة عن كل شبهة وتهمة . والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر دليلًا من سورة آل عمران على أن النبي ﷺ بُعث لأهل الكتاب وأدلة من سور أخر ، وأدلة من سنة النبي ﷺ ؟

ج : الدليل من آل عمران هو قوله تعالى : ﴿ .. وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

ودليلٌ من سورة أخرى قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وأدلة من السنة : قول النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار »(١) .

وقول النبي ﷺ : « .. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »(٢) .

وما ثبت عن رسول الله ﷺ من أنه عليه السلام عاد غلامًا يهوديًا - كان يخدمه - فقال له النبي ﷺ : « أسلم .. » الحديث(٣) .

* * *

س : كيف تحبط الأعمال في الدنيا والآخرة ؟

ج : معنى الآية - والله أعلم - أن ثواب أعمالهم ذهب في الدارين ، وأفسدوا أعمالهم التي عملوها بشركهم بالله عز وجل وقتلهم الأنبياء بغير حق وقتلهم الآمرين بالقسط من الناس .

● أما حبوط الأعمال في الدنيا : فإبدال المدح بالذم ، والثناء باللعن والخزي ، ويدخل فيه - كما قال بعض العلماء - : ما ينزل بهم في الدنيا من القتل والسبي وأخذ الأموال والاسترقاق إلى غير ذلك من أنواع الذل والصغار .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٨) ، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه ، ولفظه : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار » .

● وأما حبوطها في الآخرة : فإبدال النعيم بالجحيم ، والثواب بالعذاب الأليم ، وضياع أجر كل ما صنعوه من خير في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] ، وكما قال سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ [إبراهيم : ١٨] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ [آل عمران : ٢١] لماذا التقييد بقوله تعالى : ﴿ بغير حق ﴾ مع أنه معلوم يقينًا أن الأنبياء لا تقتل إلا بغير الحق فهم صلوات الله وسلامه عليهم لم يفعلوا مع أممهم ما يوجب قتلهم ؟

ج : التقييد بقوله تعالى : ﴿ بغير حق ﴾ – والله أعلم – لبيان شناعة قتل النبيين وعظم هذا الجرم ، فقاتل النبي أعظم الناس جرمًا وأشدهم إساءة ، وهذه الآية – والله أعلم – كقوله تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ﴾ [المؤمنون : ١١٧] ، فمن المعلوم أن من دعا مع الله إلهًا آخر فإنه كافر ، وليس له برهان مطلقًا ولا حجة على وجود إله يستحق أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى ، وإنما قُيدت بهذا القيد ﴿ لا برهان له به ﴾ لبيان شناعة الشرك والمشرك ، وأن الشرك ليس عليه دليل ولا برهان لا عقلي ولا شرعي ، ومن ثم استحق المشرك أليم العذاب وعظيم العقاب .

ففائدة هذا القيد – كما قاله السعدي في القواعد الحسان لتفسير القرآن – التشنيع البليغ على المشركين بما تملكهم ؛ لغبائهم وبلادتهم التقليدية من المعاندة ومخالفة البراهين الشرعية والعقلية ، وأنه ليس بأيديهم إلا أغراض بهيمية

ومقاصد سيئة وتقليد أعمى كالأنعام ، وأنهم لو التفتوا أدنى التفات لعرفوا أن ما هم عليه لا يستسيغه من له أدنى فهم وعقلٍ .

***

س : اذكر دليلين من كتاب اللَّهِ يُرهبان من إيذاء الدعاة إلى الله عز وجل وقتلهم ؟

ج : الدليل الأول قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ [آل عمران : ٢١ - ٢٢] .

والثاني : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨]..

***

س : ما هو المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ ؟[1] [آل عمران : ٢٣] وما هو الشيء الذي تنازعوا فيه ودُعوا إلى الحكم فامتنعوا ؟

ج : الكتاب : هنا هو التوراة وهذا رأي جماهير المفسرين .

أما الذي تنازعوا فيه فلم يوضح في الآية ، فمن المحتمل أن يكون ذلك هو أمر النبي محمد ﷺ وأمر نبوته ، ومحتمل أن يكون أمر الخليل إبراهيم عليه السلام

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : (أولئك أعداء الله اليهود دُعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم وإلى نبيه ليحكم بينهم ، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ثم تولوا عنه وهم معْرضون) .(الطبري في التفسير ٦٧٨٣) .

وكونه مسلمًا ، ومحتمل أن يكون ما دعوا إليه من أمر الإسلام والإقرار به ، ومحتمل أن يكون الطعام الذي كان حلالًا على إسرائيل وحرَّمه إسرائيل على نفسه ، ويحتمل أن يكون أمر رجم الزاني والزانية ، إلى غير ذلك ، وكل ذلك محتمل فكله قد دُعي اليهود إلى التحاكم إلى التوراة فيه فأعرضوا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : البشارة تكون في الخير وبالخير فهل تطلق البشارة على التبشير بالشر أيضًا ؟

ج : نعم قد تكون البشارة بالشر أيضًا إلا أنها إذا أطلقت فإنها تحمل على التبشير بالخير ، ومن أمثلة إطلاق البشارة على التبشير بالشر قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣] ، وقول النبي ﷺ : « ... وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار »[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : سوء المعتقد يَجرُّ إلى سوء العمل وضح ذلك ؟

ج : نعم سوء المعتقد يجر إلى سوء العمل ، فلما اعتقد اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه تجرأوا على اقتراف الكبائر والمعاصي ، ولما اعتقد اليهود أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات[(٢)]، جرأهم هذا الاعتقاد على انتهاك

---

(١) أخرجه ابن ماجة حديث (١٥٧٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ، وهو صحيح بمجموع طرقه ، وانظر تخريجه في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة (ط دار ابن عفان) .

(٢) روى ابن جرير (٦٧٨٦) بإسناد حسن عن قتادة : ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات ﴾ [آل عمران: ٢٤] قالوا: لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا. قال الله عز وجل: ﴿وغرَّهم في دينهم ما =

الحرمات وقتل النبيين بغير حق والإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ - ٢٤] .

● وهؤلاء الخوارج لما بنوا معتقدهم الفاسد على تكفير المصر على المعصية حملهم ذلك على سلب أموال المسلمين وسبي نسائهم وانتهاك حرماتهم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز التسمي بملك الأملاك ؟ وما هي الآية التي يُفترض أن يأتي عند تفسيرها هذا البحث ؟

ج : لا يجوز التسمي بملك الأملاك ؛ لحديث رسول الله ﷺ : « إن أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى بملك الأملاك »[1].

أما الآية التي يفترض أن يأتي عندها هذا البحث فقوله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك ....﴾ [آل عمران : ٢٦] .

❋ ❋ ❋

س : كيف يولج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، وما هي الأقوال في إخراج الحي من الميت ، والميت من الحي ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● تخرج المؤمن من صلب الكافر ، وتخرج الكافر من صلب المؤمن ،

= كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٤] أي: قالوا: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة: ١٨].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٥) ، ومسلم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فالكافر ميت والمؤمن حي ، كما قال تعالى : ﴿ أومن كان ميتًا فأحييناه ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، وكما قال سبحانه : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ [النمل : ٨٠] ، وقد أخرج اللَّهُ إبراهيم إمام التوحيد من آذر ، وآذر كافر .

● وأيضًا نوح مؤمن خرج منه ولده الكافر ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا ﴾ مع قول النبي ﷺ : « الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا »[1].

● وكذلك خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من صلب أبي طالب وأبو طالب كافر وهكذا .

●● تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع ، والنواة من النخلة ، والنخلة من النواة .

●●● تخرج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة .

وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء .

ومن الواضح أن هذه الأقوال ترجع لبعضها ، وبالله التوفيق .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ [آل عمران : ٢٨] ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله في معناها : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلمٍ بفعلٍ .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ : « .. أما الغلام فطبع يوم طبع كافرًا » .

وقال قتادة[1] في تأويلها : نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين ، وقال تعالى : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ [آل عمران : ٢٨] الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم إلا أن يصل رحمًا له في المشركين .

لكن الطبري رحمه الله نصر القول الذي أورده هو عن نفسه .

✸ ✸ ✸

س : اذكر خمسة أدلة على تحريم اتخاذ الكافرين أولياء ؟

ج : الأدلة على تحريم اتخاذ الكافرين أولياء كثيرة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا ﴾ [النساء : ١٤٤] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلَّ سواء السبيل ﴾ [الممتحنة : ١] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء

---

(١) أخرجه الطبري (٦٨٣٦) بإسناد حسن عن قتادة .

بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [المائدة : ٥١] .

٥ – قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

***

س : من القائل : « إنا لنكشر في وجوه أقوامٍ وقلوبنا تلعنهم » ؟ وعند أية آية يُساق تفسيرها ، وما معنى نكشر ؟

ج : روي هذا عن أبي الدرداء رضي الله عنه[1]، ويساق عند قوله تعالى : ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ [آل عمران : ٢٨]، ومعنى نكشر: نبتسم أو نضحك،

---

(١) روي هذا عن أبي الدرداء من وجوه ، وأولًا قد ذكره البخاري معلقًا في كتاب الأدب باب المداراة مع الناس.(مع الفتح ٥٢٧/١٠) بلفظ : ويُذكر عن أبي الدرداء : إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم .

أما الوجوه التي رُوي منها عن أبي الدرداء فمنها ما يلي :

● طريق خلف بن حوشب عن أبي الدرداء أخرجها أبو نعيم في الحلية (٢٢٢/١) ، وهذه منقطعة فخلف بن حوشب ليست له رواية عن أبي الدرداء .

● طريق أبي الزاهرية عن أبي الدرداء عند البيهقي في الشعب (٢٦٦/٦) ، وعند الحافظ في تغليق التعليق (١٠٣/٥) ، وفي إسناده ضعف فالأحوص بن حكيم في إسناده وقد تكلّم فيه ، وقد ضعف الحافظ ابن حجر رحمه الله إسناده .

● وروي من طريق الأحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء بإثبات واسطة بين أبي الزاهرية وأبي الدرداء .

وهذا أيضًا ضعيف ففيه الأحوص بن حكيم وهو ضعيف .

وهذا عند الحافظ في التغليق (١٠٣/٥) .

● وروي هذا الأثر كذلك من طريق أبي صالح عن أبي الدرداء .

وفي إسناده ضعف أيضًا ، وحكم عليه الحافظ في الفتح (٥٢٨/١٠) بالانقطاع ؛ والله تعالى أعلم .

فالكشر : هو بُدو الأسنان عند التبسم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل تجوز عيادة مرضى اليهود أو النصارى ؟ وهل يجوز الأكل من طعامهم ؟

ج : نعم يجوز ذلك فقد عاد النبي ﷺ غلامًا يهوديًا كان يخدمه فمرض وعرض عليه النبي ﷺ الإسلام(١) .

وكذلك يجوز الأكل من طعامهم فإن الله سبحانه يقول : ﴿ .. وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حل لهم ﴾ [المائدة : ٥] ، وقد أهديت لرسول الله ﷺ شاة(٢) فأجاب النبي ﷺ الدعوة .

* * *

س : اذكر آيةً حاكمةً على مدعي محبة النبي ﷺ ؟

ج : هي قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرج البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فُتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ فقال النبي ﷺ : « اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود » فجمعوا له ، فقال : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه ؟ » فقالوا : نعم ، قال لهم النبي ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : فلان ، فقال : « كذبتم بل أبوكم فلان » ، قالوا : صدقت . قال : « فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، فقال : « مَنْ أهل النار ؟ » قالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها ، فقال النبي ﷺ : « اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ، ثم قال : « هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : « هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا ؟ » قالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا : إن كنت كاذبًا نستريح وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران : ٣١] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعضًا مما يجلب محبة الله عز وجل للعبد ، وما هي علامة حب الله للعبد ؟

ج : مما يجلب محبة الله عز وجل للعبد اتباع رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران: ٣١].

والتقرب إلى الله عز وجل بالنوافل ؛ لقول الله عز وجل – في الحديث القدسي – : « وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه »[(١)].

وأما علامة حب الله للعبد فهي وضع القبول له في الأرض ، فقد قال النبي ﷺ : « إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : إني أحب فلانًا فأحبه قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض »[(٢)].

ومن علامات ذلك أيضًا أن يرزقه الله حب القرآن ، وحب السُّنة ، وحب الآخرة ، وحب أعمال البر وأهل الصلاح .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الختام بقوله تعالى : ﴿ .. فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [آل عمران : ٣٢] ؟

ج : وجه الختام ظاهر ، والله أعلم ، فإن الله سبحانه قال : ﴿ قل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لي وليًّا ... » الحديث وفيه القدر المذكور .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٧) ، والبخاري (٧٤٨٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [آل عمران : ٣٢].

والتولي عن طاعة الله ورسوله من صفات الكافرين ؛ والله لا يحب الكافرين ، فلا تتولوا عن طاعة الله ورسوله فتشابهوا الكفار في هذا التولي ، ومن ثم لا يحببكم الله عز وجل .

✵ ✵ ✵

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

اغفر – القانتين – الأسحار – قائمًا بالقسط – اللهم – حاجوك – حبطت – التقيَّة – تولج – محضرًا – الأميين – أمدًا؟

ج :

الكلمة	معناها
اغفر	استر وامحُ .
القانتين	الطائعين – أو الذين يطيلون القيام في الصلاة .
الأسحار	آخر الليل (قيل : الثلث الأخير) وقيل : السدس الأخير .
القسط	العدل .
اللهم	يا الله .
حاجوك	جادلوك .
حبطت	حبط العمل بطل ثوابه .
التقيَّة	إظهار الموالاة للكفار (باللسان دون القلب) لدفع محذور والقلب مطمئن بالإيمان .

تولج	تُدخل
مُحضرًا	موفَّرًا[1] .
الأميين	العرب أو مشركو العرب وهم الذين لا كتاب لهم.
أمدًا	غاية – أجلًا – مكانًا .

***

س : ما معنى هذه الفقرات :

ورضوان من الله – إن الدين عند الله الإسلام – وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون – فليس من الله في شيء – وما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا ؟

ج :

الفقرة	معناها
ورضوان من الله	أي يُحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا .
إن الدين عند الله الإسلام	الدين المرضي المقبول عند الله هو الإسلام الذي هو التوحيد واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ فمن لقي الله

(١) وروي ذلك بإسناد حسن عن قتادة (٦٨٤٠) .

	بعد بعثة محمد بدين على غير شريعته فليس بمتقبل .
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون	ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات .
فليس من الله في شيء	قال بعض أهل العلم : ليس من ولاية الله في شيء ، وقال آخرون : ليس من حزب الله في شيء
وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا	تود النفس التي عملت السيئات لو أن بينها وبين هذه السيئات غاية بعيدة لا يدرك أحدهما الآخر كما يقول الكافر : ﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ [الزخرف: ٣٨].



إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ
عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾
إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ
أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا
ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ
ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ
قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا
بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ
يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ
يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ
قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ

نساء العلمين ﴿٤٢﴾ يمريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الركعين

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون

أقلمهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴿٤٤﴾

إذ قالت الملئكة يمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح

عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والأخرة ومن المقربين ﴿٤٥﴾ ويكلم

الناس في المهد وكهلا ومن الصلحين ﴿٤٦﴾ قالت رب أنى يكون لى ولد

ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما

يقول له كن فيكون ﴿٤٧﴾ ويعلمه الكتب والحكمة والتورىة والإنجيل

﴿٤٨﴾ ورسولا إلى بني إسرءيل أني قد جئتكم بءاية من ربكم أني أخلق لكم

من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ

الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون

وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين ﴿٤٩﴾

ومصدقا لما بين يدى من التورىة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم

وجئتكم بءاية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ﴿٥٠﴾ إن الله ربى وربكم

فاعبدوه هذا صرط مستقيم ﴿٥١﴾

س : ما هو وجه اصطفاء كل من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ؟ ومن المراد بآل إبراهيم وآل عمران ؟

ج : أما وجه اصطفاء آدم عليه السلام فبالآتي :

١ – خلقه الله بيده . ٢ – سواه ونفخ فيه من روحه .
٣ – أمر الملائكة بالسجود له . ٤ – أسكنه جنته .
٥ – جعله أبًا للبشر .

● ووجه اصطفاء نوحٍ عليه السلام ، فإن الله سبحانه جعله أول رسول إلى أهل الأرض ، وأطال الله عمره وأحسن الله عمله ، وفي الحديث : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ، وأنجاه الله عز وجل وأصحابَ السفينة ، وجعلها الله آية للعالمين ، وسماه الله عبدًا شكورًا ، واستجاب الله دعوته على قومه ، ثم هو من أولي العزم من الرسل .

● أما آل إبراهيم عليه السلام فقد قيل : إنهم من كانوا على دينه ، وقد قيل : إنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ، ومنهم محمد ﷺ ، وعليه فالنبوة من بعدهم فيهم ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلها كلمة[1] باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ [الزخرف : ٢٨] ، ثم إننا نصلي عليهم في كل صلاة ، ومن آل إبراهيم : خير البشر محمد ﷺ ، وقد قيل : إن المراد بآل إبراهيم هو إبراهيم نفسه[2] ، وعليه فلإبراهيم عليه السلام مناقب منها : أن الله أنجاه من النار وجعلها عليه بردًا وسلامًا ، والثاني : أن الله جعله أبًا للأنبياء ، وأتم الكلمات

---

(١) أي : كلمة التوحيد .

(٢) شاهده قوله تعالى : ﴿ وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، أي : مما ترك موسى وهارون على ما ذكره عدد من العلماء ، ومنه قول الشاعر :

يُلاقي من تذكر آل ليلى كما يلقى السليم من العِدَادِ

أي : من تذكر ليلى نفسها ، لكن رغم كل هذا ، فالتفسير الذي يفيد : أنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد ﷺ أولى ، والله أعلم .

التي ابتلاه الله بها ، وجعله الله إمامًا للناس ، واتخذه الله خليلًا ، وكانت النبوة في ذريته كما سبق .

● أما آل عمران فقد قيل هنا : إن المراد بعمران هو عمران والد موسى وهارون ، وعلى ذلك فآله منهم موسى وهارون ، وقد اصطفى الله عز وجل موسى عليه السلام على الناس برسالاته وبكلامه .

وقيل : إن المراد بعمران هنا : عمران والد مريم عليها السلام ، وعلى ذلك فوجه اصطفاء آل عمران : أن الله عز وجل جعل مريم وابنها آية للعالمين ، وعلى العموم فكل المذكورين اصطفاهم الله عز وجل بالنبوة .

●● هذا وثمَّ قول آخر في الاصطفاء بالجملة ألا وهو : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحًا و... ﴾ هو دين آدم ونوح ، فهو دين الإسلام ، وهو خير الأديان ، ولا يقبل الله عز وجل دينًا سواه ، لكن القول الأول أوجه ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير(١) ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالعالمين في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ [آل عمران : ٣٣] ؟

ج : أشهر الأقوال في ذلك أن المراد بالعالمين عالمي زمانهم ، وقد قيل قول آخر مفاده أن المراد بالعالمين جميع الخلق كلهم إلى يوم القيامة ، والقول الأول أشهر ، وعليه الأكثر ألا وهو أن المراد : عالمي زمانهم ، وذلك حتى يستقيم

---

(١) أي : أن الآية ﴿ إن الله اصطفى آدم ﴾ ، فإذا فسرت على هذا السياق أولى من أن تُفسر على إن الله اصطفى دين آدم (بتقدير كلمة دين) حيث إن الأصل عدم التقدير ، ولا يصار إلى التقدير إلا إذا دعت الحاجة إليه ، وإن كان المعنى الثاني صحيح أيضًا ، والله تعالى أعلم .

الجمع بين الآية الكريمة وبين قوله تعالى في أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »[١].

● ونحو هذا التفسير يُفسر به قوله تعالى – في شأن بني إسرائيل – : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، أي : عالمي زمانهم أيضًا .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [آل عمران: ٣٤]؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن هذه الذرية بعضها ينصر بعضًا ، ويؤيده ويُصدِّقه ويعاضده في الدين[٢]، ويتبع منهجه في الإخلاص والتوحيد كما قال

---

(١) أخرجه أحمد (المسند ٣/٥) ، والترمذي (حديث ٣٠٠١) ، وابن ماجة (٤٢٨٨) ، والحاكم في المستدرك (٨٤/٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في المعجم الكبير (٤١٩/١٩ فما بعدها) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٥٦) ، والبغوى في التفسير (٣٤١/١) ، والبيهقي (السنن الكبرى ٥/٦) ، والطبري في التفسير (٧٦٢٢) ، وعبد الرزاق في التفسير (٤٤٦) ، وغيرهم من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا به ، وإسناده حسن .
وأخرجه أيضًا الطبراني (١٠٣٠) من طريق الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعًا .
وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ .
وبالجملة فالحديث ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ .

(٢) أخرج الطبري (٦٨٥٥) بإسناد حسن عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [آل عمران : ٣٤] يقول : في النية والعمل والإخلاص والتوحيد له .

يوسف ﷺ : ﴿ .. واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء .. ﴾ [يوسف : ٣٨] ، وكما قال يعقوب عليه السلام لبنيه حين حضرته الوفاة ، وهو ما ذكره الله في كتابه حيث قال سبحانه : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

فهي أمة متعاضدة موحدة مخلصة تتواصى بالتوحيد والإخلاص ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ ، [التوبة : ٦٧] ، وذلك بسبب اشتراكهم في النفاق .

● وقيل : إن المعنى ذرية بعضها من ولد بعض ، والله تعالى أعلم .

● أما الذرية فتطلق على الأبناء ، وتطلق على الخلق ، وتطلق على الصغار من الأبناء .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله سميع عليم ﴾ [آل عمران : ٣٤] ؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل سميع لأقوال الذين اصطفاهم ، عليم بهم ، حيث جعل رسالته فيهم ، كما قال سبحانه : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ، فالحاصل أن الله سبحانه إنما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم عنه الاستقامة في قوله وعمله ونيته ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بآل محمد ﷺ ؟

ج : اختلف العلماء في المراد بآل محمد على أربعة أقوال مشهورة .

● أولها : أن الآل (آل محمد ﷺ) : هم من حرمت عليهم الصدقة[1]، ودليل هذا القول ما يلي :

١ - قول النبي ﷺ : « إنا آل محمد لا نأكل الصدقة »[2] .

٢ - قول زيد بن أرقم رضي الله عنه:.. ولكن أهل بيته (يعني : أهل بيت رسول الله ﷺ) من حُرم الصدقة بعده ، .. قال[3]: وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . .

٣ - قول النبي ﷺ : « إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد »[4] .

٤ - قول النبي ﷺ لما ضحى بالكبش[5]: « بسم الله اللهم تقبل من محمد ومن آل محمد ومن أمة محمد » ، والعطف يقتضي المغايرة ، وثمَّ أدلة أخرى لأصحاب هذا القول .

● والقول الثاني : أن آل محمد هم ذريته وأزواجه ؛ لقول النبي ﷺ : « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته »[6]، وفي الأحاديث الأخرى : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد »[7]، فالحديث الأول يفسر الثاني .

---

(١) وسيأتي بيان من هم الذين حرمت عليهم الصدقة ، إن شاء الله تعالى .

(٢) صحيح وسيأتي.

(٣) القائل هو زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٤) صحيح وسيأتي إن شاء الله.

(٥) صحيح وسيأتي إن شاء الله.

(٦)،(٧) كلاهما صحيح وسيأتيان إن شاء الله .

ولقول عائشة رضي الله عنها : « ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام»[1]، ولقول النبي ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»[2]، ونحو ذلك .

● والقول الثالث : أن المراد بالآل : من هم على دينه وملته في عصره وفي سائر العصور ، واستدل لذلك بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، وبقول النبي ﷺ : « إن آل بني فلان ليسوا بأوليائى إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين »[3] .

● والقول الرابع : أن المراد بالآل : هم الأتقياء من أمته ؛ لقول النبي ﷺ : « إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين » ، وثمَّ أدلة أخر ، هذه أشهر الأقوال في تفسير الآل .

والذي يظهر – والله أعلم – أن القول الأول ، وهو أن المراد بالآل : من حرمت عليهم الصدقة هو الأولى والأصح ، وبيان ذلك يأتي عن قريب إن شاء الله ، وأوسع من رأيته تكلم على هذا العلَّامة ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام[4] ﷺ ، وها أنا أنقل – بعون الله – ما حرره رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله (جلاء الأفهام ص ١٦٤) :

فصــل

واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال :

فقيل : هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة ، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء :

---

(١)،(٢)،(٣) كلها صحيحة وستأتي كلها إن شاء الله .

(٤) وانظر أيضًا ما ذكره القرطبي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾ آية ٤٩ من سورة البقرة .

أحدها : أنهم بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه.

والثاني : أنهم بنو هاشم خاصة ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، والرواية عن أحمد ، واختيار ابن القاسم صاحب مالك .

والثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب . فيدخل فيهم بنو المطلب ، وبنو أمية ، وبنو نوفل ، ومن فوقهم إلى بني غالب ، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك ، حكاه صاحب « الجواهر » عنه ، وحكاه اللخمي في « التبصرة » عن أصبغ ، ولم يحكه عن أشهب .

وهذا القول في الآل أعني : أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين ، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي .

والقول الثاني : أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة ، حكاه ابن عبد البر في « التمهيد » ، قال في باب عبد الله بن أبي بكر في شرح حديث أبي حُميد الساعدي : استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم أزواجه وذريته خاصةً ؛ لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر ، وفي غير ما حديث : « اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمدٍ »[1]، وفي هذا الحديث يعني : حديث

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (ص١٦٥ - ١٦٦) ، ومسلم (من طريقه) (٤٠٥) ، والترمذي (٣٢٢٠) ، وأحمد في المسند (٢٧٤/٥) ، والنسائي في السنن (٤٥/٣) ، وغيرهم من طريق مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر عن محمد بن عبد الله بن زيد عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، =

أبي حميد : « اللَّهُمَّ صلّ على محمّدٍ وأزواجِهِ وذريّته »[1]، قالوا : فهذا تفسير ذلك الحديث ، ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته ، قالوا : فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد ﷺ ومن ذريته صلى الله عليك ، إذا واجهه ، وصلى الله عليه إذا غاب عنه ، ولا يجوز ذلك في غيرهم .

قالوا : والآل والأهل سواء ، وآل الرجل وأهله سواء ، وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث .

والقول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة ، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم ، وأقدم من روى عنه هذا القول جابر بن عبد الله ، ذكره البيهقي عنه ، ورواه عن سفيان الثوري وغيره ، واختاره بعض أصحاب الشافعي ، حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه ، ورجَّحه الشيخ محيي الدين النواوي في « شرح مسلم » ، واختاره الأزهري .

والقول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته ، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة .

= والسلام كما قد علمتم » .

ولهذه اللفظة : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » عدة طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها ما ورد في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعًا ...

(1) أخرجه البخاري (٦٣٦٠) ، ومسلم (٤٠٧) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

فصــــل

في ذكر حجج هذه الأقوال ، وتبيين ما فيها من الصحيح والضعيف

فأما القول الأول : وهو أن الآل مَنْ تحرمُ عليهم الصدقة على ما فيهم من الاختلاف ، فحجته من وجوه :

● أحدها : ما رواه البخاري في « صحيحه » : من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يؤتى بالنخل عند صِرَامِه، فيجيءُ هذا بتمرةٍ وهذا بتمرةٍ حتى يصيرَ عندَه كومٌ من تمر ، فجعل الحسنُ والحسينُ يلعَبان بذلك التمر ، فأخذ أحدُهما تمرةً فجعلها في فيه ، فنظرَ إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه ، فقال : « أما علمت أن آل محمدٍ لا يَأْكُلونَ الصَّدقة »[1]، ورواه مسلم وقال : « إنَّا لا تحلُّ لنا الصدقةُ »[2].

● الثاني : ما رواه مسلم في « صحيحه » : عن زيد بن أرقم ، قال : قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا فينا بماء يُدعى خَمًّا بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وذكرَ ووعظَ ، ثم قال : « أما بعدُ ألا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يُوشكُ أن يأتيني رسول ربي عزَّ وجلَّ ، وإني تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » ، فحث على كتاب الله ورغبَ فيه ، وقال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

فقال له حصين بن سبرة : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٥) ، ومسلم (حديث ١٠٦٩).

(٢) اللفظ المشار إليه عند مسلم (ص٧٥١).

بيته ؟ قال : إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عبَّاس . قال : أكل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم[1].

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : « إن الصدقة لا تحل لآلِ محمّد »[2].

● الدليل الثالث : ما في الصحيحين : من حديث الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها؛ أن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاءَ الله على رسوله ﷺ . فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صَدَقة »[3]، إنما يأكل آل محمّدٍ منْ هَذا المال - يعني : مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل .

فآله ﷺ لهم خواص ، منها : حرمان الصدقة ، ومنها : أنهم لا يرثونه ، ومنها : استحقاقهم خمس الخمس ، ومنها : اختصاصهم بالصلاة عليهم .

وقد ثبت أن تحريم الصدقة واستحقاق خمس الخمس وعدم توريثهم مختص ببعض أقاربه ﷺ ، فكذلك الصلاة على آله .

● الدليل الرابع : ما رواه مسلم : من حديث ابن شهاب ، عن عبد الله بـن الحارث بن نوفل الهاشمي ، أن عبد المطلب بن ربيعة أخبره ، أن أباه ربيعة بن الحارث ، قال لعبد المطلب بن ربيعة ، وللفضل بن العباس رضي الله عنهما : ائتيا رسول الله ﷺ فقولا له : استعملنا يا رسول الله على الصَّدقات - فذكر الحديث - وفيه : فقال لنا : « إن هذه الصَّدقة إنما هي

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٠٨).

(٢) تقدمت الإشارة إليه قريبًا ، وأنه عند مسلم بلفظ قريب.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٢٥ ، ٦٧٢٦) ، ومسلم (١٧٥٩).

أوساخ الناس وإنها لا تحِل لمحمدٍ ولا لآل محَمَّد »[1].

● الدليل الخامس : ما رواه مسلم في « صحيحه » : من حديث عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ أمر بكبش أقرن ، يطأ في سوادٍ - فذكر الحديث - وقال فيه : فأخذ النبي ﷺ الكبش ، فأضجعه ، ثم ذبحه ، ثم قال : « بسم الله ، اللهم تقبل من محمد ، وآل محمّد ، ومن أمة محمّد ». ثم ضحَّى به[2].

هكذا رواه مسلم بتمامه ، وحقيقة العطف المغايرة ، وأمته ﷺ أعم من آله .

قال أصحاب هذا القول : وتفسير الآل بكلام النبي ﷺ أولى من تفسيره بكلام غيره .

فصل

وأما القول الثاني : أنهم ذريته وأزواجه خاصة ، فقد تقدم احتجاج ابن عبد البر له ، بأن في حديث أبي حميد : « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته »[3]، وفي غيره من الأحاديث : « اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد »[4]، وهذا غايته أن يكون الأول منهما قد فسره اللفظ الآخر .

واحتجوا أيضًا بما في « الصحيحين » : من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا »[5].

---

(١) أخرجه مسلم ص ٧٥٤.

(٢) أخرجه مسلم (حديث١٩٦٧).

(٣) ، (٤) كلاهما قد تقدم .

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (حديث ١٠٥٥) .

ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة لم تنل كل بني هاشم ولا بني المطلب ؛ لأنه كان فيهم الأغنياء وأصحاب الجدة وإلى الآن . وأما أزواجه وذريته ﷺ فكان رزقهم قوتًا ، وما كان يحصل لأزواجه بعد من الأموال كن يتصدقن به ويجعلن رزقهن قوتًا . وقد جاء عائشة رضي الله عنها مال عظيم فقسمته كله في قعدة واحدة ، فقالت لها الجارية : لو خبيت لنا منه درهمًا نشتري به لحمًا ؟ فقالت لها : لو ذكرتني فعلت .

واحتجوا أيضًا بما في « الصحيحين » : عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما شبع آل محمدٍ ﷺ من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل[1]. قالوا : ومعلوم أن العباس وأولاده وبني المطلب لم يدخلوا في لفظ عائشة ولا مرادها .

قال هؤلاء : وإنما دخل الأزواج في الآل ، وخصوصًا أزواج النبي ﷺ تشبيهًا لذلك بالسبب ؛ لأن اتصالهن بالنبي ﷺ غير مرتفع ، وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة ، فالسبب الذي لهن بالنبي ﷺ قائم مقام النسب .

وقد نص النبي ﷺ على الصلاة عليهن ، ولهذا كان القول الصحيح ، وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله : أن الصدقة تحرم عليهن ؛ لأنها أوساخ الناس ، وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع وآله من كل أوساخ بني آدم ، ويا لله العجب كيف يدخل أزواجه في قوله ﷺ: «اللهم اجعل رزقَ آل محمد قوتًا »[2]، وقوله في « الأضحية » : « اللهم هذا عن محمد وآل محمد »[3]، وفي قول عائشة رضي الله عنها : ما شبع آل رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٣) ، وانظر مسلم (حديث ٢٩٧٠) .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) صحيح وقد تقدم .

من خبز بر[١]، وفي قول المصلي : « اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد »[٢]، ولا يدخلن في قوله : « إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد »[٣]، مع كونها من أوساخ الناس ، فأزواج رسول الله ﷺ أولى بالصيانة عنها والبعد منها .

فإن قيل : لو كانت الصدقة حرامًا عليهن لحرمت على مواليهن ، كما أنها لما حُرِّمتْ على بني هاشم حرمت على مواليهم ، وقد ثبت في الصحيح أن بريرة تصدق عليها بلحم فأكلته ، ولم يحرمه النبي ﷺ وهي مولاة لعائشة رضي الله عنها[٤].

قيل : هذا هو شبهة من أباحها لأزواج النبي ﷺ .

وجواب هذه الشبهة : أن تحريم الصدقة على أزواج النبي ﷺ ليس بطريق الأصالة ، وإنما هو تبع لتحريمها عليه ﷺ ، وإلا فالصدقة حلال لهن قبل اتصالهن به ، فهن فرع في هذا التحريم ، والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده ، فلما كان التحريم على بني هاشم أصلًا استتبع ذلك مواليهم ، ولما كان التحريم على أزواج النبي ﷺ تبعًا ، لم يقو ذلك على استتباع مواليهن ، لأنه فرع عن فرع .

قالوا : وقد قال الله تعالى : ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولًا معروفًا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية

---

(١) ، (٢) ، (٣) تقدمت قريبًا .

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٧٩) وفي غير موضع ، ومسلم (ص١١٤٣) .

الأولى وأقمنَ الصَّلاة وآتِين الزكاة وأطِعنَ الله ورسولَه إنما يُريدُ الله ليُذْهبَ عنكم الرجسَ أهل البيتِ ويطهركم تطهيرًا . واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب : ٣٠ - ٣٤] .

فدخلن في أهل البيت ؛ لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن ، فلا يجوز إخراجهن من شيء ، والله أعلم .

فصـــل

وأما القول الثالث : وهو أن آل النبي ﷺ أمته وأتباعه إلى يوم القيامة ..

فقد احتج له بأن آل المعظم المتبوع هم أتباعه على دينه وأمره ، قريبهم وبعيدهم .

قالوا : واشتقاق هذه اللفظة تدل عليه ، فإنه من آل يئول إذا رجع ، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم ؛ لأنه إمامهم ومؤئلهم .

قالوا : ولهذا كان قوله تعالى : ﴿ إلَّا آل لُوطٍ نجيناهم بسحر ﴾ [القمر : ٣٤] ، المراد به : أتباعه وشيعته المؤمنون به من أقاربه وغيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، المراد به : أتباعه .

واحتجوا أيضًا بأن واثلة بن الأسقع روى : أن النبي ﷺ دعا حسنًا وحسينًا ، فأجلس كل واحد منهما على فخذه ، وأدنى فاطمة رضي الله عنها من حجره وزوجها ، ثم لف عليهم ثوبه ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهلي » ، قال واثلة: فقلت: يا رسول الله ، وأنا من أهلك ؟ فقال : « وأنت من أهلي »[1] ورواه البيهقي بإسناد جيد .

---

(١) سنن البيهقي (٢/١٥٢).

قالوا : ومعلوم أن واثلة بن الأسقع من بني ليث بن بكر بن عبد مناة ، وإنما هو من أتباع النبي ﷺ .

فصــل

وأما أصحاب القول الرابع : أن آله الأتقياء من أمته .

فاحتجوا بما رواه الطبراني في « معجمه » : عن جعفر بن إلياس بن صدقة ، حدثنا نعيم بن حمّاد ، حدثنا نوح بن أبي مريم ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن أنس بن مالك ، قال : سُئل رسول الله ﷺ : مَنْ آلُ محمد ؟ فقال : « كل تقي » ، وتلا النبيُّ ﷺ : ﴿ إن أولياؤُه إلا المتقون ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، قال الطبراني : لم يروه عن يحيى إلا نوح ، تفرد به نعيم .

وقد رواه البيهقي : من حديث عبد الله بن أحمد بن يونس ، حدثنا نافع - أبو هرمز - ، عن أنس ، فذكره .

ونوح هذا ونافع - أبو هرمز - ، لا يَحتج بهما أحد من أهل العلم ، وقد رُميا بالكذب .

واحتج لهذا القول أيضًا بأن الله عز وجل قال لنُوحٍ عن ابنه : ﴿ إنه ليسَ مِنْ أهلِكَ إنّه عملٌ غيرُ صَالح ﴾ [هود : ٤٦] ، فأخرجه بشركه أن يكون من أهله ، فعُلم أن آل الرسول ﷺ هم أتباعه .

وأجاب عنه الشافعيُّ رحمه الله بجواب جيد ، وهو أن المراد أنه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم ، ووعدناك نجاتهم ؛ لأن الله سبحانه قال له قبل ذلك : ﴿ احمل فيها مِن كلٍّ زَوْجَيْن اثْنَيْنِ وأهلَكَ إلا مَن سَبَقَ عليه القَوْلُ ﴾ [هود : ٤٠] ، فليس ابنه من أهله الذين ضمن نجاتهم .

قلت : ويدلُّ على صحة هذا أن سياقَ الآية يدلُّ على أن المؤمنين قسمٌ

غيرُ أهله الذين هم أهله ؛ لأنه قال سبحانه :﴿ احمل فيها مِنْ كلٍّ زَوْجَيْن اثنين وأهلَكَ إلا مَن سَبَقَ عليه القَوْلُ ومَنْ آمَنَ ﴾ [هود : ٤٠] ، فمن آمن معطوف على المفعول بالحمل ، وهم الأهل والاثنان من كل زوجين .

واحتجوا أيضًا بحديث واثلة بن الأسقع المتقدم ، قالوا : وتخصيص واثلة بذلك أقرب من تعميم الأمة به ، وكأنه جعل واثلة في حكم الأهل تشبيهًا بمن يستحق هذا الاسم .

فهذا ما احتجَّ به أصحاب كل قول من هذه الأقوال .

والصحيح هو القول الأول ، ويليه القول الثاني . وأما الثالث والرابع فضعيفان ؛ لأن النبيَّ ﷺ قد رفعَ الشبهة بقوله : « إن الصَّدقةَ لا تحِلّ لآلِ محمَّد »[1]، وقوله : « إنما يأكلُ آلُ محمَّدٍ مِنْ هَذا المال »[2] ، وقوله : « اللَّهم اجعلْ رزقَ آلِ محمَّد قُوتًا »[3]، وهذا لا يجوز أن يُرادَ به عموم الأمة قطعًا . فأولى ما حُمل عليه الآل في الصَّلاة الآل المذكورون في سائر ألفاظه ، ولا يجوزُ العدولُ عن ذلك ، وأما تنصيصهُ على الأزواج والذرية ، فلا يدلُّ على اختصاص الآل بهم ، بل هو حجَّة على عدم الاختصاص بهم ؛ لما روى أبو داود من حديث نعيم المجمر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصَّلاة على النبيّ ﷺ : « اللَّهم صلِّ على محمّدٍ النبيِّ وأزواجهِ أمَّهاتِ المؤمنين ، وذُريَّته ، وأهل بيته ، كما صَلَّيْتَ على إبراهيم »[4]، فجمعَ بين الأزواج والذرية والأهل ، وإنما نصَّ عليهم بتعيينهم ليبيِّن أنهم حقيقون بالدخول في الآل ، وأنهم ليسوا بخارجين منه ، بل هم أحقُّ من دخل فيه ،

---

(١) صحيح وقد تقدم .
(٢) صحيح أخرجه البخاري (٦٧٢٦) ، ومسلم (١٧٥٩) من حديث أبي بكر رضي الله عنه .
(٣) صحيح وقد تقدم .
(٤) أخرجه أبو داود (٩٨٢) .

وهذا كنظائره من عطف الخاص على العام ، وعكسه ، تنبيهًا على شرفه ، وتخصيصًا له بالذكر من بين النوع ، لأنه من أحق أفراد النوع بالدخول فيه ، وهنا للناس طريقان :

● أحدهما : أن ذكر الخاص قبل العام أو بعده قرينة تدلُّ على أن المراد بالعام ما عداه .

● والطريق الثاني : أن الخاص ذكر مرتين مرة بخصوصه ومرة بشمول الاسم العام له تنبيهًا على مزيد شرفه ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيينَ ميثاقَهم ومنكَ ومِن نُّوحٍ وإبراهيمَ ومُوسى وعيسى ابنِ مريم ﴾ [الأحزاب : ٧] ، وقوله تعالى :﴿ مَن كانَ عَدُوًّا للَّهِ وملائكتِهِ ورسلِهِ وجبريلَ وميكالَ فإنَّ الله عدوٌّ للكافِرينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] .

وأيضًا فإن الصلاة على النبيِّ ﷺ حقٌّ له ولآله دون سائر الأمة ، ولهذا تجبُ عليه وعلى آله عند الشافعيِّ رحمه الله وغيره كما سيأتي ، وإن كان عندهم في الآل اختلاف ، ومن لم يُوجبها فلا ريب أنه يستحبُّها عليه وعلى آله ، ويكرهُها أو لا يستحبُّها لسائر المؤمنين ، أو لا يُجوِّزُها على غير النبيّ ﷺ وآله ، فمن قال : إن آله في الصَّلاة هم كالأمة ، فقد أبعد غاية الإبعاد .

وأيضًا فإن النبي ﷺ شرع في التشهد السلام والصلاة ، فشرع في السلام تسليم المصلِّي على الرسول ﷺ أولًا وعلى نفسه ثانيًا ، وعلى سائر عباد الله الصالحين ثالثًا ، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « فإذَا قُلتُم ذلك فقد سَلَّمتُم على كلِّ عبدٍ لله صالح في السَّماءِ والأرض »[1]، وأما الصَّلاة فلم يشرعها إلا عليه وعلى آله فقط ، فدلَّ على أن آله هم أهلُه وأقاربُه .

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣١) وفي عدة مواضع من صحيحه . ومسلم (٤٠٢) ولفظه « فقد أصبتم ... » .

وأيضًا فإن الله سبحانه أمرنا بالصَّلاة عليه بعد ذكر حقوقه وما خصَّه به دون أمته من حِلِّ نكاحه لمن تَهَبُ نفسَها له ، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة بعده ، ومن سائر ما ذُكر مع ذلك من حقوقه وتعظيمه وتوقيره وتبجيله .

ثم قال تعالى : ﴿ وما كانَ لَكُم أن تُؤذُوا رسولَ الله ولا أن تَنكِحُوا أَزْوَاجَه من بعدِه أبَدًا إنَّ ذَلِكُم كانَ عِندَ الله عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهنَّ آباءَهنَّ وأبناءهن ودخولهم عليهن ، وخلوتهم بهن ، ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته ، وهو أمرُهم بصلاتهم عليه وسلامه ، مستفتحًا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكتُه يُصلُّون عليه ، فسأل الصحابةُ رسول الله ﷺ : على أي صفة يُؤدُّون هذا الحقَّ ؟ فقال : « قولوا اللهم صلِّ على محمَّد وعلى آل محمد »[1]، فالصَّلاة على آله هي من تمام الصَّلاة عليه وتوابعها ، لأن ذلك مما تقُر به عينُه ، ويزيدُه الله به شرفًا وعُلوًّا . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

وأما من قال إنهم الأتقياء من أمته ، فهؤلاء هم أولياؤُه ، فمن كان منهم من أقربائه فهو من أوليائه ، ومن لم يكن منهم من أقربائه ، فهم من أوليائه ، لا من آله . فقد يكون الرجل من آله وأوليائه ، كأهل بيته والمؤمنين به من أقاربه ، ولا يكون من آله ولا من أوليائه ، وقد يكون من أوليائه وإن لم يكن من آله ، كخلفائه في أمته الداعين إلى سنته ، الذَّابِّين عنه ، الناصرين لدينه ، وإن لم يكن من أقاربه . وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال :« ألا إنَّ آلَ أبي فُلان ليسوا لي بأولياء ، إنْ أَوْلِيَائي المتَّقونَ أينَ كانُوا

---

(١) صحيح وقد تقدم .

ومَنْ كَانُوا »[1]، وغلط بعض الرواة في هذا الحديث وقال :« إنَّ آلَ أبي ... بياض » .

والذي غرَّ هذا أن في الصحيح : « إن آل بني ... ليسوا لي بأولياء » ، وأخلى بياضًا بين « بني » وبين « ليسوا » فجاء بعضُ النسَّاخ فكتب على ذلك الموضع « بياض » يعني أنه كذا وقع ، فجاء آخر فظنَّ أن « بياض » هو المضاف إليه ، فقال : أبي بياض ، ولا يُعرف في العرب أبو بياض ، والنبيُّ ﷺ لم يذكر ذلك ، وإنما سمَّى قبيلة كبيرة من قبائل قريش ، والصَّوَابُ لمن قرأها في تلك النسخ أن يقرأها إن آل بني « بياض » بضم الضاد من بياض لا بجرِّها . والمعنى : وثمَّ بياضٌ ، أو هنا بياضٌ .

ونظير هذا ما وقع في كتاب مسلم في حديث جابر[2] الطويل : « ونحن القيامة – أي : فوق كذا انظر – » ، وهذه الألفاظ لا معنى لها هنا أصلًا ، وإنما هي من تخليط النُسَّاخ ، والحديث بهذا السند والسياق في مسند الإمام أحمد : « ونحنُ يومَ القيامةِ على كومٍ أو تَلٍّ فوقَ النَّاس »[3]، فاشتبهَ على الناسخ التَّلُّ أو الكَوْمُ ، ولم يفهم ما المراد فكتبَ في الهامش « انظر » ، وكتبَ هو أو غيره « كذا » فجاء آخر فجمع بين ذلك كله وأدخله في متن الحديث ، سمعته من شيخنا أبي العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله .

والمقصود أن المتقين هم أولياءُ رسول الله ﷺ ، وأولياؤه هم أحبُّ إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) ، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا : « ألا إن آل أبي (فلان) ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين » .

(٢) أخرجه مسلم (١٩١) وفيه أن جابرًا سئل عن الورود فقال : نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا .

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٤٥) وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال .

من آله . قال الله تعالى : ﴿ وإنْ تَظَاهَرَا عليه فإنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وجبريلُ وصَالحُ المؤمنينَ والملائِكَةُ بعدَ ذَلكَ ظَهيرٌ ﴾ [التحريم : ٤] ، وسُئل النبيُّ ﷺ أيُّ النَّاس أحبُّ إليكَ ؟ قال : « عائشة » رضي الله عنها ، قيل : مِنَ الرِّجال ؟ قال : « أبوها »[1] متفق عليه .

وذلك أن المتقين هم أولياءُ الله كما قال تعالى : ﴿ ألا إنَّ أَوْلياءَ الله لا خَوْفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنُون . الذينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُون ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٣] ، وأولياء الله سبحانه وتعالى أولياء لرسوله ﷺ .

وأما من زعم أن الآلَ هم الأتباع ، فيُقال : لا ريبَ أن الأتباعَ يُطلق عليهم لفظ « الآل » في بعض المواضع بقرينة ، ولا يلزم من ذلك أنه حيث وقع لفظ « الآل » يُراد به الأتباع ، لما ذكرنا من النصوص ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد لامرأة عمران اسم صحيح ؟

ج : لم أقف على شيء صحيح عن رسول الله ﷺ يفيد ذلك ولكن أهل التفسير ذكروا أن اسمها حنَّة بنت فاقوذ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه قول امرأة عمران : ﴿ إني نذرت لك ما في بطني محررًا ﴾ [آل عمران: ٣٥] ، وهل يصح مثل هذا النذر ؟

ج : في الغالب - كما ذكر بعض أهل العلم - أن المرء إنما يريد وَلده

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥٨) ، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث ابن عمرو مرفوعًا .

للأنس به والاستنصار والتسلي ، ومنهم من يريده كي يُذكر به بعد موته وأن يستغفر له كذلك ، فكان من شأن امرأة عمران لما منَّ الله تبارك وتعالى عليها بالحمل أنها نذرت أن حظها به من الأُنس متروك لله ونصيبها منه متروك لخدمة بيت الله عز وجل ، ومثل هذا النذر صحيح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام قول امرأة عمران بـ ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ [آل عمران : ٣٥] ؟

ج : وجه ذلك أنها لما نذرت ما في بطنها لله عز وجل توسلت إلى الله بأسمائه التي تتوافق مع حالها ، فقالت : إنك أنت السميع (أي : لأقوالي ودعائي وتضرعي إليك) ، العليم (بنيتي وضميري وما يدور في نفسي وخلدي) والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أهل الخير والصلاح وأهل التُّقى والإيمان يعملون أعمالًا صالحة ولا يغترون بها بل يسألون الله القبول ، وأهل الشر والفساد والكفر والنفاق يرتكبون الكبائر ويدَّعون ولاية الله عز وجل لهم ومغفرته لذنوبهم ، وضح ذلك ؟

ج : نعم أهل الخير والصلاح وأهل التقى والإيمان يعملون الصالحات ويسألون الله القبول ، فهذا هو الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .. ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وهذه امرأة عمران تقول : ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محررًا

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾ [آل عمران : ٣٥] .

● وهؤلاء عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ومع ذلك يقولون : ﴿ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا إنها ساءت مستقرًّا ومقامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥ ، ٦٦] .

● وهذا هو عبد صالح ﴿ قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا ﴾ ومع ذلك ﴿ يحذر الآخرة ويرجواْ رحمة ربه ﴾ [الزمر : ٩] .

● وهذا المُحدث الملهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ما فعل من خير ويقول : (وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي)[1] .

● وهؤلاء أهل التقى والإيمان بصفة عامة ، يقول الله عز وجل فيهم : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾[2] [المؤمنون : ٦٠] .

●● أما أهل الشر والفساد والكفر والنفاق فيعملون السيئات بل ويرتكبون أكبر الكبائر من إشراك بالله وقتلٍ وزنا و ..، ولا يبالون ولا يهتشون .

● فهؤلاء اليهود والنصارى ينقضون العهود والمواثيق ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾ [آل عمران : ٢١] ويدعون لله الولد والشريك ومع ذلك كله يقولون : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠) .
(٢) وسيأتي لذلك مزيد عن هذه الآية الكريمة إن شاء الله عز وجل .

وكما قال سبحانه : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

❋ ❋ ❋

س : من أي أنواع النذر قول امرأة عمران : ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محررًا ﴾ [آل عمران : ٣٥] ؟

ج : الذي يظهر لي أن هذا النذر نذر ابتداء ، وليس نذر عوض ، وذلك لأنه لم يرد سبب صحيح لهذا النذر ، والعلم عند الله تبارك وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [آل عمران : ٣٦] أحد الوجوه فيه أن امرأة عمران هي قائلته ، وذكره الله تبارك وتعالى حكاية عنها ، فهل في هذا النص تفضيل الذكر على الأنثى ؟ وإذا كان كذلك فكيف تجمع بينه وبين قول الله تبارك وتعالى : ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا ﴾ [النساء : ١١] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [آل عمران : ٣٦] أي : في القوة والجلادة والصبر والمقدرة على خدمة المسجد ، وهذا الذي أرادته امرأة عمران بنذرها ، فإن كان ثَمَّ تفضيل للذكر على الأنثى في هذا المقام فهو في هذا الجانب جانب القوة والجلد وخدمة المسجد :

وثم أوجه أُخر لتفضيل الذكور على الإناث ليس محلها هنا ، منها : قوامة الرجل على المرأة ، وكون الأنبياء والرسل عليهم السلام رجالًا و ... .

● أما قوله تعالى: ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا ﴾ [النساء : ١١] فقد يحمل على النفع في الآخرة، فبقيام الرجل على بناته وإحسانه

تربيتهن يأتي مع رسول الله ﷺ كما قال عليه السلام : « من عال جاريتين حتى تبلغا ؛ جاء يوم القيامة أنا وهو (وضم أصابعه) »[1]، وقد يكون النفع في الدنيا أيضًا ، فكم من رجل انتفع ببناته ، وكنَّ سببًا لسعادته في الدنيا ، وكم من رجل أُرهق طغيانًا وكفرًا بسبب بنيه الذكور ، ولا يخفى في الباب حديث الطفل الرضيع الذي كانت ترضعه أمه ، وحديثه في الصحيحين[2] وفيه : « ... وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل ، فمر رجل راكب ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه – ثم مرَّ بأمةٍ ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها ، فقالت : لم ذاك ؟ فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون : سرقتِ زنيتِ ولم تفعل»[3].

* * *

س : متى تشرع تسمية المولود ؟ وما الدليل على ذلك ؟

ج : تشرع تسمية المولود فور ولادته ، وذلك لقول امرأة عمران حين وضعت مريم عليها السلام : ﴿ وإني سميتها مريم ﴾ [آل عمران : ٣٦]، ولما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم »[4]. ولما ثبت من أن أنس بن مالك رضي الله عنه ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله[5] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٦) ، ومسلم (ص١٩٧٦ – ١٩٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) وفي رواية : « وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل » .

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٣١٥) ، وأبو داود (٣١٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وإسناده صحيح .

(٥) أخرجه مسلم (٢١٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

● وثبت أيضًا أن رجلًا قال : يا رسول الله وُلد لي الليلة ولد فما أُسميه؟ قال : « سم ولدك عبد الرحمن »[1] .

وثبت - أيضًا - أن أبا أسيد ولد له ولد فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرده إلى منزلهم ، فلما ذكر رسول الله ﷺ في المجلس سماه المنذر[2] .

● ويجوز لمن توقع أن يرزق بولد أن يسميه قبل ولادته تيمنًا أو استبشارًا أو نحو ذلك ، قال الله سبحانه : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [هود : ٧١] .

● وأيضًا يجوز أن يؤخر الاسم إلى اليوم السابع من ولادة الطفل لحديث : « كل غلام رهين بعقيقته ، يذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى ويحلق رأسه »[3] وأيضًا تجوز التسمية بعد السابع لعدم ورود نهي عن ذلك ، ولعدم ورود أمر بتحديد وقت التسمية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي التعوذات المشروعة التي ينبغي أن يفعلها الرجل لحفظ بنيه ؟ والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين .

ج : لحفظ الطفل تشرع جملة من التعوذات منها :

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٨٦) ، ومسلم (١٦٨٤/٣) ، وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٦١٩١) ، ومسلم (٢١٤٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٨٣٨) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا .

● قبل الولادة عند جماع الرجل لزوجته فليقل : « بسم اللهم جنبني الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا » ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : بسم الله اللهم جنبني الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قُدِّر بينهما في ذلك ، أو قُضي ولدٌ لم يضره شيطان أبدًا »[1] .

● ومنها : عند الولادة لقول امرأة عمران لما وضعت مريم عليها السلام : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

● ومنها : الاستمرار في تعويذهم عند طفولتهم لما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : « إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »[2] .

● ومنها : كف الصبيان وحفظهم عند المساء لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في الصحيحين وفيه : أن النبي ﷺ قال : « إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم ، فأغلقوا الأبواب ، واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا ، وأوكوا قربكم ، واذكروا اسم الله وخمِّروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا ، وأطفئوا مصابيحكم »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٢٨/٩) ، ومسلم (مع النووي ٥/١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .
(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح٦/٤٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨٨/١٠) ، ومسلم (مع النووي ١٨٣/١٣) من حديث جابر بن الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وتعليمهم سائر الأذكار التي يحفظهم الله تبارك وتعالى بها[1] .

❋ ❋ ❋

س : قول رسول الله ﷺ : « أما إن أحدهم إذا أتى أهله فقال : اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما ولد لم يضره شيطان أبدًا » كيف تفهم هذا الحديث في ظل الواقع الذي نعيشه ؟ فقد يقول شخص : هذا الدعاء عند الجماع ويرزق بولد ، ولا بد أن يصدر من هذا الولد – يومًا ما – عصيان ، ولا بد وأن يأتي – يومًا ما – بذنب لقول النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »[2]، ولقول النبي ﷺ : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعين تزني وزناها النظر ... »[3] الحديث أو بتعبير آخر كيف تجمع بين الحديث الأول : « أما إن أحدهم » والأحاديث المذكورة ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – أن الشيطان لا يتسلط عليه ويوقعه في الشرك فهو – أي إبليس – وإن أوقعه في بعض الذنوب لكن لا يوقعه – بإذن الله – في الشرك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر رسالة لي في هذا الشأن اسمها : العواصم من الشيطان .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٦٦١٢) ، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِّجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » .
هذا أحد ألفاظ مسلم .

س : هل ترى أن دعوة امرأة عمران ﴿ .. وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران : ٣٦] استجيبت ؟ وضح ذلك ؟

ج : نعم ، نرى – والله أعلم – أن دعوة امرأة عمران استجيبت ، فقد رزقها الله عز وجل بمريم عليها السلام ، التي اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ، وجعلها وابنها آية للعالمين ، وثبت عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان ؛ إلا ابن مريم وأمهِ » ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾[1] [آل عمران : ٣٦] .

قال القرطبي رحمه الله في التفسير : قال علماؤنا : فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم ، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء ؛ إلا مريم وابنها ، قال قتادة : كل مولود يطعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى وأمه ، جُعل بينهما حجاب فأصابت الطعنة الحجاب ، ولم ينفذ لها منه شيء ، قال علماؤنا : وإن لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما ، ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه ، فإن ذلك ظن فاسد فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ، ومع ذلك فعصمهم الله مما يرومه الشيطان، كما قال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢]، [الإسراء: ٦٥]، هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكِّل به قرينه من الشياطين ، كما قال رسول الله ﷺ . فمريم وابنها فإن عصما من نخسة الشيطان فلم يعصما من ملازمته لها ومقارنته ، والله أعلم .

قلت: والذي يظهر لي أن الله عز وجل أمدهما بمزيد حفظ، فإن الأنبياء عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٨) ، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

صلوات الله وسلامه - باستثناء نبينا محمد ﷺ - حينما دُعوا إلى الشفاعة ذكروا ذنوبًا ، فلما أتوا عيسى عليه السلام لم يذكر ذنبًا ، وقال : اذهبوا إلى محمد ﷺ ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : يفهم من قوله تعالى : ﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] أن امرأة عمران قالت : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ بعد ولادة مريم عليها السلام ، وهذا شيء ، والشيء الآخر أن أبا هريرة رضي الله عنه لما ذكر حديث رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد ؛ فيستهل صارخًا من مَسِّه إياه ؛ إلا مريم وابنها »[1]، ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فقد يفهم من هذا الشيء الآخر أن الاستدلال لا يتم لأبي هريرة رضي الله عنه ؛ لأن امرأة عمران قالت : ﴿ وإني أعيذها ﴾ بعد الوضع ، والشيطان إنما يطعن عند الوضع فمن ثمَّ لا يتم لأبي هريرة رضي الله عنه استدلاله الذي استدل به !! علِّق على هذا الكلام ؟

ج : ابتداءً قد ورد عن رسول الله ﷺ ما قد تقدم من حفظ الله تبارك وتعالى لمريم وابنها عند وضع مريم لعيسى عليهما السلام ، وهذا الذي قد يبدو أنه إشكال أثير بتصرف في تفسير (فتح البيان في مقاصد القرآن)[2]، ونقله عن غيره ولم يوفق الذي أثاره بإثارته إذ هو قد فهم الأمر على غير وجهه كما سنبينه إن شاء الله تبارك وتعالى قال رحمه الله[3] : وفي المقام إشكال

---

(١) صحيح وتقدم قريبًا .

(٢) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن لصاحبه صديق حسن خان .

(٣) ختمت هذه المقالة بقوله : قاله سليمان الجمل كما سترى .

قوي لم أر من نبه عليه ، وحاصله أن قولها : ﴿ وإني أعيذها بك ﴾ معطوف على ما قبله الواقع في حيز لما وضعتها فيقتضي أن طلب هذه الإعاذة إنما وقع بعد الوضع ؛ فلا يترتب عليه حفظ مريم من طعن الشيطان وقت نزولها وخروجها من بطن أمها ، فلا يتلاقى الحديث مع الآية ، بل مقتضى ظاهر الآية أن إعاذتها من الشيطان إنما كان بعد وضعها ، وهذا لا ينافي تسلط الشيطان عليها بطعنها ونخسها وقت ولادتها الذي هو عادته ، فإن عادته طعن المولود وقت خروجه من بطن أمه ، تأمل ، قاله سليمان الجمل .

قلت : كذا قال ، وكأنه فهم – غفر الله له – أن المراد بقوله عليه السلام : « إلا مريم وابنها » أن مريم حفظت هي وامرأة عمران عندما وضعتها امرأة عمران ، وكذلك حفظ عيسى عليه السلام وأمه حينما وضعته أمه ، وهذا الذي فهمه أولًا ليس بجيد إنما المراد – والله أعلم – بقوله عليه السلام : « إلا مريم وابنها » أي : إلا مريم عند ولادتها لابنها ، وليس فيه تعلق بامرأة عمران ولا تعرض لها ، ومن ثمَّ لا إشكال ؛ لأن امرأة عمران لما وضعت مريم قالت : ﴿وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦] فأعاذ الله تبارك وتعالى مريم وابنها عند ولادتها من الشيطان الرجيم ، فذهب يطعن فطعن في الحجاب على ما ورد في الحديث ، والله تبارك وتعالى أعلم .

وما كان ينبغي لهذه الشبهات أن تطرح بدون جواب عليها ، ولو أمعن كاتبها النظر لتبين له خطؤه عفا الله عنه .

* * *

س : اذكر بعض الكرامات التي يكرم الله عز وجل بها أولياءه في الدنيا ؟

ج : تلك كرامات لا تنتهي ، يكرم الله بها الأنبياء والصالحين في الحياة الدنيا

● فأغرق الله عز وجل الأرض بمن عليها ؛ إلا نوحًا عليه السلام ومن آمن به كرامة لنوح عليه السلام ، وانتقامًا من القوم الظالمين ، قال تعالى : ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ﴾ [العنكبوت : ١٥] .

● وجعل الله عزَّ وجل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام : ﴿ قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

● وفدى الله إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم .

● وأيد الله عز وجل موسى بالآيات البينات التسع ، وأغرق الله فرعون وآله إكرامًا لموسى عليه السلام .

● وشفى الله عز وجل أيوب بعد مرض لبث به ثمانية عشر سنة وعجز الأطباء عن علاجه ، وأنزل الله عليه جرادًا من ذهب وجرادًا من فضة ، فأغناه الله عز وجل ، ورد عليه عافيته لما اغتسل بالماء البارد[1] وشرب منه ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [صٓ : ٤٢] .

● وسخر الله عز وجل لداود الجبال يسبحن معه والطير ، وعلمه الله صنعة لبوس ، وألان له الحديد .

● وسخر الله لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناءٍ وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد .

● أما مريم عليها السلام فكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد رزق الله عندها ، وولدها عيسى عليه السلام جعله الله معها آية للعالمين ، وكان عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله وينبىء القوم

---

(١) أخرجه ابن حبان (موارد ٢٠٩١) ، وأبو يعلى الموصلي (٦/٢٩٩) ، والحاكم (٢/٥٨١) من حديث أنس رضي الله عنه بإسناد صحيح .

بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله إياه .

● أما ما أيد الله به رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام فلا يكاد يحصى، فأيده الله عز وجل بالقرآن المعجزة التي لا تنتهي إلى قيام الساعة ، وأسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به إلى السماء السابعة ، وشق القمر على عهده آية له عليه الصلاة والسلام ، وحنَّ الجذع له عليه الصلاة والسلام ، وتأدب الحيوان معه ، وأذعنت الأشجار إليه ، وسلمت الأحجار عليه ، وبورك له في الماء القليل ، وكَثَّر الله له الطعام اليسير ، وسبح الطعام على عهده ﷺ ، وشفى الله الأمراض المستعصية على يديه بدون دواء حسي ، وأعلمه الله بأمور لم تكن وقعت فوقعت ، كما أخبر عليه الصلاة والسلام ، وأمور وقعت بعيدًا عنه فأخبر بها فور وقوعها ، وحفظه الله ، وآتاه الله عز وجل قوة في بدنه فكان يطوف على تسع نسوة في ليلة واحدة[1] ، وأظهر الله دينه وأعز أولياءه ، وأكرم أصحابه ببركة اتباعهم له عليه الصلاة والسلام .

● فشرب خالد السمَّ فلم يضره .

● وأضاءت العصى لأُسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما ، وسلمت الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه .

● ورزق الله خبيبًا ، وحمى عاصمًا ببركة إيمانهما وتصديقهما لرسول الله ﷺ .

● وتنزلت الملائكة على أسيد بن حضير لتلاوته القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ[2] .

---

(١) انظر كل هذه مطولة في : الصحيح المسند من دلائل النبوة لشيخنا مقبل الوادعي حفظه الله ، وكلها صحيحة .

(٢) انظر تلك الأحاديث في كتابنا : الصحيح المسند من فضائل الصحابة ، وكلها صحيحة.

إلى غير ذلك من الكرامات التي أكرم الله عز وجل بها أولياءه رحمهم الله .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا ﴾ [آل عمران : ٣٧] ؟

ج : أما معنى قوله تعالى : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ﴾ : أن الله عز وجل تقبلها من أمها لما نذرت ما في بطنها ، ورضيها وفاءً للنذر الذي نذرته ، وسلك الله بها مسلك السعداء وطريق الأتقياء .

● أما قوله تعالى : ﴿ وأنبتها نباتًا حسنًا ﴾ فالمراد أنه سبحانه سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان ، وأعطاها منظرًا جميلًا وحُسنًا وبهاءً ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وكفلها زكريا ﴾ [آل عمران : ٣٧] ؟

ج : المعنى : أن الله عز وجل جعله كافلًا لها ، وقيل : ضمها إليه[1] .

* * *

س : ما معنى المحراب ؟

ج : المحراب هو : صدر المجلس ، وهو أكرم موضعٍ فيه .

* * *

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري (٦٩٠٤) بإسناد حسن إلى قتادة ﴿ وكفلها زكريا ﴾ : ضمها إليه .

س : ما هي درجة القرابة بين يحيى وعيسى عليهما السلام ؟

ج : يحيى وعيسى عليهما السلام ابنا خالة لما ورد في الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث المعراج : « فإذا أنا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة »[1] .

✹ ✹ ✹

س : كيف توجه قول من قال : إن امرأة زكريا كانت خالة مريم ؟

ج : هذا القول في حالة ثبوته يمكن توجيهه بأن يقال : إن خالة الأم يطلق عليها خالة أيضًا ، وعلى ذلك يكون يحيى ومريم ابني خالة ، ومن ثم يكون يحيى وعيسى ابني خالة لكون يحيى ابن خالة أمه مريم ، والله تعالى أعلم .

✹ ✹ ✹

س : ما مدى صحة حديث : « الخالة بمنزلة الأم » وما مناسبته ؟

ج : الحديث ثابت صحيح ، ومناسبته أن عليًّا وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة اختصموا في ابنة حمزة من يكفلها ، فقضى النبي ﷺ أن تكون عند خالتها (امرأة جعفر) وقال : « الخالة بمنزلة الأم »[2] .

✹ ✹ ✹

س : ما المراد بالرزق في قوله تعالى : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا ﴾ [آل عمران : ٣٧] ؟

ج : ذهب فريق من العلماء إلى أن المراد بالرزق (فاكهة الشتاء في

---

(١) وهو في مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (حديث ١٦٢) ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « ...فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما » .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما مرفوعًا .

الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء)[1]، وذهب آخرون إلى أن المراد بالرزق : العلم ، والقول الأول عليه أكثر العلماء ، لكن تقييد الرزق بأن يكون فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف يحتاج إلى الدليل ، والآية تفيد أعم من ذلك ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : هل صحيح أن مريم وفاطمة كانتا لا تحيضان ؟

ج : لم نقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك ، والأصل أنهما كسائر بنات آدم ، وقد قال النبي ﷺ لعائشة لما حاضت : « هذا شيء كتبه الله على بنات آدم »[2]. ومن المعلوم أن مريم وفاطمة يدخلان في بنات آدم ، وعليه فالقول بأنهما تحيضان أولى من القول بأنهما لا تحيضان ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : اذكر طرفًا من فضل مجالسة الصالحين ؟

ج : مما ورد في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلًا يتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا بينهم وبين سماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله عز وجل – وهو أعلم بهم –: من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك ، قال : وماذا يسألونني ؟ قالوا : يسألونك جنتك ،

---

(١) وهذا قول جمهور المفسرين .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤)، ومسلم (ص٨٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك ، قال : ومم يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يا رب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك ، قال : فيقول : قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال : فيقولون : ربِّ فيهم فلان عبد خطاء إنما مرَّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[1].

● وورد في ذلك حديث رسول الله ﷺ : « إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة »[2].

● وفي التنزيل : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

● وقد منَّ الله عز وجل على مريم عليها السلام لما كفلها زكريا عليه السلام فتربت في بيت نبوة ونشأت فيه ، فاقتبست من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولما منَّ الله عز وجل عليها بالرزق ورأى ذلك زكريا عليه السلام استفاد هو الآخر من ذلك فدعا ربه قائلًا : ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ [آل عمران : ٣٨ - ٣٩] فاستفاد كل منهما من الآخر .

---

(١) أخرجه مسلم (جـ١٧/ص١٤ مع النووي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وأخرجه البخاري من طريق آخر أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أيضًا .

(٢) أخرجه البخاري (٢١٠١) ، (٥٥٣٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وأما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة » .

● وبمجالسة الصالحين يرزق الله العبد محبتهم ، ومن أحب قومًا حُشر معهم .

● وبمجالسة الصالحين نقتبس من أخلاقهم وطيب نجواهم التي يتناجون فيها بالبر والتقوى ، والأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس ، ومن ثمَّ يؤتينا الله أجرًا عظيمًا .

● وبمجالستهم تسمع آذاننا الخير ، وترى أبصارنا المعروف ، وتخطو أرجلنا إلى الإحسان .

● ألا ترى أن أصحاب رسول الله ﷺ هم خير القرون وخير الناس ؛ لصحبتهم لخير ولد آدم محمد ﷺ .

● ألا ترى أن التابعين لصحبتهم أصحاب رسول الله ﷺ كانوا خير الناس بعد الصحابة .

● وإذا انتقلنا نقلة بعيدة نرى أنه حتى المنافقين (الذين هم أهل كفر ونفاق) ممن يسكنون مدينة رسول الله ﷺ أقل في نفاقهم من أهل النفاق البعيدين عن مدينة رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ [التوبة : ٩٧] أي : أشد كفرًا ونفاقًا من منافقي المدينة على وجه الإجمال كما ذكره بعض العلماء .

● وكذلك النصارى الذين يساكنون المسلمين في ديارهم أقل كفرًا من النصارى الذين يساكنون الملاحدة مثلًا ، فترى النصراني الذي يسكن بلاد المسلمين يستحي مثلًا من الزنا ، بينما النصراني الذي يساكن الملاحدة لا يكاد يلتفت إلى إثم الزناة ، ولا يجد في نفسه أدنى حياء عند اقترافه لهذه الكبيرة ، وهكذا والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يستحب طلب الولد ومن ثمَّ النكاح أم لا ؟ اذكر أدلة على ذلك ؟

ج : نعم يستحب طلب الولد ومن ثمَّ النكاح ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها ما يلي :

١ - قول زكريا عليه السلام : ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾ [الرعد : ٣٨] .

٣ - قول عباد الرحمن : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

٤ - قول الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ [الشعراء : ٨٤] .

❋ ❋ ❋

س : قد يستدل جاهل على أن الملائكة إناث بقول الله تبارك تعالى : ﴿ فنادته الملائكة ﴾ [آل عمران : ٣٩] ، فكيف يُوجَّه هذا ؟

ج : هذا استدلال لا يصح ، فابتداء أنكر الله عز وجل على المشركين مقالتهم التي قالوها ، وزعموا فيها أن الملائكة إناث .

● قال سبحانه : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [الزخرف : ١٩] ثم إن العرب تقول : قال الرجال ، وقالت الرجال .

وقد قال الله سبحانه : ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] .

وقال سبحانه : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ [الرعد : ٢٣] .

وقال عز وجل : ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم .... ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فنادته الملائكة ﴾ [آل عمران : ٣٩] هل المراد عموم الملائكة نادوه عليه السلام أم بعضهم ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الذي ناداه هم عموم الملائكة لظاهر الآية الكريمة ، بينما ذهب آخرون إلى أن الذي ناداه هو جبريل عليه السلام ، وقد تطلق الملائكة ويراد بعضهم كما في قوله تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [النحل : ٢] فالمراد بالملائكة جبريل عليه السلام عند فريق من العلماء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ [آل عمران : ٣٩] فضل الجلوس في المواطن الصالحة وضح ذلك ؟

ج : نعم فيها فضل الجلوس في المواطن الصالحة ، فالملائكة لم تناد زكريا عليه السلام وتبشره بيحيى في سوق من الأسواق ، ولا في خلاء لقضاء الحاجات ، ولا في نادٍ للعب ، ولا في مسرح ، ولا في شارع من الشوارع ، بل نادته وهو قائم يصلي في المحراب ، ففيه فضل المسجد وأن الخير يتنزل فيه ، وقد قال النبي ﷺ : « والملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه

الذي يصلي فيه ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ... ما لم يُحدث ما لم يؤذ »[1].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مصدقًا بكلمة من الله ﴾ [آل عمران : ٣٩] ؟

ج : أما قوله كلمة من الله فهو : عيسى عليه السلام ، والمعنى – والله أعلم – أن يحيى عليه السلام يصدق بعيسى عليه السلام ، أي : أنه يؤمن به وبرسالته ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على عيسى عليه السلام كلمة من الله ؟

ج : أطلق على عيسى عليه السلام كلمة من الله لأمور :

منها : أنه خلق بكلمة كن .

ومنها : أي معنى كونه كلمة من الله أي معجزة من الله .

ومنها : أنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى كلمة (سيد) وهل يجوز إطلاق ذلك على البشر ؟

ج : معنى (سيد)[❋] السيد من ساد قومه ، وهو الذي يرجع إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدث ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ... » .

(❋) وصح عن قتادة أنه قال : (وسيدًا) إي والله لسيد في العبادة والحلم والعلم والورع ، أخرجه الطبري بإسناد حسن (٦٩٦٦) .

قومه ، وينتهون إلى قوله ، وقيل : السيد هو الكريم ، وقيل : هو الفقيه العالم ، وقيل : هو الشريف في العلم والعبادة ، ويجوز تسمية الإنسان سيدًا .

● لقول الله تبارك وتعالى في شأن يحيى : ﴿ وسيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين ﴾ .

● وقال النبي ﷺ لأصحابه يوم بني قريظة لما قدم سعد بن معاذ رضي الله عنه : « قوموا إلى سيدكم »[1] .

● وقال النبي عليه الصلاة والسلام في شأن الحسن رضي الله عنه : « إن ابني هذا سيدٌ ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[2] .

● وقال عمر رضي الله عنه في شأن أبي بكر وبلال : (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا)[3] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ حصورًا ﴾ وما هو الأثر الوارد عن عبد الله بن عمرو بن العاص في ذلك ، وما مدى صحته ؟

ج : أما الحصور ففيه أقوال :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٨٠٤) ، ومسلم (حديث ١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٤٦) ، وأبو داود (٤٦٦٢) ، والترمذي (٣٧٧٣) ، والنسائي (الفضائل ٦٣) ، وغيرهم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) صحيح ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠١٤) ، وابن سعد في الطبقات (١٦٦/١/٣) .

• الحصور الذي لا يأتي النساء (فهو ما معه إلا مثل الهدبة)[1].

• وقيل : الحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن .

• وقيل : الحصور الممنوع من الفواحش والقاذورات ، فأصل الإحصار المنع .

أما أثر عبد الله بن عمرو بن العاص ففيه : (ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا) ، ثم قرأ سعيد : ﴿ وسيدًا وحصورًا ﴾ ، ثم أخذ شيئًا من الأرض فقال : الحصور ما كان ذكره مثل ذي ، وأشار يحيى (بن سعيد) القطان بطرف إصبعه السبابة .

وسنده صحيح موقوفًا ، لكن لعل عبد الله بن عمرو تلقاه من الإسرائيليات ، فهو معروف برواية الإسرائيليات . والله أعلم .

***

س : قال الله سبحانه وتعالى في شأن يحيى عليه السلام : ﴿ ونبيًّا من

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب أنه قال : ليس أحد إلا يلقى الله عز وجل يوم القيامة ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا كان حصورًا معه مثل الهدبة (الطبري في التفسير ٦٩٨٢) .

وصح عن عبد الله بن عمرو موقوفًا عليه نحو التفسير المذكور عن ابن المسيب للحصور ، وقد روي عن ابن عمرو عن النبي ﷺ ، ورجح ابن كثير أنه موقوف على ابن عمرو من قوله ، وهذا الذي رجحه ابن كثير رحمه الله هو ما تطمئن إليه نفسي .

وانظر هذه المصادر : (الزهد لأحمد ١١٤١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٤٨٣/٢) ، وتفسير الطبري عند الآية المذكورة .

الصالحين ﴾ [آل عمران : ٣٩] ، وقال سليمان عليه السلام : ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النمل : ١٩] فهل الصلاح أعلى أم النبوة؟

ج : الصلاح أعم من النبوة ، فإذا انضم إلى الصلاح نبوة كان أعلى من الصلاح بلا نبوة ، قال النبي ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « إن عبد الله رجل صالح »[1]، فالصلاح هنا بلا نبوة فهو فضل ؛ ولكنه أقل من الصلاح مع النبوة ولا شك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بُشر زكريا عليه السلام ببشارة طيبة وهي البشارة بيحيى عليه السلام ، فهل من بشارة أخرى بُشر بها زكريا عليه السلام ؟

ج : نعم بشر زكريا عليه السلام ببشارة أخرى ألا وهي إيمان يحيى عليه السلام وعفته ونبوته وصلاحه .

❋ ❋ ❋ .

س : دعا زكريا عليه السلام ربه عز وجل بقوله : ﴿ ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران : ٣٨] فلما بشرته الملائكة بيحيى قال : ﴿ رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ﴾ [آل عمران : ٤٠] فكيف سأل أولًا وكيف تعجب لما أجيب سؤاله ثانيًا ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة منها :

١ - أنه كان بين دعائه والوقت الذي بُشِّر فيه أربعون سنة ، وهذا قول ضعيف يدُل على ضعفه أنه عليه السلام إنما سأل عند الكبر كما في سورة مريم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٠ و ٣٧٤١) ، ومسلم (٢٤٧٨) من حديث حفصة رضي الله عنها مرفوعًا .

حيث قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ... ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيًّا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيًّا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب ... ﴾ [مريم : ٢ - ٦] فدل ذلك على أنه دعا ربَّه عز وجل وهو كبير السن .

٢ - الثاني : أنه تعجب من سريع إجابة الله عز وجل لدعائه .

٣ - الثالث : هل يرزق الولد من امرأته هذه ، أم أنه سيتزوج بأخرى ؟

٤ - الرابع : هل سيرد شبابًا مرة ثانية ، أم أنه سيرزق بالولد على هذه الحالة من الكبر ؟

٥ - الخامس : أن زكريا عليه السلام طلب مزيدًا من الحديث للاستمتاع بالحديث ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الغُلمة وعلى من يطلق الغلام ؟

ج : الغلمة هيَ : شدة طلب النكاح ، ويطلق الغلام على الصغير لهذه الآية ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام ﴾ [آل عمران : ٤٠] ولقول الملائكة : ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم ﴾ [الحجر : ٥٣] .

● ويطلق الغلام على من قارب الاحتلام لقول ابن عباس رضي الله عنهما : (... وأنا غلام قد ناهزت الاحتلام) .

● ويطلق على الرجل أحيانًا كقول علي الذي رُوي عنه :

أنا الغلام القرشي المؤتمن ... أبو حسينٍ فاعلمن والحسن

وكقول ليلى الأخيلية في الحجاج :

إذا حلَّ الحجاج أرضًا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

❋ ❋ ❋

س : ينبغي أن لا ينقطع رجاء المسلم في الله عز وجل ، بل يواصل المسلم دعاء ربه عز وجل ما دامت الأمور التي يدعو الله بها مشروعة ففرج الله عز وجل قريب ، وعطاؤه سبحانه لا ينتهي ، وضح ذلك ؟

ج : نعم ، وهذا أصل عظيم من أصول الدعاء ألا وهو مواصلة الدعاء وكثرته وعدم اليأس من رحمة الله عز وجل .

● فهذا زكريا عليه السلام وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا وبلغ من الكبر عتيًّا ، ومع ذلك كله يقول : ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران : ٣٨] ، ورب العزة سبحانه لا يخيب دعاءه ؛ بل يبشره بغلام اسمه يحيى .

● وهذا يعقوب عليه السلام يؤخذ ولده يوسف قرة عينه ، ويُذهب به إلى غيابة الجب ، ثم يُخرج منها ، ويذهب به إلى بيت العزيز حتى يشب ويترعرع ويبلغ أشده ، كل ذلك وهو بعيد عن أبيه ولا يعلم عنه أبوه شيئًا ولا يعرف له طريقًا ، ثم تراوده امرأة العزيز عن نفسه ، ثم يدخل السجن فيلبث فيه بضع سنين ، ثم يُخرج من السجن ويبقى على خزائن الأرض حفيظًا عليمًا ، ثم يأتي إخوانه من مصر إليه ، ومع ذلك كله يقول يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [يوسف: ٨٧] فيرد الله عز وجل إليه ولده بعد طول غياب ، وعقب طول سنين .

● وهذا نبي الله أيوب عليه السلام يلبث به بلاؤه ثمانية عشر سنة

حتى يرفضه القريب والبعيد فيدعو ربه وهو يعلم أن الله عز وجل يجيب السائلين ، فيقول عليه السلام : ﴿ ... أني مسني الضرُّ وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء : ٨٣] فيستجيب الله عز وجل له ، ويكشف ما به من ضرٍّ ويؤتيه أهله ومثلهم معهم رحمة من الله سبحانه وذكرى للعابدين[(١)] .

● وهذا نوحٌ عليه الصلاة والسلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ؛ صابرًا على تكذيب قومه له وأذاهم إياه ، ومع ذلك كله لا ييأس من استجابة الله لدعائه فيقول : ﴿ أني مغلوب فانتصر ﴾ [القمر : ١٠] فيفتح الله السماء بماءٍ منهمر ، وتُفجر الأرض عيونًا فيلتقي الماء على أمر قد قدر ، وينجيه الله بحمله على ذات ألواح ودسر ، وغير هذا كثير .

وقد قال رسول الله ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي »[(٢)] .

● وقد كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء ويواصل .

✵ ✵ ✵

س : ما معنى قول زكريا عليه السلام ﴿ رب اجعل لي آية ﴾ [آل عمران : ٤١] ؟

ج : معناه – والله أعلم – رب اجعل لي علامة أستدل بها على أن امرأتي حملت .

✵ ✵ ✵

س : ما هي الآية التي كانت لزكريا عليه السلام علامةً على حمل امرأته بيحيى عليه السلام ؟

ج : الآية التي جعلها الله عز وجل علامة لزكريا عليه السلام على أن

(١) صحيح وقد تقدمت الإشارة إليه .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٥١) ، والبخاري (في الدعوات باب ٢٢) .

امرأته حملت بيحيى هي أنه - عند حمل امرأته بيحيى - سيُمنع (أي : زكريا) من تكليم الناس (أي : لا يستطيع أن يكلمهم) وهو صحيح غير مريض ، وذلك لمدة ثلاثة أيام (إلا رمزًا) أي : إلا إشارةً .

● وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك سيكون سببه أن مرضًا سيدخل عليه بمنعه من الكلام هذه المدة ، وهذا قول ضعيف ؛ لقول الله تعالى : ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] أي : وأنت صحيح ، فالصواب أن المنع من الكلام يكون قهرًا . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء ذكر أن امتناع زكريا عليه السلام من الكلام عقوبة له على ما طلب من الآيات بعد تبشير الملائكة له ، اذكر قائل هذا القول ومقولته ؟

ج : ذكر ذلك ابن جرير الطبري رحمه الله ، فقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] : فعاقبه الله فيما ذكر لنا - بمسألته الآية بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة ، فجعل آيته على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة بيحيى أنه من عند الله آية من نفسه ، جمع - تعالى ذكره - بها العلامة التي سأل ربه على ما يبين له حقيقة البشارة أنها من عند الله ، وتمحيصًا له من هفوته وخطأ قيله ومسألته .

ثم ذكر الطبري[1] رحمه الله بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال : إنما عوقب بذلك ، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى ، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه فأُخذ عليه لسانه ، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار ، فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون : ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة

---

(١) أخرجه الطبري (٧٠٠٥) .

أيام إلا رمزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] .

***

س : ما المراد بالرمز في قوله تعالى : ﴿ إلا رمزًا ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : أما (الرمز) فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفتين ، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحيانًا ، وذلك غير كثير فيهم ، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت .

ونقل أيضًا عن بعض العلماء أن المراد بالرمز : عموم الإيماء والإشارة .

***

س : رجل نذر أن يصمت ولا يتكلم هل يمضي له نذره ؟ وهل عليه كفارة إذا لم يمضه ؟

ج : من نذر أن يصمت ولا يتكلم لا يمضي نذره ، ولا كفارة عليه ، وذلك لأن النبي ﷺ رأى رجلًا واقفًا في الشمس لا يستظل ولا يتكلم ولا يأكل فقال : « من هذا ؟ » قالوا : هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يجلس ولا يُفطر ولا يستظل ، فقال : « مروه فليتكلم وليستظل وليجلس وليتم صومه ، إن الله عز وجل غني عن تعذيب هذا نفسه »[1]، والله أعلم .

***

(١) أخرجه البخاري (٦٧٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبي ﷺ : « مُره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه » .

س : اذكر طرفًا من أهمية ذكر الله عز وجل وفضله ؟

ج : لذكر الله عز وجل أهمية كبرى وفوائد عظمى ، ولا يكاد يُرخص لأحد في تركه ، إما بالقلب أو باللسان ، ولو رخص لأحد في تركه لرخص لزكريا عليه السلام (لما مُنع من الكلام) ولكن الله عز وجل قال له : ﴿ واذكر ربك كثيرًا وسبح بالعشي والإبكار ﴾ [آل عمران : ٤١] .

● وكذلك لو رخص لأحدٍ في تركه لرخص للرجل يكون في الحرب ، ولكن الله عز وجل قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

● وقد كان عليه السلام يذكر الله على كل أحيانه[1]، وأولواْ الألباب يذكرون الله عز وجل قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم .

● وقد طلب موسى عليه السلام من ربه عز وجل أن يؤيده بهارون عليه السلام معللًا ذلك بقوله : ﴿ كي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا إنك كنت بنا بصيرًا ﴾ [طه : ٣٣ - ٣٥] .

● وأمر الله سبحانه بكثرة الذكر فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٢] .

● وقال سبحانه : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

● وقال سبحانه : ﴿ واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

● وقال عز وجل : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٦٨ مع النووي) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

● وقال عز وجل : ﴿ والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥].

وجعل الله عز وجل طمأنينة القلب في ذكره عز وجل ، فقال : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .

● وبيَّن النبي ﷺ أن أهل الذكر هم السابقون ، فقال عليه الصلاة والسلام : « سبق المفرِّدون » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ، قال : « الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات »(١) .

● وبين عليه الصلاة والسلام أن رطوبة اللسان تتأتى بذكر الله عز وجل، فقال عليه الصلاة والسلام: « لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل »(٢) .

● وأهل الذكر يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه »(٣) .

● ومجالس الذكر تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتتنزل عليها السكينة

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٧٩٣) ، وأحمد (١٨٨/٤) ، والترمذي (٣١٤/٩ مع التحفة) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣١٧) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه ، وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه مسلم (١٢٠/٧) ، والبخاري (مع الفتح ١٤٢/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ويذكر الله عز وجل أهلها فيمن عنده ، ويغفر الله عز وجل لهم[1].

• ومن جالس الذاكرين غُفر له معهم وإن كان من الخطائين[2] .

• وبالذكر تغفر الذنوب وتحط الخطايا ، وترفع الدرجات وتقال العثرات ويُملأ الميزان ، ويُملأ ما بين السموات والأرض ، ويثقل الميزان ، وتُدخر الكنوز في الجنان ، وتخنس الشياطين ، ويرد كيد السحرة والحاسدين ، وتُوسع الأرزاق ، وتدفع البليات ، ويذكر اللّهُ عز وجل العبد ويُحلله رضوانه ، ويسكنه فسيح جنانه .

❋ ❋ ❋

س : هل من الممكن أن تخاطب الملائكة بني آدم ؟

ج : نعم ، هذا من الممكن ولا إشكال في إمكانية وقوعه ، بل قد وقع .

• فها هي الملائكة تنادي زكريا وهو قائم يُصلي في المحراب: إن الله يبشرك بيحيى .

• وكذلك مخاطبات جبريل لرسول الله ﷺ التي لا تكاد تحصى .

• وسؤاله له عن الإسلام والإيمان والإحسان بحضرة أصحاب رسول الله ﷺ[3]، وقول جبريل لرسول الله ﷺ : ما تعدون أهل بدر فيكم ...[4] الحديث ، وقول رسول الله ﷺ لعائشة : « يا عائش هذا جبريل يقرؤك السلام » قالت : وعليه السلام ورحمة الله ترى ما لا نرى

---

(١) انظر صحيح مسلم (مع النووي ١٧/٢٢) .

(٢) ففي الصحيحين : « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٩٢) من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه مرفوعًا .

يا رسول الله ؟!!!![1] .

• ودخلت الملائكة على لوط وعلى إبراهيم عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ [الذاريات : ٢٤] .

• وهذه الأحداث لا تحصى .

• وغير الأنبياء كذلك ، فعمران بن حصين رضي الله عنه كانت الملائكة تُسلِّم عليه[2] .

• وفي قصة الأقرع والأبرص والأعمى جاءهم الملك ليبتليهم[3] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ نوحيه ﴾ [آل عمران : ٤٤] ؟

ج : تكلم الطبري على ذلك كلامًا جيدًا فقال : وأما قوله : ﴿ نوحيه إليك ﴾ فإن تأويله : ننزله إليك .

وأصل الإيحاء : إلقاء الموحِي إلى الموحَى إليه ، وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء وبإلهام ورسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ [النحل : ٦٨] بمعنى ألقى ذلك إليها فألهمها ، وكما قال : ﴿ وإذ

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٨) ، ومسلم (٢٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٨/٢٠٦) من طريق مطرف قال: بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه ، فقال : إني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي ، فإن عشتُ فاكتم عني ، وإن مت فحدِّث بها إن شئت : إنه قد سُلِّم عليَّ ، واعلم أن نبي الله ﷺ قد جمع بين حج وعمرة ، ثم لم ينزل فيها كتاب الله ، ولم ينه عنها نبي الله ﷺ حتى قال رجل فيها برأيه ما شاء .

(٣) صحيح ، وسيأتي إن شاء الله .

أوحيت إلى الحواريين ﴾ [المائدة : ١١١] بمعنى ألقيت إليهم علم ذلك إلهامًا ، كما قال الراجز :

أوحى لها القرار فاستقرَّتِ

بمعنى ألقى إليها ذلك أمرًا ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًّا ﴾ [مريم : ١١] بمعنى فألقى ذلك إليهم إيماءً ، والأصل فيه ما وصفت من إلقاء ذلك إليهم ، وقد يكون إلقاؤه ذلك إليهم إيماءً ويكون بكتاب ، ومن ذلك قوله : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾ [الأنعام : ١٢١] يلقون إليهم ذلك وسوسةً ، وقوله : ﴿ وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام : ١٩] ألقي إليَّ بمجيء جبريل عليه السلام به إليَّ من الله عز وجل .

وأما (الوحي) فهو الواقع من الموحِي إلى الموحَى إليه ، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب (وحيًا) لأنه واقع فيما كُتب ثابت فيه ، كما قال كعب بن زهير :

أتى العجم والآفاق منه قصائد بقين بقاء الوحي في الحجر الأصم

يعني به الكتاب الثابت في الحجر ، وقد يقال في الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب (وحي) بغير ألف ، ومنه قول رؤبة :

كأنه بعد رياح تدهمه ومرثعنات الدجون تثمة

إنجيلُ أحبارٍ وحُي منمنمة

* * *

س : قول الملائكة : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ [آل عمران: ٤٢] هنا اصطفاءان وتطهير وضح المراد بهما ؟

ج : أما الاصطفاء الأول : فالاصطفاء هو الاختيار ، فقال بعض أهل

العلم : إن المراد منه أن الله عز وجل اختارها من بين نساء زمانها لخدمة المسجد والبقاء في المحراب - ولم يكن هذا يحدث لنساء زمانها - فساعدها ذلك على كثرة العبادة والتفرغ لها ، وزادها ذلك شرفًا ورفعة ، ثم إن الله تبارك وتعالى رزقها من ذكره وشكره وحسن عبادته - سبحانه وتعالى - ما لم يرزق نساء زمانها ، وهذا من عظيم فضل الله سبحانه وتعالى .

وأيضًا كملها الله سبحانه وتعالى ، فقد قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران و ... » الحديث .

● أما التطهير ، فالمراد به - والله أعلم - تطهير من الشرك والأدناس والذنوب والمعاصي والأغلال والأحقاد ونحو ذلك .

● أما من قال : إنه تطهير من الحيض والنفاس فقوله ضعيف ، فالحيض كتبه الله على بنات آدم ، ومريم داخلة فيهن .

● وكذلك قول من قال : إنه تطهير من مسيس الرجال ومن المحيض والنفاس ، فمريم عليها السلام لم يمسها رجل فيما علمنا ، لكن هل يقال على من تزوجت ومسها زوجها إنها غير مطهرة ؟!!! كلا ، فأزواج النبي ﷺ قال الله عز وجل في شأنهن : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

وكذلك فاطمة رضي الله عنها من سيدات نساء أهل الجنة ، ومع ذلك تزوجها علي رضي الله عنه ووضعت له أولادًا .

ثم لم يرد لنا دليل عن المعصوم ﷺ يُفيد أن مريم لم تحض ولم تنفس ، والله تعالى أعلم .

● أما الاصطفاء الأخير فمعناه - والله أعلم - التفضيل ، والمراد أن مريم عليها السلام فضلها الله على نساء العالمين ، وجعلها إحدى سيدات أهل الجنة ، واصطفاها الله سبحانه لولادة عيسى عليه السلام ،

وجعلها وابنها آية للعالمين .

***

س : هل يجوز لامرأة أن تَقم[1] المسجد وأن تبيت فيه (في شريعتنا) ؟

ج : نعم يجوز لامرأة أن تَقُمَّ المسجد ، وأن تبيت فيه في شريعتنا ، ومحل ذلك إذا أُمنت الفتنة ، والدليل على ذلك أنه كانت هناك امرأة سوداء تقم المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، وكان لها حفش في المسجد تمكث فيه[2] .

***

س : أيهما أفضل للمرأة صلاتها في المسجد أم صلاتها في البيت ؟

ج : صلاة المرأة في بيتها أفضل لقول النبي ﷺ : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن »[3]، ولقوله عليه الصلاة السلام : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان »[4]، ولقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقرن

---

(١) أي : تجمع القمامة منه .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٤٥٨) ، ومسلم (٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أسود – أو امرأة سوداء – كان يقم المسجد فمات ... الحديث .

● وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها (٤٣٩) أن وليدة كانت سوداء لحيٍّ من العرب فأعتقوها ... الحديث ، وفيه فكان لها خباءٌ في المسجد (أو حِفْشٌ) ... الحديث .

(٣) أخرجه أبو داود (حديث ٥٦٧) من حديث ابن عمر مرفوعًا ، وله شواهد يرتقي بها إلى الصحة (انظرها في كتابنا جامع أحكام النساء قسم الصلاة) .

(٤) رجاله ثقات، وقد أخرجه أبو داود (١١٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/٩٥)، والطبراني في الكبير (١٠١١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا. =

في بيوتكن ﴾ [الأحزاب : ٣٣]، ولكن إذا كان بالمسجد دروس علم تتفقه المرأة فيها في دينها ، فيستحب لها ذلك - عند أمن الفتنة - وذلك لقول الله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة : ١١]، ولقوله سبحانه : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] .

ولقول النبي ﷺ : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين »[١].

ولغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد الفقرة الأخيرة في هذا الحديث : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه لزوج في ذات يده » ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط[٢]. واذكر مزيدًا من فضل مريم عليها السلام ؟

ج : إيراد هذه الفقرة يُفيد أن صالح نساء قريش لم يُفضلن على مريم عليها السلام ، فهن قد فُضِّلن على من ركبن الإبل ، ومريم عليها السلام لم تركب الإبل ، والله تعالى أعلم .

أما بالنسبة لفضل مريم عليها السلام ، ففضلًا عما ذكر من أن الله عز وجل اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ، فإن الله عز وجل جعلها

= وفي بعض الطرق : « وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها » .
ولمزيد بحث حوله انظر رسالتي : (الحجاب أدلة الموجبين وشبه المخالفين) .

(١) أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/١٢٥) ، ومسلم (٥/٣٨٧) ، والفقرة الأخيرة من قول أبي هريرة رضي الله عنه .

صدِّيقة ، وجعلها وابنها آية للعالمين ، وكملها الله سبحانه وتعالى ، وجعلها إحدى سيدات نساء أهل الجنة[1] ، ولم يرد في كتاب الله عز وجل ذِكر امرأةٍ باسمها كما ذكرت مريم عليها السلام ، وأحصنت فرجها وتمثل لها روح القدس بشرًا سويًّا ، وكلمها وكلمته ونفخ فيها ، ووهب لها غلامًا زكيًّا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين ؛ ورجح بعض أهل العلم أنها نبية[2] – وإن كان في المسألة نزاع[3] – وذلك الترجيح منهم ، لأن الله عز وجل أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين .

***

س : ما المراد بالعالمين في قوله تعالى : ﴿ ... واصطفاك على نساء العالمين ﴾ [آل عمران : ٤٢] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن المراد بالعالمين : العالمين كلهم إلى يوم القيامة[4] واستدل هذا القائل – إضافة إلى ما ذكر في فضل مريم – بحديث خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ .

ثم استدل بما رواه موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية »[5] .

---

(١) وقد رأى بعض العلماء أنها سيدة نساء أهل الجنة على الإطلاق .

(٢) رجح ذلك القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ، وسيأتي لذلك مزيدٌ في بابه إن شاء الله عز وجل .

(٣) وقد قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم ﴾ [الأنبياء: ٧] .

(٤) ممن اختار هذا القول القرطبي رحمه الله تعالى .

(٥) لم أقف عليه بلفظ ثم ، ولكن هناك طرق عن أنس عن النبي ﷺ بلفظ : =

وآخرون من أهل العلم يرون أنها مفضلة على عالمي زمانها فقط ، ولا يمتد هذا التفضيل إلى فاطمة وخديجة رضي الله عنهما ، وذلك لما ورد من أحاديث عامة في فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم ، ثم من أحاديث خاصة في كون فاطمة سيدة نساء العالمين ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كلما أنعم الله عز وجل بمزيد من النعم لزمه مزيدٌ من الشكر وضح ذلك ؟

ج : نعم كلما ازدادت النعم وتوالت لزم مزيد من الشكر ، وهاك الأدلة على ذلك :

● لما أنعم الله عز وجل على موسى عليه السلام باصطفائه على الناس برسالاته وبكلامه أمره الله عز وجل بمزيد من الشكر . قال الله سبحانه : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤]، وقال سبحانه : ﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ [الأعراف : ١٤٥] .

● ولما أنعم الله عز وجل على مريم عليها السلام بالاصطفاء والتطهير ، والاصطفاء أمرها بالقنوت والسجود والركوع ، قال تعالى : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ [آل عمران : ٤٢ ، ٤٣] .

= « خير نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليهم السلام » انظر الطبراني (٤٠٢/٢٢) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٢٢٢) ، وابن جرير (١٨٠/٣) ، وأحمد في فضائل الصحابة (٧٥٨/٢ ، ٧٦٠) ، والحاكم (١٥٧/٣ – ١٥٨) .

• ولما منَّ الله سبحانه على نبينا محمد ﷺ بالرسالة وجاءه الوحي ، قال الله عز وجل له : ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلًا نصفه أو انقص منه قليلًا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلًا إن لك في النهار سبحًا طويلًا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلًا ﴾ [المزمل : ١ - ٨] .

• وكان عليه الصلاة والسلام يقوم حتى ترم قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

• ولما منَّ الله سبحانه على أزواج نبيه محمد ﷺ بالزواج منه عليه الصلاة والسلام قال الله سبحانه وتعالى لهن : ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا ، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠ - ٣١] .

• وقال الله سبحانه : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

• ولما منَّ الله سبحانه على يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وآتاه الله الحكم صبيًّا قال الله له : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم : ١٢] .

• ولما حفظ الله المؤمنين من أهل الكفر وكف أيديهم عنهم قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ [المائدة : ١١] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قدم السجود على الركوع في قوله تعالى : ﴿ واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ [آل عمران : ٤٣] ؟

ج : لا يؤثر هنا تقديم السجود على الركوع ، فإن الواو في قوله تعالى :

﴿ واركعي ﴾ لا تفيد الترتيب ، فمثلًا إذا قلت : جاء زيد وعمرو لا يستفاد منه أن زيدًا جاء أولًا ثم جاء عمرو ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ [النور : ٢٧] ، والسلام (سلام الاستئذان) يكون قبل الاستئناس (الذي هو داخل البيت) .

● ولبعض العلماء وجهة أخرى في تقديم السجود على الركوع ، فيقول ما حاصله : إن الخطاب هنا لمريم عليها السلام ، ومريم عليها السلام امرأة، وصلاة المرأة في بيتها أقرب إلى ربها من صلاتها في المسجد، فقوله تعالى : ﴿ اسجدي ﴾ مع قول النبي ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »[1] يجعلنا (على حد قولهم) نحمل اسجدي على الصلاة في البيت .

أما ﴿ اركعي مع الراكعين﴾ أي : اشهدي صلاة الجماعة مع المصلين ، وإن كان جائزًا لها أن تصلي الجماعة مع الرجال خلف صفوفهم ؛ إلا أنه في الفضل دون الصلاة في البيت ، فقدم السجود على الركوع لهذا المعنى عندهم ، والله تعالى أعلم[2].

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾[3] [آل عمران : ٤٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أنك ما كنت حاضرًا يا محمد عندما اختصم

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) لكن الذي يظهر لي – والعلم عند الله تبارك وتعالى – أن معنى ﴿اركعي مع الراكعين ﴾أي : افعلي فعلهم من كونهم مصلين راكعين ، ولا يستلزم ذلك المشاركة في صلاة الجماعة معهم ، والله أعلم .

(٣) أخرج الطبري (٧٠٥٥) بإسناد حسن إلى قتادة قوله : ﴿ وما كنت لديهم =

القوم في تربية مريم عليها السلام وكفالتها ، فقد تنازع القوم كلٌّ يريد أن يكفلها ، واختصموا في ذلك ، فاتجهوا إلى القرعة فيما بينهم ، فألقوا أقلامهم في اليم . قال بعض العلماء : ألقوا جميعًا الأقلام في الماء ، فمن ثبت قلمه كفلها ، ومن جرى قلمه مع الماء الجاري لم يكفلها ، فجرت أقلامهم جميعًا وثبت قلم زكريا عليه السلام ، فكفلها زكريا عليه السلام .

* * *

س : هل تجوز القرعة في المشكلات ؟ اذكر جملة أدلة على ذلك ؟ ومتى تكون هذا القرعة ؟

ج : القرعة في المشكلات جائزة ، وقد فعلها ثلاثة أنبياء (يونس وزكريا ومحمد عليهم الصلاة والسلام) ، أما الأدلة على ذلك فمنها :

١ – قول الله تبارك وتعالى: ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ [الصافات : ١٤١].

٢ – قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

٣ – كون النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه[١] .

٤ – قول النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها... » الحديث[٢] .

= إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم ، فتشاح عليها بنو إسرائيل ، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها ؟ فقرعهم زكريا ، وكان زوج أختها ﴿ فكفلها زكريا ﴾ يقول : ضمها إليه .

(١) صحيح ، وهو موجود في ثنايا حديث الإفك ، وأُشير إلى تخريجه في هذا الكتاب .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

٥ – قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما في النداء والصف الأول لاستهمتم عليه »[١].

٦ – ولما هاجر المسلمون إلى المدينة اقترعت الأنصار سكنى المهاجرين فطار سهم عثمان بن مظعون لأم العلاء[٢].

٧ – وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ عرض على قومٍ اليمين فأسرعوا فأمر أن يسهم بينهم في اليمين أيهم يحلف[٣].

● أما متى تكون فهي كما قال القرطبي رحمه الله : سنة عند جمهور الفقهاء في المستويين في الحجة ليعدل بينهم ، وتطمئن قلوبهم وترتفع الظُّنة عمن يتولى قسمتهم ، ولا يفضل أحد منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد اتباعًا للكتاب والسنَّة .

وقال القرطبي أيضًا : ... قال ابن العربي : القرعة إنما فائدتها استخراج الحكم الخفي عند التشاح ، فأما ما يخرجه التراضي فيه فباب آخر ، ولا يصح لأحد أن يقول : إن القرعة تجري مع موضع التراضي ، فإنها لا تكون أبدًا مع التراضي ، وإنما تكون فيما يتشاح الناس فيه ويُضَنُّ به .

قال القرطبي رحمه الله : وصفة القرعة عند الشافعي ومن قال بها : أن تُقطع رقاع صغار مستوية ، فيكتب في كل رقعة اسم ذي السهم ، ثم تجعل في بنادق طين مستوية لا تفاوت فيها ، ثم تجفف قليلًا ، ثم تلقى في ثوب

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٩٦) ، ومسلم (مع النووي ٤/١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٧) من حديث أم العلاء رضي الله عنها .

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به .

رجل لم يحضر ذلك ويغطي عليها ثوبه ، ثم يدخل ويخرج ، فإذا أخرج اسم رجل أُعطي الجزء الذي أقرع عليه .

قلت : (القائل مصطفى) : وهذه صورة لا دليل عليها ، وغاية ما فيها أنها جائزة ، وغيرها – أيضًا – جائز ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لقب عيسى عليه السلام بالمسيح ؟ ولماذا لقب الدجال بالمسيح ؟

ج : أما لماذا لُقب عيسى عليه السلام بالمسيح[1]، فلأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

الأول : لأنه كان يمسح الأبرص والأعمى والأكمه فيبرىء كلًّا منهم بإذن الله .

الثاني : لأن عليه مسحة جمال .

الثالث : لأنه كان ممسوح القدمين مِن أسفل .

الرابع : لأنه مسح من الذنوب .

الخامس : لأنه مسح الأرض أي ذهب فيها فلم يستكن بها .

السادس : لكثرة سياحته في الأرض .

● وبعض هذه الأقوال ضعيفٌ لديَّ ، إذ لو كان سمي المسيح لجماله لأطلق ذلك على يوسف عليه السلام الذي أوتي شطر الحسن ، أما القول بأنه كان ممسوح القدمين ، فلا دليل عليه ، ثم هو مخالف لما في قوله تعالى : ﴿ وجيهًا في الدنيا والآخرة ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، فقد وصفه الله عز وجل

(١) وقال البعض : إن المسيح أصله مشيحًا فعرِّب كما عُرِّب موشى بموسى ، والله أعلم .

بالوجاهة[1] في الدنيا والآخرة .

والذي يظهر لي أن وجه الصواب في ذلك يعلمه الله ، والله سبحانه هو الذي لقبه بالمسيح وسماه بعيسى قبل أن يولد ، قالت الملائكة : ﴿ يا مريم إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم .... ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، والله تعالى أعلم .

● أما إطلاق المسيح (بالحاء المهملة) على الدجال ، فقد قال بعض أهل العلم : (لأن ممسوح العين اليمنى كأنها عنبة طافية) ، وقال آخرون : لأنه سيمسح الأرض (أي يجوبها جميعًا) إلا مكة والمدينة كما في الحديث : « ما من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ... »[2] الحديث .

❋ ❋ ❋

س : عيسى عليه السلام اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، ونبينا محمد ﷺ اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وأبو بكر رضي الله عنه اسمه عبد الله بن عثمان ، وعمر رضي الله عنه اسمه عمر بن الخطاب ، وعثمان رضي الله عنه اسمه عثمان بن عفان ، وعلي رضي الله عنه اسمه علي بن أبي طالب ، وعائشة زوج رسول الله ﷺ هي عائشة بنت أبي بكر ، وزينب زوج رسول الله ﷺ هي زينب بنت جحش ، في هذا كله تنبيه

---

(١) والوجاهة كما أنها تطلق على القوة والمنعة وعلى الشرف والجاه تطلق على حسن الجسم والخلق أيضًا ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] ، ومن صور إيذاء بني إسرائيل لموسى أنهم كانوا يقولون عنه : إنه آدر فبرأه الله من ذلك - كما سيأتي في بابه إن شاء الله - ووصفه بالوجاهة . والله أعلم .

(٢) صحيح ، وانظره في كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن وأعلام وأشراط الساعة ، وقد أخرجه البخاري (١٨٨١) ، ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

على سنة في الأسماء فاتت قومنا في بلادنا مصر وفي غيرها وتركها الناس بيِّن هذه السنة ؟

ج : هذه السنة هي حذف كلمة ابن بين الولد وأبيه ، فلا يكون سائغًا أن يقال : إن اسم رسول الله ﷺ « محمد عبد الله عبد المطلب »، ولا يستساغ أن يقال : عائشة أبو بكر ، ولا زينب جحش ، ولا عثمان عفان ، ولا عمر الخطاب ، ولا علي أبو طالب، ولا عيسى مريم ، وكذلك لا يستساغ أن يقال : أحمد حنبل ، ولا مالك أنس .

فاتضح أن السنة إثبات لفظة (ابن) بين الولد وأبيه .

والذي حذفها في الأصل هم الكفار ، ثم قلدهم المسلمون في ذلك ، ألا ترى أن أسماء الكفار نابليون بونابرت ، بيل كلينتون ، جيمي كارتر ، شارل ديجول ، ونحو ذلك ! وصدق الرسول ﷺ إذ يقول : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .. »[1]. والله أعلم .

* * *

س : ما هي صورة الوجاهة التي نالها عيسى عليه السلام في الدنيا والآخرة ؟

ج : أما وجاهته في الدنيا عند الله سبحانه وتعالى فبما اجتباه به ربه من النبوة والرسالة والإنجيل الذي أنزله عليه ، وأيضًا عند الناس بما أجرى الله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) ، ومسلم (٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » .

على يديه من شفاء الأسقام (الأكمه والأعمى والأبرص) وإحياء الموتى بإذن الله وكونه مباركًا أينما كان عليه الصلاة والسلام .

● أما وجاهته في الآخرة فمنها : علو منزلته في الآخرة ؛ لأنه من أولي العزم من الرسل وشفاعته فيمن يشفعه الله فيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر عددًا ممن تكلموا في المهد ؟

ج : الذي تحصل لنا بالأدلة الصحيحة أن الذين تكلموا في المهد هم :

١ - عيسى عليه الصلاة والسلام(١).

٢ - غلام جريج(٢).

---

(١) قال الله سبحانه : ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًّا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًّا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيًّا وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا ، والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا ﴾ [مريم : ٢٧ - ٣٣] .

(٢) أخرج البخاري (٣٤٣٦) ، ومسلم (ص١٩٧٦ - ١٩٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ، وكان في بني إسرائيل رجلٌ يُقال له : جريج كان يُصلي فجاءته أمه فدعته فقال : أُجيبها أو أُصلي فقالت : اللهم لا تُمته حتى تُريه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته(❋) فأبى فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقالت : من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبُّوه فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال: الراعي، قالوا : نبني صومعتك من ذهب ؟ =

(❋) في رواية فقالت : لأفتنن جريجًا ، وفي رواية مسلم : « وكانت بغيٌّ » يتمثل بحسنها فقالت : إن شئتم لأفتننه لكم ، فتعرضت له فلم يلتفت إليها ، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت ، فلما ولدت قالت : هو من جريج ... » الحديث .

٣ - غلام أصحاب الأخدود[١].

٤ - ابن ماشطة فرعون[٢].

= قال : لا إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنًا لها - من بني إسرائيل - فمر رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثله ... » الحديث .

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر .. » فذكر الحديث ، وفيه « .. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها ، أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أُمه اصبري فإنك على الحق » .

وأخرجه أيضًا الترمذي (٣٣٤٠) وقال : هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه أيضًا ابن جرير الطبري في التفسير (٨٥/٣٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٩/١) من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها أتت عليَّ رائحة طيبة فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قال : قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدري من يديها فقالت : بسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك الله ، قالت : أخبره بذلك ؟ قالت : نعم فأخبرته فدعاها فقال : يا فلانة وإن لك ربًّا غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله عز وجل ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها ، قالت له : إن لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظَام ولدي في ثوب واحدٍ وتدفنا ، قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضَع ، وكأنها تقاعست من أجله ، قال : يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت .

وهذا الراجح عندي فيه أنه صحيح ، وإن كان بعض أهل العلم تكلم في سماع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب ، وأنه بعد الاختلاط إلا أن جمهور المحدثين على أنه روى عنه قبل الاختلاط ، وإن ذكر البعض أنه روى عنه بعد الاختلاط أيضًا ، =

٥ – الطفل الذي كانت ترضعه أمه فرأت جبارًا فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك ثديها ، وقال : اللهم لا تجعلني مثله ... الحديث[(١)].

❋ ❋ ❋

س : على أي أساس (نُصب) رسولًا في قوله تعالى : ﴿ ورسولًا إلى بني إسرائيل ﴾ [آل عمران : ٤٩] ؟

ج : نُصب على أنه مفعول والفعل محذوف والتقدير : ونجعله رسولًا إلى بني إسرائيل ، كما قال الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلدًا سيفًا ورمحًا

❋ ❋ ❋

= لكن يفهم من كلامهم أن جُل روايته عنه قبل الاختلاط ، فضلًا عن هذا فإن الحديث مصحوب بقصة ، وقد ذكر البعض أن الحديث إذا كان مصحوبًا بقصةٍ دل ذلك على ثبوته وخاصة إذا كان فيه ما يشعر بالرفع كحالنا هذا ، ففيه : « مررت ليلة أسري بي .. » فضلًا عن هذا فلبعض فقرات الحديث شاهد بإسناد ضعيف عند ابن ماجه من طريق سعيد بن بشير (وهو ضعيف) عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ببعض معناه ، فالحديث يصح . والله أعلم .

هذا ، وفي آخر الحديث عند أحمد موقوفًا على ابن عباس أنه قال : (تكلم في المهد أربعة صغار عيسى ابن مريم عليه السلام ، وصاحب جريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون) ، وهذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) صحيح ، وتقدم في ثنايا حديث غلام جريج .

أما على سبيل الحصر (بما في ذلك من ضعيف وصحيح) فقد أوصلوا الذين تكلموا في المهد إلى أحد عشر ، نظمهم السيوطي في قوله :

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم

ومُبري جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم

وطفل عليه مُر بالأمة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم

وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

س : كيف تجمع بين حديث رسول الله ﷺ : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة »[1] وبين قولكم : إنه صح لديكم أن الذين تكلموا في المهد أكثر من ذلك ؟

ج : الجواب أن النبي ﷺ أخبر بما كان في علمه ، ثم بعد ذلك أعلمه الله عز وجل بآخرين قد تكلموا في المهد أيضًا ، والله تعالى أعلم .

***

س : كل[2] الناس يتكلمون في كهولتهم فما هو وجه الإعجاز في تكليم عيسى عليه السلام للناس في كهولته ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ - أنه عليه السلام كما أنه كان معجزة في تكليمه للناس في المهد ، فإنه سيكلمهم بالوحي والنبوة في كهولته ، وهذا وجه إعجاز أيضًا .

٢ - أنه عليه الصلاة والسلام كان طفلًا وسيكون شابًّا ، ثم كهلًا ففي هذا دليل على أنه يسري عليه ما يسري على البشر ، كما قال تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة ﴾ ، [الروم : ٥٤] وعلى ذلك فلا يكون عيسى ربًّا بحال من

---

(١) صحيح ، وقد تقدم قريبًا .

(٢) أحيانًا تأتي كلمة (كل) وتفيد العموم ، وأحيانًا تأتي وتفيد التغليب .
أما كونها تأتي وتفيد التغليب فكما في قوله تعالى : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥] ، وكقوله تعالى عن ملكة سبأ : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣] ، وكقول عائشة رضي الله عنها : (كان النبي ﷺ يصوم شعبان كله) أخرجه البخاري (١٩٧٠) ففي بعض الروايات : (وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان) . أخرجه البخاري (١٩٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها . والله تعالى أعلم .

الأحوال ، ففي الآية رد على النصارى إذن .

٣ - أنه سيعيش حتى يكون كهلًا ، وفي هذا أيضًا إعجاز لكونه إخبارًا بالغيب وتبشيرًا لأمه بأنه سيعيش حتى الكهولة عليه السلام .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بقول مريم عليها السلام : (رب) في قوله تعالى : ﴿ رب أنى يكون لي ولد ﴾ [آل عمران : ٤٧] ؟

ج : لأهل العلم قولان في المراد بقولها : (رب) :

الأول : أن معناه سيدي والمراد الملك عليه السلام .

الثاني : أن المراد الرب سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : القضاء قضاءان قضاء كوني قدري ، وقضاء ديني شرعي ، بيِّن مثالًا لكلٍّ ، ومن أي القضاءين قوله تعالى : ﴿ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٤٧] ؟

ج : أما مثال القضاء الكوني القدري فقوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا ﴾ [الإسراء : ٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ [الحجر : ٦٦] ، وكقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] .

أما القضاء الشرعي الديني : فكقوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

● أما قوله تعالى : ﴿ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن

فيكون ﴾ [آل عمران : ٤٧] فمن القضاء الكوني القدري . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ [آل عمران : ٤٨] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالكتاب الكتابة والخط ، ورُوي عن بعض أهل العلم أن عيسى عليه السلام كان أحسن الناس خطًّا ، وقال آخرون : المراد بالكتاب جنس الكتب الإلـٰهية ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : امتن الله عز وجل على عيسى عليه السلام بتعليمه التوراة والإنجيل ، وجاء في بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه عليه السلام لما رأى في يد عمر بن الخطاب التوراة ، فقال : « مهلًا يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، فكيف تجمع بين الآية والأثر ؟

ج : أولًا : قد تكلم بعض أهل العلم في صحة الحديث .

ثانيًا : في حالة صحته فالجمع ممكن بأن يقال : إن عيسى عليه الصلاة والسلام معصوم ، أو يقال بأن القرآن الكريم ناسخ لما قبله ومهيمن على الكتب التي قبله ، أو يقال : إنه لا بأس لمن جمع بين القرآن وسائر الكتب ، لكن من لم يجمع القرآن ويفقهه وتحول إلى بعض الكتب ، فهذا يتنزل في حقه المنع .

● أو يقال : إن المنع من قراءة الكتب المتقدمة إنما هو لما اعتراها من

تحريف وتبديل ولما شابها من اختلاقٍ لتحليل وتحريم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل صح شيء عن النبي ﷺ في أن المراد بقول عيسى عليه السلام : ﴿ ... أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير .. ﴾ [آل عمران : ٤٩] أن الطير هو الخفاش ؟

ج : لم أقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ يفيد أن الطير الذي كان يخلقه عيسى هو الخفاش ، وإنما قال ذلك بعض أهل العلم ولعلهم تلقوه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، كما قال النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »(١)، بيد أن الطير أعم من الخفاش ، والتفسير بعموم الطير أولى ، والله أعلم .

وقد ذكر بعض المفسرين أن بني إسرائيل طلبوا من عيسى خلق الخفاش لما فيه من عجيب الخلق ، لأنه - كما ذكروا - لحم ودم يطير بغير ريش ! ويلد كما يلد الحيوان ! ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور ، فيكون له الضرع يخرج منه اللبن ، ولا يبصر في ضوء النهار ، ولا في ظلمة الليل ، وإنما يرى في ساعتين ، بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدًّا ، ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض ويطهر كما تحيض المرأة وتطهر ، وله ناب وأسنان وأذن والأنثى منه لها ثدي .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية قريبة المعنى من قوله تعالى : ﴿ .. وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ... ﴾ [آل عمران: ٤٩]؟ وما معنى الآية الكريمة ؟

ج : الآية المماثلة لها هي : قول يوسف عليه السلام : ﴿ لا يأتيكما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ [يوسف : ٣٧] ، والله تعالى أعلم .

أما معنى الآية الكريمة : فقال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون ﴾ فإنه يعني : وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه ، و ﴿ ما تدخرون ﴾ يعني بذلك : وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه .

ونقل عن بعض العلماء قولهم(١): ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم وما تدخرون منها .

* * *

س : أعطى الله عز وجل بعض الأنبياء معجزات من جنس ما برع فيه أهل زمانهم ، وضح ذلك ؟

ج : توضيح ذلك أن قوم موسى عليه السلام لما تفوقوا في السحر أيد الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بالعصا التي تحولت إلى حية تسعى ، وأيده الله بأنه عليه السلام أُمر بإدخال يده في جيبه فإذا هي تخرج بيضاء من غير سوءٍ .

● وكذلك قوم عيسى عليه السلام لما كانوا متفوقين في الطب أيد الله عز وجل نبيه عيسى عليه السلام بمعجزات : إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ،

---

(١) أخرج ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ فكأن القوم لما سألوا المائدة ، فكانت خِوانًا ينزل عليه أينما كانوا : ثمرًا من ثمار الجنة ، فأمر القوم أن لا يخونوا ولا يخبئوا ولا يدخروا لغدٍ بلاءً ابتلاهم الله به ، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئًا أنبأهم به عيسى ابن مريم فقال : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ . (الطبري ٧١٠٩) .

والأبرص ، ونحو ذلك .

● وكذلك أهل مكة لما برعوا في البلاغة والشعر أيد الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ بالقرآن وتحداهم الله عز وجل أن يأتوا بسورة من مثله ، بل بآية من مثله . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كل الأمور تحدث بإذن الله ، وهذا بديهي مقرر يعلمه كل مسلم ، فما فائدة التقييد في قول عيسى عليه السلام : ﴿ فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ... ﴾ [آل عمران : ٤٩] والآية قبلها ؟

ج : التقييد هنا لدفع توهم النصارى الذين يزعمون أن عيسى عليه السلام إلـٰه لقوله : ﴿ و ... وأحيي الموتى ﴾ .

❋ ❋ ❋

س : اذكر دليلين على أن عيسى عليه السلام بُعث إلى قومه خاصة ؟

ج : أما الدليل الأول فهو من الكتاب العزيز :

قال عيسى عليه السلام : ﴿ ورسولًا إلى بني إسرائيل ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

أما الدليل الثاني فهو من السنة المطهرة :

قال النبي ﷺ : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »(١) .

❋ ❋ ❋

(١) صحيح (وهو في الصحيحين) ، وقد تقدم .

س : ما هو الذي حرِّم على بني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرِّم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] ، وما المراد بتحليله لهم ؟

ج : هنا قولان للعلماء :

أولهما : أن الذي حرِّم عليهم هو الذي حرَّمه الله عليهم بذنوبهم التي ارتكبوها ومعاصيهم التي اقترفوها ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ [الأنعام : ١٤٦] .

وكما ورد في قوله تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا ~~للظالمين~~ (للكافرين) منهم عذابًا أليمًا ﴾ [النساء : ١٦٠و١٦١] ونحو ذلك .

الثاني : أن المراد بقول عيسى عليه السلام : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] أن المراد هنا بالذي حرِّم عليهم هو ما حرَّمه عليهم أحبارهم وافتروا على الله عز وجل القول بتحريمه .

● فعلى القول الأول فالمراد بتحليله لهم هو نسخ الحكم الأول ، فالذي كان محرمًا بالنص جاء تحليله بالنص أيضًا .

● وعلى القول الثاني فالمراد بالتحليل كشف افتراءات الأحبار الذين أدخلوا في الدين ما ليس منه وبيان حِلِّ ما حرموه ولا مانع من أن تنتظم الآية الكريمة المعنيين معًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

اصطفى - محررًا - مريم - أُعيذها - لدنك - ذرية طيبة - المحراب - حصورًا - أنَّي - عاقر - سبِّح - العشي - الإبكار - اقنتي - لديهم - المهد - كهلًا - يمسسني - أخلق لكم - أبرىء - الأكمه - الأبرص ؟

ج :

الكلمــــة	معنــاهــــا
اصطفى	اختار - جعلهم صفوة خلقه .
محررًا	خالصًا - أي خالصًا لله تعالى ، والمعنى أنه متفرغ لخدمة المحراب وعبادة الرب سبحانه وتعالى .
مريم	هي مريم عليها السلام ، وقال البعض : إن معنى مريم : خادم الرب .
أُعيذها	أمنعها وأُجيرها .
لدنك	عندك .
ذرية طيبة	نسلًا صالحًا .
المحراب	المحاريب هي صدور المجالس ، وهي أشرف المواضع من كل مجلس .
حصورًا	أصل الإحصار المنع ، وقيل : حصورًا لا يأتي النساء وقيل : الحصور الذي لا يفعل ذنوبًا .
أنَّى	من أين - كيف .
عاقر	عقيم لا تلد .
سبِّح	التسبيح يطلق أحيانًا على التسبيح المعهود من قولهم :

	(سبحان الله) ، ويطلق على الصلاة ، ويطلق على النافلة من الصلوات .
العشي	جمع عشية وهي آخر النهار ، وقيل : من زوال الشمس إلى غروبها .
الإبكار	من طلوع الفجر إلى وقت الضحى .
اقنتي	القنوت : الطاعة في خشوع ، وله معان أخر تقدمت .
لديهم	عندهم .
المهد	مضجع الصبي في رضاعه .
كهلًا	الكهل هو من كان بين الشباب والشيخوخة ، وقيل : هو من ناهز الأربعين .
يمسسني	يجامعني .
أخلق لكم	أصور وأُقدِّر وأصنع .
أبرىء	أشفي .
الأكمه	من وُلِدَ أعمى ، وقيل : هو الذي يبصر ليلًا ولا يبصر نهارًا .
الأبرص	البرص بياض معروف يعتري الجلد .

❋ ❋ ❋



۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ
قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ
ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ
وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن
تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا
وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا
مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا
كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا
ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ
لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟
ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ
هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ
إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

س : قول الحواريين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] فيه نوع توسل وضحه ؟

ج : نعم فيه نوع توسل ألا وهو التوسل بصالح الأعمال ، فكأنهم قالوا : يا ربنا لإيماننا بما أنزلت ، واتباعنا للرسول اكتبنا مع الشاهدين .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالشاهدين في قول الحواريين : ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] ؟

ج : قيل : إن المراد بالشاهدين أمة محمد ﷺ .

وقيل : إن المراد بالشاهدين من شهدوا لله بالوحدانية ولرسله بالرسالة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قول الحواريين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ... ﴾ [آل عمران : ٥٣] وعقبها قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [آل عمران: ٥٤] قد يُشكل على البعض فيظن أن في قول الحواريين خداع، وضح ذلك؟

ج : ليس فيه تعارض بحمد الله ، ولكن المراد بقوله تعالى : ﴿ ومكروا ... ﴾ هم كفار بني إسرائيل ، الذين أحس عيسى منهم الكفر ، فكأن عيسى عليه السلام لما أحس من بني إسرائيل الكفر بدأ يطلب نصرة صالحيهم ، فقال : من أنصاري إلى الله ، فقال الحواريون : نحن أنصار الله ، وبقيت فئة أخرى كافرة تمكر كما ذكر الله تبارك وتعالى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال العلماء في قوله تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله

والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران : ٥٤] ؟ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ... ثم قال تعالى مخبرًا عن بني إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام ، وإرادته بالسوء والصلب حين تمالئوا عليه ، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان ، وكان كافرًا فأنهوا إليه أن ها هنا رجلًا يُضل الناس ، ويصدهم عن طاعة الملك ، ويفند الرعايا ويُفرِّق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ، ورموه به من الكذب ، وأنه ولد زانية حتى استثاروا غضب الملك ، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به ، فلما أحاطوا به وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله من بينهم ، ورفعه من روزنة[1] ذلك البيت إلى السماء ، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده في المنزل ، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى عليه السلام ، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم ، فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم ، وتركهم في ضلالهم يعمهون ، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم ، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادًا للحق ملازمًا لهم ، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران : ٥٤]

● وقال الطبري رحمه الله : يعني بذلك – جل ثناؤه – ومكر الذين كفروا من بني اسرائيل ، وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر ، وكان مكرهم الذي وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضًا على الفتك بعيسى وقتله ، وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد إخراج قومه إياه وأمَّه من بين أظهرهم عاد إليهم .

.. ثم قال رحمه الله : وأما مكر الله بهم – فيما ذكر السُّدي – إلقاؤه شبَه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى ،

---

(١) الروزنة : هي الطاقة أو الكوة .

وقد رفع الله عز وجل عيسى عليه السلام قبل ذلك .

.. وقال ابن جرير أيضًا : وقد يحتمل أن يكون معنى (مكر الله بهم) : استدراجه إياهم ليبلغ الكتابُ أجله كما بينا ذلك في قوله تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ [البقرة : ١٥] .

* * *

س : هل يجوز للشخص أن يتمنى نصرة قومه له أو يسألهم إياها ؟

ج : نعم يجوز ذلك ، والله أعلم .

قال عيسى عليه السلام : ﴿ من أنصاري إلى الله ... ﴾ [الصف : ١٤] .

وقال لوط عليه السلام : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ [هود : ٨٠] .

وقال النبي ﷺ : « ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشًا قد منعوني أن أُبلغ كلام ربي عز وجل »[1] .

● وقال موسى عليه السلام : ﴿ واجعل لي وزيرًا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا إنك كنت بنا بصيرًا ﴾ [طه : ٢٩ - ٣٥] .

● وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك (بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب) »[2] .

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤) ، والترمذي (٦٩٢٥) ، وابن ماجة حديث (رقم ٢٠١) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٣٦٨١) ، وأحمد (٩٥/٢) ، وابن حبان (٢١٧٩) وعبد بن حميد في المنتخب (٧٥٧) ، وأحمد في فضائل الصحابة (٣١٢) ، =

س: ما معنى قول عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [آل عمران: ٥٢]؟

ج : قال بعض العلماء إن (إلى) هنا بمعنى (مع) ، فالمعنى والله أعلم (من أنصاري مع الله) وإلى قد تأتي بمعنى مع كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ [النساء : ٢] أي : مع أموالكم .

● وقال علماء آخرون : إن المعنى (من أنصاري في دعوتي إلى الله عز وجل) أي : من يؤازرني ، ويشد عضدي في دعوتي إلى الله عز وجل .

وثمَّ أقوال أُخر ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى الحواري ؟ ولماذا سموا الحواريين بذلك ؟

ج : الحواري معناه : الناصر ، وحواري الرجل هو : صفوته وخلاصته. وقال بعض العلماء : إنه مأخوذ من الحور، وهو البياض عند أهل اللغة[1]، وقال البعض : إن الحواري : الوزير ، وقيل : هم أصفياء الأنبياء .

= وابن سعد في الطبقات (١٩١/١/٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(١) قال الطبري رحمه الله : وذلك أن (الحَور) عند العرب شدة البياض ، ولذلك سمِّي الحُوَّاري من الطعام (حُوَّاري) لشدة بياضه ، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين : (أحور) ، وللمرأة حوراء ، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب ، وأنهم كانوا قَصَّارين ، فعرفوا بصحبة عيسى واختياره إياهم لنفسه أصحابًا وأنصارًا ، فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل حتى صار كل خاصَّةٍ للرجل من أصحابه وأنصاره (حواريُّه) ، ولذلك قال النبي ﷺ : « إن لكل نبي حواري وحواريِّي الزبير » يعني خاصته ، وقد تسمي العرب النساء اللواتي مساكنهن القرى والأمصار (حواريَّات) وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن ، ومن ذلك قول أبي جلدة اليشكري :

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

• وقيل : إنهم سُمُّوا بالحواريين لبياض ثيابهم ، والله أعلم .

وقيل : إن النساء أطلق عليهن الحواريات لبياضهن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو حواري رسول الله ﷺ ؟

ج : حواري رسول الله ﷺ هو الزبير ، وذلك لأن النبي ﷺ قال : « إن لكل نبي حواري وحواريي الزبير »[1].

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، هل يفيد أن عيسى عليه السلام مات ثم رُفع ؟ وكيف يُدفع كون الوفاة وردت قبل الرفع ؟

ج : لا يفيد ذلك ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم ﴾ [النساء : ١٥٧] ، أما كون الوفاة ورد ذكرها قبل الرفع فيدفع ما في ذلك من إشكال قد يَرد بالآتي :

١ - بعض العلماء يرى أن معنى الوفاة هنا النوم ، وقد ورد ذلك في كتاب الله عز وجل ، قال الله سبحانه : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ [الزمر : ٤٢] وكقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ [الأنعام : ٦٠] فعلى ذلك فمعنى متوفيك : منيمك .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤١١٣) ، ومسلم (٢٤١٤) وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا ، وله طرق أخرى عن النبي ﷺ .

٢ - بعض أهل العلم يرى أن معنى متوفيك : قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أي : قبضته .

٣ - وقال بعض العلماء : أماته الله ثم بعثه ثم رفعه ، وهذا القول فيه نظر لقوله : ثم بعثه ؛ إذ لا دليل عليه .

٤ - القول الرابع - وهو الأوجه والأقوى عندي - : أن الواو لا تفيد الترتيب في كثيرٍ من الأحيان ، بل تفيد مطلق التشريك ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ [النور : ٢٧] ، فمن المعلوم أن التسليم يكون قبل الاستئناس .

● وقال سبحانه : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمى ﴾ [طه : ١٢٩] .

● وأيضًا استدل على أن الواو لا تقتضي الترتيب بقول الشاعر :

ألا يا نخلة من ذات عِرْق ... عليك ورحمة الله السلام

أي : عليك السلام ورحمة الله .

فعليه يكون المعنى إني رافعك إليَّ ومتوفيك إذا جاء الأجل الذي قدرته لوفاتك . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ [آل عمران : **٥٥**] ؟

ج : المراد - والله تعالى أعلم - ومطهرك من خبث الذين كفروا ، ومنجيك من مكرهم ، وذلك برفعي إياك إلى السماء .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ﴾ [آل عمران : ٥٥] جملة تساؤلات ، منها :

١ - إلى من يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ الذين اتبعوك ﴾ ؟

٢ - من هم الذين اتبعوه ؟

٣ - من هم الكفار المذكورون في الآية الكريمة ؟

٤ - كيف يندفع الإشكال الوارد في كون بعض الأمم الكافرة مستعلية الآن على أهل الإسلام ؟

ج : أما الضمير في قوله تعالى : ﴿ اتبعوك ﴾ فالكاف ترجع إلى عيسى عليه السلام ، وقد قال بعض العلماء : إن المعنى هو النبي محمد ﷺ ، وهذا قول بعيد[1]، فالسياق والقصة كلها بشأن عيسى ﷺ .

٢ - أما وقد قررنا أن الضمير يرجع إلى عيسى عليه السلام ، فعلى ذلك فالذين اتبعوه هم الحواريون من أصحابه وهم أيضًا النصارى الذين آمنوا برسالته[2]، وصدقوا ما أخبرهم به من رسالة أحمد ﷺ، ويدخل فيهم

---

(١) وإن كان المعنى واردًا في حق نبينا ﷺ أيضًا ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾ [المجادلة : ٢١] ، وقال سبحانه : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [الصافات : ١٧١ - ١٧٣] وقال سبحانه : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر : ٥١] .

وقال سبحانه : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ﴾ [المجادلة: ٢٠].

وقال تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا ﴾ [النساء : ١٤١] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان مرفوعًا وله طرق أخرى .

(٢) ● ولا يدخل فيهم النصارى الذين ألَّهوه ، فإن هؤلاء كفار كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة : ١٧] .

● ولا يدخل أيضًا النصارى الذين قالوا : إنه ابن الله، فإنهم مشركون ، =

أيضًا المسلمون من أمة محمد ﷺ فهم متبعي جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

● أما الذين كفروا فهم كل من كفر برسالة عيسى عليه الصلاة والسلام وهم اليهود ، ويدخل أيضًا من ألَّه عيسى عليه السلام ، أو جعله ابنًا لله ، أو قال : إنه ثالث ثلاثة ، ويدخل فيهم أيضًا : مشركو قريش ، وكل من كفر بالله العظيم .

●أما دفع الإشكال الوارد من غلبة بعض الأمم الكافرة لبعض الأمم المسلمة مع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ٥٥] فلذلك وجوه .

● منها : أن يُقال : إن غلبة أهل الإيمان لأهل الكفر إنما هي بالحجة والبرهان ، فحجة الذين آمنوا غالبة وحجة الذين كفروا داحضة عند ربهم .

● ومنها : أن يقال : إن متبعي عيسى حق الاتباع منصورون على أعدائهم من الكفار في الدنيا على الدوام ، وإنما يعتريهم في بعض الأزمنة والأماكن ما يعتريهم لتقصيرهم في اتباعه عليه الصلاة والسلام ، ومخالفتهم بعض أمره عليه الصلاة والسلام وأمر رسول الله محمد ﷺ .

ويقال أيضًا : إن الذي يعتريهم في بعض الأزمنة والأماكن هو من باب المخصوص من العموم ، فالعموم أن لأتباع الرسل النصر بإذن الله ، وقد يبتلي الله بعض عباده ببعض أعدائه لرفع درجات عباده واتخاذ الشهداء منهم .

= قال الله سبحانه : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة: ٣٠].

● ولا يدخل أيضًا النصارى الذين قالوا : إنه ثالث ثلاثة ، فإن الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة : ٧٣] .

● ولا شك أن عيسى سينزل آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ، وثمَّ أقوال أخر لأهل العلم في هذا الباب .

تنبيه : أشار صديق حسن خان رحمه الله تعالى في تفسيره فتح البيان إلى رسالة للشوكاني رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية اسمها (وبل الغمامة في تفسير) ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ ، وذكر حاصل ما فيها فليراجعها من شاء .

ولي توقف مع صديق حسن خان رحمه الله حيث قال : وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار أو لطوائف الكفار لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين لطوائف المسلمين ... إلى آخر ما قاله رحمه الله .

فحقًّا ما قال إن طوائف من المسلمين قاهرون لغيرهم ، ولكن توقفي معه من ناحية تفريقه بين النصارى والمتبعين لعيسى والمسلمين ، فالنصارى المتبعون لعيسى مسلمون[1]، ولا شك وهم الذين آمنوا برسولنا محمد ﷺ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور العذاب الشديد للكافرين في الدنيا والآخرة ؟

ج : أما صور العذاب الشديد للكافرين في الدنيا فبالقتل والأسر والسلب والسبي والأوجاع والأسقام والجزية والإذلال والصغار ونحو ذلك .

أما صور العذاب في الآخرة فتعذيب بالنار وجلد بالسياط ودفع إلى الجحيم وعرق يلجم أهله إلجامًا و ... أعاذنا الله والمسلمين من ذلك .

❋ ❋ ❋

---

(١) ومما يدل على ذلك قول الحواريين : ﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ .

س : ما هو وجه المماثلة في قوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] ؟

ج : وجه المماثلة في بيان قدرة الله عز وجل على الخلق والإنشاء ، فكما أن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام من تراب بدون أب ولا أم ، بل قالَ له كن فكان ، فكذلك سبحانه وتعالى خلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب .

فالقادر على أن يخلق بشرًا بلا أب ولا أم قادرٌ بطريق الأولى أن يخلق بشرًا من أم بلا أب .

فإن استجزتم أن تتخذوا عيسى ابنًا لله – وحاشا لله – لكونه وُلد من غير أب فلتستجيزوا بطريق الأولى أن تتخذوا آدم ولدًا لله ، ومعلوم بالاتفاق أن هذا باطل ، فالدعوى في عيسى أشد بطلانًا ؛ وحاشا لله أن يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وسبحانه وتعالى عما يشركون .

* * *

س : اذكر دليلًا على أن ابن البنت يطلق عليه ابن ؟

ج : الدليل هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ... ﴾ الآية [آل عمران : ٦١] . فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا[١] .

وقال النبي ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما : « ابني هذا سيد »[٢]، وقريبٌ من ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف

---

(١) أخرجه مسلم (ص١٨٧١ في طرق حديث ٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى ... ﴾ [الأنعام : ٨٤-٨٧] الآيات ، فَذُكر فيها عيسى ونسبته من ناحية أمه .

***

س : اذكر آية المباهلة في القرآن الكريم ؟

ج : آية المباهلة هي قوله تعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ [آل عمران : ٦١] .

***

س : هل تمت المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين النصارى ؟

ج : لم تتم المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين النصارى ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنهما قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله إن كان نبيًّا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا ، ولا تبعث معنا إلا رجلًا أمينًا ، فقال : « لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين » فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : « قم يا أبا عبيدة بن الجراح » فلما قام قال رسول الله ﷺ : « هذا أمين هذه الأمة »[1].

● وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أبو جهل : إن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على عنقه ، قال : فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٠) ، ومسلم (٢٤٢٠) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا .

مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز المباهلة بين المسلمين ؟

ج : تجوز المباهلة بين المسلمين عند الضرورة القصوى[1]، فاللعان مثلًا من صور المباهلة[2] وإن لم يشابهها في كثير من الوجوه ، وقد ورد أن ابن القيم رحمه الله دعا خصومه من أهل البدع إلى المباهلة، ففي مقدمة النونية (١/١٤-١٥) : وقد دعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قيامًا في مواقف الابتهال حاسري الرءوس فسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال .. وظن المثبت والله أن القوم يجيبونه إلى هذا فوطن نفسه عليه غاية التوطين وبات يحاسب نفسه ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ويتجرد من كل هوًى يخالف الوحي المبين ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين .

● وقال رحمه الله في زاد المعاد في فقه قصة أهل نجران (٣/٦٤٣) :

والسنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة ، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك ، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع ولم يُنكر عليه الصحابة ، ودعا إليه الأوزاعي وسفيان الثوري في مسألة رفع اليدين ولم ينكر عليه، وهذا من تمام الحجة .

---

(١) كأن يكون هناك حقٌّ يُبطل ، وباطل يثبت ، وقدم النُّصح والتذكير ولم يُجْد وأقيمت الحجة وأزيلت الشبهة ولم ينفع ذلك أيضًا ، فحينئذٍ تكون المباهلة لإثبات الحق وإبطال الباطل .

(٢) اللعان ورد ذكره في سورة النور في قول الله تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ [النور: ٦-٩].

س : من المراد بأبناء رسول الله ﷺ ونسائه في الآية الكريمة ؟

ج : يوضح ذلك حديث رسول الله ﷺ ففيه أنه عليه الصلاة والسلام لما دعاهم إلى المباهلة دعا عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا[1].

❋ ❋ ❋

س : لما كان القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب من المتباهلين فلماذا ضم إليهما الأبناء والنساء في المباهلة ؟

ج : ضم الأبناء والنساء في المباهلة ؛ ليدل ذلك على ثقة المباهل بحاله واستيقانه بصدقه حيث تجرأ على تعريض أعزته ، وليدل ذلك أيضًا على ثقته بكذب خصمه ، ولأجل أن يهلك خصمه مع أعزته جميعًا لو تمت المباهلة .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز إرسال رسالة فيها آيات من الكتاب العزيز إلى الكفار ؟

ج : نعم يجوز ذلك ، وقد أرسل النبي ﷺ رسالة إلى هرقل فيها[2]: بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدي ، أما بعد .

فأسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧ ، وفي غير موضع من صحيحه) ، ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه به .

س : ما هي كيفية اتخاذ أهل الكتاب بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله ؟

ج : لذلك صور منها :

١ - أن بعضهم يطيع بعضًا في معصية الله ، وفي تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله الله عز وجل ، فأنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله[1] .

٢ - أن بعضهم يسجد لبعض .

٣ - أنهم يعتقدون بألوهية بعضهم كاعتقاد بعض النصارى أن الله هو المسيح ابن مريم .

وبعضهم يدعي أن المسيح ابن الله ، واليهود يدعون أن عزيرًا ابن الله .

* * *

س : كيف حاجج أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام ؟ وكيف أبطل الله حجتهم ؟

ج : حاجج أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام بادعائهم أنه منهم ، فقالت اليهود : كان إبراهيم يهوديًّا ، وقالت النصارى : كان إبراهيم نصرانيًّا . وأبطل الله سبحانه وتعالى حجتهم بقوله : ﴿ وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾ [آل عمران : ٦٥] فكيف تدَّعون أن إبراهيم كانَ يهوديًّا أو نصرانيًّا والتوراة والإنجيل إنما جاءت بعد إبراهيم ﷺ .

فهذا كقول القائل الجاهل : إن الإمام الشافعي رحمه الله كان وهابيًّا ، وكان ابن عباس وهابيًّا أي أتباع لمحمد بن عبد الوهاب !! .

* * *

س : قال الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب : ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم

---

(١) قال القرطبي رحمه الله : وهذا (يعني الآية) يدل على بطلان القول بالاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي .

فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ [آل عمران : ٦٦]، فما الذي حاجج فيه أهل الكتاب وكان عندهم منه علم ، وما الذي حاجج فيه أهل الكتاب وليس لهم فيه علم ؟

ج : الذي حاجج فيه أهل الكتاب وكان لهم فيه علم هو محمد ﷺ فكان عندهم في التوراة والإنجيل نعته ووصفه ووقت خروجه ومبعثه وصفة أصحابه وإلى ماذا يدعو وعن ماذا ينهى ، ومع ذلك كله جادل فيه أهل الكتاب بالباطل ، وكذبوه بغير وجه حق فعليهم العتب في ذلك ولكن العتب الأشد حينما يجادلون في إبراهيم الذي ليس لهم علم به ويصفونه بأنه كان يهوديًا أو نصرانيًا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أدلة ذم الجدل ؟ ، وهل من الجدل شيء مشروع ؟

ج : أما أدلة ذم الجدل ، والمذموم هو الجدل بالباطل والمراء فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [آل عمران : ٦٦].

● وقال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ ... فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ ... قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلَّا مراءً ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] .

● وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة

لمن ترك المراء ولو كان محقًّا » .

إلى غير ذلك من الأدلة التي تنهى عن الجدل وهو الجدل المذموم الذي فيه إهدار الحقوق ، ومضيعة للوقت والجهد ، وجلب للضغائن ، والانتصار للنفس أو لفئة من الناس أو لمذهب من المذاهب بلا برهان ولا دليل .

أما الجدل المحمود ، وهو الذي يؤدي إلى الوصول إلى الحق ويكون بالتي هي أحسن فلا مانع منه .

- قال الله سبحانه : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل: ١٢٥].
- وقال سبحانه : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .
- وقال قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ [هود : ٣٢] . إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في هذا الباب .

والمدار في هذا الباب على مظنة غلبة المصالح أو المفاسد .

فإذا كانت المصلحة راجحة من وراء الجدل بالتي هي أحسن تم الجدل وإن كانت المفسدة راجحة فحينئذ يُترك الجدل ويبتعد عنه فهو حينئذ نوع من الجدل المذموم ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل اليهود والنصارى مشركون ؟

ج : نعم اليهود والنصارى مشركون ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلـٰهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣٠ و ٣١] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] إيماء إلى شركهم.

● ونحوه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] هذا وقد يرد اشتباهٌ على بعض الناس لحديث : « إنما مثلكم فيمن خلا من قبلكم من الأمم كمثل رجل استأجر قومًا فعملوا له ... »[١] الحديث .

فهذا يفيد أن اليهود والنصارى لهم بعض الأجر فكيف يوجه هذا ؟، وللإجابة على هذا أن هذا الحديث إنما هو في اليهود الذين آمنوا بموسى ، والنصارى الذين آمنوا بعيسى وذلك قبل بعثة نبينا ﷺ ، أما بعد البعثة فلا بد من الإيمان بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام .



---

(١) أخرج البخاري (٥٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أُوتي أهل التوراةِ التوراةَ فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأُعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أُوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأُعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتابين : أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ونحن كنا أكثر عملًا ، قال : قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا : لا . قال فهو فضلي أُوتيه من أشاء .

ونحوه عند البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجر آخرين فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا ، فاستأجر قومًا فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين » .

س : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾ [آل عمران : ٦٨] وضح معناه ؟ .

ج : المعنى – والله أعلم – إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به لكونه منهم وهم منه هم الذين اتبعوا ملته واقتدوا بدينه واقتفوا أثره في توحيده لله عز وجل وسمعه وطاعته لله رب العالمين .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ﴾ أليس النبي ﷺ والذين آمنوا داخلين في الذين اتبعوه ، فما فائدة ذكرهم مرة ثانية إذن ؟

ج : نعم النبي ﷺ والمؤمنون داخلون في قوله تعالى : ﴿ للذين اتبعوه ﴾ ولكن هذا من باب عطف الخاص على العام للتعظيم والتشريف ، فذكرت أحقية المتبعين لإبراهيم بإبراهيم ﷺ ثم نُص على النبي ﷺ وأفرد بالذكر تعظيمًا له وتشريفًا وبيانًا لكونه من المتبعين لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في التوحيد وكثير من أمور الشرع ، وكذلك القول في الذين آمنوا .

● وعطف العام على الخاص وارد في جملة مواطن في كتاب الله عز وجل .

● قال الله سبحانه : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ [الأحزاب : ٧] ، فنص على الأنبياء المذكورين بأسمائهم لبيان شرفهم وفضلهم عليهم الصلاة والسلام .

● وقال سبحانه : ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ [الرحمن : ٦٨] ، فنص على النخل والرمان مع كونهما داخلين في عموم الفاكهة .

● وقال سبحانه : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من

بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ... ﴾ [النساء : ١٦٣] ، وهذا باب واسع والأدلة فيه كثيرة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : أهل الكفر والمتبعون للشهوات يريدون دائمًا إضلال المؤمنين ، اذكر جملة أدلة على ذلك ؟

ج : أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة .

- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ [آل عمران : ٦٩] .
- وقال عز وجل : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً ﴾ [النساء : ٨٩] .
- وقال عز وجل : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٢٧] .
- وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] .
- وقال سبحانه : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .
- وقال عز وجل : ﴿ ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٠] .
- وقال سبحانه : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ [القلم : ٩] .
- وقال عز وجل : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ... ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [آل عمران : ٦٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن طائفة من أهل الكتاب بل كثير منهم يتمنى ويرغب ويعمل على إضلال المؤمنين وصرفهم عن الإسلام والتوحيد والاستقامة إلى طرق الغي والفساد ، ولكن من كتب الله له الهداية لا يتأثر بكيدهم ولا بتدبيرهم ولا بتمنيهم ، كما قال سبحانه : ﴿ فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم ﴾ [الصافات : ١٦١ – ١٦٣] أي : إنكم لا تستطيعون فتنة وإضلال من هداه الله ، ولكنكم سبب في إضلال من كتب الله له الغواية ، أعاذنا الله منها .

فلما كان أهل الكتاب يتمنون إضلال أهل الإيمان ويسعون لذلك ويحفظ الله أهل الإيمان فتزداد حينئذ الآثام التي تلحق بأهل الكتاب من جراء سعيهم في الفساد ، ويزداد صرف الله لقلوبهم كما قال تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ... ﴾ [الصف : ٥] فحينئذ يزداد ضلالهم بما اقترفوه من محاولات إضلال العباد . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ﴾ [آل عمران : ٧٠] تشهدون بماذا ؟ وعلى ماذا ؟

ج : يشهدون أنها آيات نزلت من عند الله إذ هي مصدقة للكتب التي نزلت عليهم ، والكتب التي نزلت عليهم مصدقة لها أيضًا وبين أيديهم كتبهم فيها صفة رسول الله ﷺ وصفة أصحابه وأقوالهم وأعمالهم ، والله تعالى أعلم .

● وثم قول آخر ألا وهو : وأنتم تشهدون على أن الدين عند الله هو الإسلام .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿تلبسون الحق بالباطل﴾ [آل عمران: ٧١]؟

ج : معنى تلبسون : تخلطون ، والمعنى الإجمالي – والله أعلم – لم تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية ، وتحرفون التوراة والإنجيل بما يتناسب مع باطلكم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : للكفار ولأهل الكتاب حيل لتشكيك المسلمين في دينهم وضح بعض تلك الحيل ؟

ج : من حيل الكفار ولأهل الكتاب حيل لتشكيك المسلمين في دينهم .

- منها : اتباع المتشابه وترك المحكم .
- ومنها : التفاسير الزائغة لآيات الكتاب العزيز .
- ومنه : إيراد الأغلوطات على العامة والرعاع .

ومنها : ما ذكره الله تعالى حيث قال : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ [آل عمران : ٧٢] .

فيظهرون أن الرسول حق وما يقوله صدق أول النهار ثم يرجعون آخر النهار قائلين : نظرنا في كتبنا فوجدناه باطلًا ونحن أهل إنصاف ومن الدليل على إنصافنا كوننا قبلناه أول النهار ولكن بتحرينا وتتبعنا واستقصائنا وجدناه باطلًا فيشككون الناس فيه .

وقال آخرون منهم : بل نجعل هذا الدين ألعوبة نؤمن ثم نكفر فيتبعنا الناس على ذلك .

وثم طرق أُخر وحيل أُخر لأهل الفسق في ذلك ، والله أعلم .

* * *

س : بين المراد من قول أهل الكتاب : ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٧٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن رؤساء أهل الكتاب أوصوا السفلة منهم بذلك فقالوا لهم : لا تصدقوا محمدًا ولا تصدقوا من أسلم معه ، إنما ليكن تصديقكم لمن هو من أهل الملة التي أنتم عليها .

وقول آخر : لا تطمئنوا وتظهروا سركم وما عندكم إلا لأهل دينكم ، والله تعالى أعلم . وانظر ما سيأتي في السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى الآية الكريمة بتمامها ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ [آل عمران : ٧٣] ؟

ج : لأهل العلم جملة أقوال في هذه الآية الكريمة منها :

● أن أهل الكتاب قال بعضهم لبعض : ولا تصدقوا إلا من كان على دينكم فلن يؤتى أحد مثل الذي أوتيتموه (من توراة وألواح ومنٍّ وسلوى و ... أو من مائدة و ...) وليس عند أحدٍ غيركم حجة يحاججكم بها عند ربكم عز وجل .

فرد الله عز وجل عليهم بقوله سبحانه : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ ، أي : الذي أعطاكم هذا الفضل قادرٌ على أن يعطي غيركم أيضًا أفضل منه .

وقوله تعالى : ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ ، جملة اعتراضية بين كلامين فحواها أن الذي هداكم قادر على أن يهدي غيركم ، وقادر على أن يسلب الهدى منكم . والله أعلم .

● وقول آخر : لا تخبروا بما في كتابكم – من صفة محمد ﷺ والآيات التي معه – إلا من اتبع دينكم لئلا يكون ذلك سبب لإيمان الناس بمحمد ﷺ فيساووكم في الإيمان ويزدادوا عليكم لقوة إيمانهم وشدة تصديقهم وتركب الحجة عليكم في الدنيا والآخرة .

وثمَّ أقوال أخر والله تبارك وتعالى أعلم .

س : ما المراد بالفضل في قوله تعالى : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ [آل عمران : ٧٣] وما هو وجه ختام الآية بقوله تعالى : ﴿ والله واسع عليم ﴾ ؟

ج : أما المراد بالفضل فهو ما أنعم الله به من توفيق وهداية للإيمان والإسلام ، وأيضًا ما أيد الله عز وجل به رسله وأنبياءه ، أما وجه الختام بقوله تعالى : ﴿ والله واسع عليم ﴾ ، أي : عليم بمن يستحق هذا الفضل والهداية للتوفيق من غيرهم ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما المراد بالرحمة في قوله تعالى : ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾ [آل عمران : ٧٤] ؟

ج : قيل في المراد بالرحمة هنا جملة أقوال منها النبوة ، والإسلام ، والقرآن ، والهداية ، وقيل : هي أعم من ذلك كله فيدخل فيها كل ما ذكر مع غيره أيضًا ، والله أعلم .

***

س : هل النبوة تنال بالاستحقاق أم بالاختصاص ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس ﴾ [الحج : ٧٥] ، يفيدان - مع غيرهما من الأدلة - أن النبوة تُنال بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر معانى هذه الكلمات :

أحس – الممترين – حاجك – نبتهل – كلمة سواء – حنيفًا – وجه النهار ؟

ج :

الكلمة	معناها
أحس	علم ووجد .
الممترين	الشاكِّين .
حاجك	جادلك ، وخاصمك .
نبتهل	نلتعن ، وأصل الابتهال الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره .
كلمة سواء	كلمة عدل وإنصاف ، والكلمة العادلة المستقيمة .
الحنيف	المائل ، مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ، وقيل : هو الذي يوحد الله ويختتن ويضحي ويستقبل القبلة في صلاته .
وجه النهار	أول النهار ، ومنه قول الشاعر : من كان مسرورًا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار[1] يجد النساء حواسرًا يندبنه يبكين قبل تبلج الأسحار قد كُن يخبأن الوجوه تسترًا فاليوم حين برزن للنظار يخمش حُرَّات الوجوه على امرىء سهل الخليقة طيِّب الأخبار

(١) المراد النساء لم يكن يندبن قتلاهم إلا بعد إدراك الثأر ، وها هن قد ندبن مالكًا فلا معنى لشماتة شامت فإن قاتل مالك قد قتل ، والله أعلم . وفي الأبيات من المخالفات ما فيه من خمش الوجوه ...

وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ
إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ
وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ
إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا
يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)
وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ
قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ

فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ
وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ
مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ
بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ج وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا
لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ قلے
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ
حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ج وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

س : أهل الكتاب منهم الأمين ومنهم الخائن لكن أكثرهم خونة وضح ذلك ، واذكر مثالًا لرجلٍ أمين منهم ؟

ج : نعم أهل الكتاب منهم الأمين ومنهم الخائن كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

● ولكن أكثرهم خونة لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● ومن أمثال هذا الرجل الأمين منهم ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيدًا ، قال : فائتني بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلًا ، قال : صدقت ، فدفعها إليه على أجلٍ مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجَّله فلم يجد مركبًا ، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجَّج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلًا فقلت : كفى بالله كفيلًا فرضي بك ، وسألني شهيدًا فقلت : كفى بالله شهيدًا فرضي بذلك ، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركبًا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبًا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه ، قال : هل كنت بعثت إليَّ بشيء ؟

قال : أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرِف بالألف دينار راشدًا[1] .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من أهل الكتاب من هو خائن لا يؤدي الأمانة إلا ما دمت عليه قائمًا بالملازمة والمطالبة، فمعنى قوله تعالى : ﴿ إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ أي ملازمًا له ومطالبًا بالدين الذي لك عليه، والله أعلم .

***

س : الواقع يبين أن أهل الكتاب على ثلاثة أصناف .

- **منهم : الأمين الذي إن تأمنه بدينار يؤده إليك .**
- **ومنهم : الخائن الذي إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا .**
- **ومنهم : الخائن الذي لا يؤدي إليك حقك وإن طالبته به .**

فلماذا اقتصر في سياق الكتاب العزيز على ذكر قسمين ؟

ج : اقتصر في سياق الكتاب العزيز على ذكر صنفين ؛ لأن هذا هو الغالب في أهل الكتاب على عهد النبي ﷺ ، وأهمل ذكر الصنف الثالث لقلتهم ، ومن المعهود في سياق القرآن الكريم أن الغالب هو الذي يُذكر ويعول عليه في كثير من الأحيان ، قال الله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الكفالة (٢٢٩١) فقال : وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ .

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] مع أن من الأعراب من هو مؤمن ، كما قال تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ﴾ [التوبة : ٩٩] .

* * *

س : الاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد وضح ذلك ؟

ج : نعم الاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد ، ألا ترى إلى بني إسرائيل لما اعتقدوا – بناء على ما اختلقوه من كذب وزور وتحريف – أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات حملهم ذلك على الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ و ٢٤] .

وأيضًا لما قالوا كذبًا وزورًا : إنهم ليس عليهم في الأميين سبيل – أي ليس عليهم حرج إذا ظلموا العرب والمسلمين – حملهم هذا المعتقد الخبيث على الخيانات وأكل أموال الناس بالباطل ، كما قال سبحانه : ﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ [آل عمران : ٧٦] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ بلى ﴾ فالمراد به – والله أعلم – : أن أهل

الكتاب لما قالوا : ﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ رد الله عز وجل عليهم بقوله : ﴿ بلى ﴾ أي : بلى عليكم حرج وسبيل وإثم في الأميين إذا أكلتم أموالهم وظلمتموهم .

● أما قوله تعالى : ﴿ من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ ، فالمعنى – والله أعلم – أن من أوفى بعهده منكم يا أهل الكتاب مع الله عز وجل ، هذا العهد الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث وتصديقه فيما جاء به فإن الله يحب المتقين الذين اتقوا محارم الله واتبعوا شرعه ، أو المراد : واتقى الشرك ، أو المراد : واتقى أكل أموال الناس بالباطل والخيانة ونقض العهد ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : بيِّن سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران : ٧٧] ؟

ج : نزلت هذه الآية الكريمة في الأشعث بن قيس ، وذلك كما رواه ابن مسعود[(١)] رضي الله عنه إذ قال : قالَ رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين - وهو فيها فاجر – ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من صحيحه ، منها (٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧) ، ومسلم (حديث ١٣٨) ، وغيرهم .

وثمَّ سبب نزول آخر لهذه الآية الكريمة أخرجه البخاري (٤٥٥١) من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رجلًا أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أُعطي بها ما لم يُعطه ليوقع فيها رجلًا من المسلمين فنزلت ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا ... ﴾ إلى آخر ، الآية لكن في =

غضبان » ، قال : فقال الأشعث بن قيس : فيَّ والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجلٍ من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ : « ألك بينة ؟ » قال : قلت : لا ، قال : فقال اليهودي : أحلف ، قال : فقلت : يا رسول الله إذن يحلف ويذهب بمالي ، قال فأنزل الله : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا .. ﴾ [آل عمران : ٧٧] إلى آخر الآية .

❋ ❋ ❋

س : حكم الحاكم هل يُحل الحرام أو يحرم الحلال ؟

ج : حكم الحاكم لا يحل الحرام ولا يحرم الحلال ؛ بدليل قول النبي ﷺ : « إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحوٍ مما أسمع منكم ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار »[1]، وبدليل قوله تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ... ﴾ الآية [آل عمران : ٧٧] ، وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة »[2].

❋ ❋ ❋

= إسنادها إبراهيم بن عبد الرحمن وهو السكسكي متكلم فيه ، وقد انتقد الدارقطني على البخاري إخراج بعض الأحاديث من طريقه .

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٩) و (٢٦٨٠) ، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا .

س :ما معنى قوله تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ... ﴾ [آل عمران : ٧٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الذين يستبدلون ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ ، والأيمان التي يقسمونها بالله عز وجل بالثمن القليل من أعراض الحياة الدنيا أولئك لا نصيب لهم في نعيم الآخرة .

✵ ✵ ✵

س: قوله تعالى: ﴿.. ولا يكلمهم الله﴾ [آل عمران: ٧٧] هذه الآية نفت تكليم الله عز وجل لطوائف من أهل الكفر، وثمَّ آيات أُخر أثبتت تكليم الله عز وجل للكفار كقوله: ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ [المؤمنون: ١١٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، وكقوله تعالى : ﴿ لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ﴾ [المؤمنون : ٦٥] فكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله لطوائف من الكفار والآيات التي أثبتتها ؟

ج : الجمع بأن يقال : إن الكلام المنفي هو الكلام الذي يقتضي اللطف بهم ورحمتهم ، والكلام المثبت هو الكلام الذي فيه تأنيب وتعذيب وتبكيت لهم ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : اذكر طوائف أُخر ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة ؟

ج : من هذه الطوائف ما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرارٍ ، قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يا رسول الله ؟ قال : « المسبل والمنان

والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »[1].

● ومنهم ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماءٍ بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلًا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف »[2].

● ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب، وعائل مستكبر »[3].

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ما كان لبشر ﴾ [آل عمران : ٧٩] ، وقوله تعالى : ﴿ولكن كونوا ربانيين ﴾ [آل عمران : ٧٩] مقدرات محذوفة ذكرها بعض العلماء ما هي هذه المقدرات المحذوفة ؟

ج : أما الأول وهو قوله تعالى : ﴿ ما كان لبشر ﴾ فقد ذكر كثيرٌ من المفسرين أن المعنى ما كان ينبغي لبشر ، وقال بعضهم : ما كان ينبغي ولا يستقيم لبشر .

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٦) ، ومسلم واللفظ له (١٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .
(٣) أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وقال بعضهم : إن ذلك كقوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ ﴾ [النساء : ٩٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ [مريم : ٣٥] ، وقول المؤمنين : ﴿ ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك ﴾ [النور : ١٦] فالمعنى : ما كان ينبغي ، والله أعلم .

أما الثاني : ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ فالمعنى – والله أعلم –: ولكن يقول (أي : يقول من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة) : كونوا ربانيين، والله أعلم .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ... ﴾ [آل عمران : ٧٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أنه لا يصلح ولا يستقيم أن يكون هناك رجل رزقه الله الكتاب وعلمه الأحكام وفقهه في الدين وآتاه النبوة ، ثم بعد ذلك يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ، فلا يستقيم أن يكون رجل نبيًّا عالمًا أمينًا ويأتي مع ذلك يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ، فلا تتناسب النبوة مع الكذب ، ولا يصلح أن يكون النبي إلهًا في وقت واحد ، ولكن من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يدعو الناس إلى معرفة الله والعلم به ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه وأئمة في طاعته وعبادته .

* * *

س : بم تُنال درجة الربانية ؟ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران : ٧٩] ؟

ج : هذه الدرجة تنال بما ذكره الله عز وجل في كتابه حيث قال :

﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ فهي تنال بالتعلم والتعليم ، والمعنى الإجمالي : ولكن كونوا سادة علماء حكماء فقهاء مربيـن للناس بدراستكم الكتاب وتعليمه للناس ، والله تعالى أعلم .

قال صديق حسن خان في فتح البيان : وفي هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل ، وإن من أعظم العمل بالعلم تعليمه والإخلاص لله سبحانه ، والدراسة : مذاكرة العلم والفقه ، فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا ، فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه .

* * *

س : عبادة ملك من الملائكة أو نبيًّا من الأنبياء كفر بالله عز وجل ، وكذلك سؤاله بعد موته وطلب كشف الضر منه وكذلك طلب جلب النفع كل هذا كفر بالله ، وضح ذلك ؟

ج : الدليل هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٨٠] ، فبينت الآية الكريمة أن اتخاذ الأنبياء والملائكة أربابًا نوع من أنواع الكفر .

وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ [النحل : ٣٦] .

* * *

س : وضح المراد بهذه الآية الكريمة ﴿ وإذ[1] أخذ الله ميثاق النبيين

---

(١) هنا مقدر محذوف قدره بعض أهل العلم فقالوا : واذكروا يا أهل الكتاب ، وقدره آخرون على العموم : واذكروا إذ أخذ ... ، والله أعلم .

لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ [آل عمران : ٨١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

الأول : أخذ الله عز وجل ميثاق النبيين أن يؤمن أولهم بآخرهم أي : يؤمن كل نبي بالذي يأتي بعده .

الثاني : أخذ الله ميثاق النبيين جميعًا أن يؤمنوا بمحمد ﷺ .

الثالث : أخذ الله ميثاق أمم النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ .

الرابع : أخذ الله ميثاق النبيين وأممهم لهم تبع أن يؤمنوا بمحمد ﷺ .

الخامس : أمر الله كل نبي أن يأخذ الميثاق على أمته إن بعث فيهم محمد ﷺ أن يؤمنوا به ، وثمَّ أقوال أخر أضربنا عن ذكرها .

أما قوله تعالى : ﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ [آل عمران : ٨١] أي للذي أعطيتكموه من الكتاب والحكمة ، وقال آخرون (لما) بمعنى مهما ، والمراد مهما أوتيتم من كتاب وحكمة ثم جاءكم محمد ﷺ فلزام عليكم أن تؤمنوا به .

وقال بعض أهل العلم : إن (رسول) وإن كانت نكرة إلا أنه أُريد بها معين وهو محمد ﷺ ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه ﴾ [النحل : ١١٢ -١١٣] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا ... ﴾ [آل عمران : ٨٣] كيف أسلم الكافر كرهًا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ – أن الكافر ، وإن أبى أن يسلم بلسانه فهو مستسلم لأقدار الله عز وجل التي تجري عليه فلا يستطيع تبديلها فهو يمرض ويُكسر وينجب أو لا ينجب ويكون عقيمًا أو له ولد ويكون صغيرًا فيشب ثم يتسرب إليه الضعف والشيب ثم يدركه الموت ولا يستطيع لذلك كله تبديلًا .

٢ – أن الكافر وإن أبى أن يسجد لله فظله يسجد لله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد : ١٥] .

٣ – أن الكافر يُسلم عند معاينة الموت حيث لا ينفعه إيمانه ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ [غافر : ٨٤ –٨٥] .

٤ – أن الكافر أسلم كارهًا خوفًا من السيف كما في الصحيح : « عجب الله من قومٍ يدخلون الجنة في السلاسل »[1] .

٥ – أن إسلام الكافر هو معرفته بالله وإن أنكرها بلسانه .

٦ – أن إسلام الكافر كرهًا كان عند أخذ الميثاق .

وأولى الأقوال عندي بالقبول القول الأول ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [آل عمران : ٨٦] ؟

ج : سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا من الأنصار ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ، فأنزل الله تعالى ﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم ﴾ إلى آخر الآية ، فبعث بها قومه إليه فرجع تائبًا إلى النبي ﷺ فخلَّى النبي ﷺ سبيله[1] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [آل عمران : ٨٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من كفر بعد إيمانه وبعد معرفته اليقينية وشهادته أن الرسول ﷺ حق وأنه رسول من عند الله وبعد مجيء البينات إليه فقد تسبب لنفسه في إبعاد الهداية عنه ، فقد جرت سنة الله أن من يسلك طرق الخير ييسرها الله عليه ومن سلك طريق الشر هيىء له في الغالب ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل : ٥ – ١٠] .

● وقال ابن جرير الطبري رحمه الله في معناها : يعني كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قومًا جحدوا نبوة محمد ﷺ ﴿ بعد إيمانهم ﴾ أي:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (التفسير ٩١٤) ، والطبري (التفسير ٧٣٦٠) وإسناده صحيح .

بعد تصديقهم إياه وإقرارهم بما جاءهم به من عند ربه ﴿ وشهدوا أن الرسول حق ﴾ يقول : وبعد أن أقروا أن محمدًا رسول الله ﷺ إلى خلقه ، حقًا ، ﴿ وجاءهم البينات ﴾ يعني وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك ، ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ يقول : والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظالمة ، وهم الذين بدلوا الحق إلى الباطل فاختاروا الكفر على الإيمان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [آل عمران: ٨٦] **كيف تجمع بينه وبين الواقع من أن بعض الظالمين يهديهم الله سبحانه وتعالى؟**

ج : وجه الجمع من ناحيتين :

الأولى : أن يقال إنهم ما داموا قائمين على ظلمهم وكفرهم وجحودهم لآيات الله ولا يتحرون الحق والصواب فلا يهديهم الله سبحانه وتعالى ، أما إذا تحروا الحق والصواب فإن الله عز وجل يأخذ بأيديهم إليه ، كما قال سبحانه : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ... ﴾ [الليل : ٥ - ٧] .

الثانية : أن يقال : إن المراد بالظالمين الذين لا يهديهم الله هم من كتبت عليهم الشقاوة وطبعوا على الكفر ، فهؤلاء قوم ذرأهم الله عز وجل لجهنم فلا تنفع فيهم الذكرى ولا تجدي معهم النصيحة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [آل عمران : ٨٧] **ما المراد بلعنة الله هنا، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين؟**

ج : المراد بقوله تعالى: ﴿ عليهم لعنة الله ﴾ أنه يحل بهم من الله عز وجل

الإقصاء والبعد . كما قاله الطبري رحمه الله .

أما لعنة الملائكة والناس أجمعين ، فالمراد بها دعاء الملائكة والناس أجمعين عليهم بالطرد من رحمة الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [آل عمران : ٨٧] يفيد أن الكافر يلعن الكافر فكيف ذلك ؟

ج : نعم، الكافر يلعن الكافر يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ﴾ [العنكبوت : ٢٥] فيدعو كل كافر على صاحبه كما ذكر الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ – ٦٨] .

وكما قال سبحانه : ﴿ حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار ﴾ [الأعراف : ٣٨] إلى غير ذلك من الآيات ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ﴾ [آل عمران: ٨٧] خالدين في ماذا؟

ج : خالدين فيها أي في اللعنة هذا قول ، وقول آخر : خالدين فيها أي : في النار ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : بعض الذنوب لا يكفي للتوبة منها قول الرجل : أستغفر الله فقط ، وضح ذلك ؟

ج : نعم ثمَّ جملة ذنوب لا يكفي فيها قول الرجل : أستغفر الله فقط ، بل لا بد مع التوبة أشياء أُخر ، فإذا أكل رجل أموال الناس بالباطل فلا يكفي أن يقول : أستغفر الله ، بل يرد الأموال إليهم أيضًا ، وإذا غَشَّ عالمٌ الناس في فتوى أفتاها عن عمد لا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل يلزم أن يبين لهم الصواب كذلك ، وإذا قذف رجل امرأة محصنة عليه أن يبين براءتها كذلك ، والشواهد على ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ – ١٦٠] ، فاشترط هنا التوبة والإصلاح والبيان .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [النور : ٥] فاشترط كذلك الإصلاح هنا .

● وقول الله تبارك وتعالى في القذفة : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [النور : ٤ – ٥] .

● وقال النبي ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[١] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا خلص المؤمنون يوم القيامة من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدَلُّ بمنزله كان في الدنيا »[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا ﴾ الآية [آل عمران : ٩٠] . من هم الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا؟

ج : قيل : هذه الآية عامة في كل من آمن ثم كفر ثم ازداد كفرًا ، وقيل : هم اليهود آمنوا بموسى وبالتوراة ثم كفروا بعيسى وبالإنجيل ثم ازدادوا كفرًا لما كفروا بمحمد ﷺ .

● وقيل : هم اليهود والنصارى آمنوا بما عندهم في التوراة والإنجيل من صفة محمد ﷺ وصفة من معه وما معه، ثم لما جاء رسول الله ﷺ كفروا به ثم أصروا على كفرهم وازداد عنادهم .

● وقيل : هذا في الكفار أقروا بأن الله خالقهم ورازقهم ثم أشركوا بالله وازداد كفرهم بجحودهم رسالة محمد ﷺ واستمرارهم على الكفر حتى هلكوا عليه ، والله أعلم .

فائدة : في قوله تعالى ﴿ ثم ازدادوا كفرًا ﴾ دليل على أن الكفر يتفاوت ، فهناك كفر أعظم من كفر ، وسيأتي بيان ذلك في محله إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضآلون ﴾ [آل عمران : ٩٠]؟

ج : سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

قومًا أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم ﴾[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ﴾ [آل عمران : ٩٠] كيف لا تقبل توبتهم والله عز وجل يقول : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ [الشورى : ٢٥] ويقول : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث فيها « إن للتوبة بابًا مفتوحًا لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها » ، والآيات والأحاديث على هذا النحو وهذه الشاكلة كثيرة ؟

ج : هناك جملة أجوبة لأهل العلم على ذلك ، منها :

الأول : أن الكافر إذا أخر توبته حتى الممات ثم جاء يتوب عند مماته لا تقبل توبته ، كما قال تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا ﴾ [النساء : ١٨] ، ولما قال فرعون عند الغرق : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ أجيب بقوله تعالى : ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [يونس : ٩٠ - ٩١] .

---

(١) تقدم قريبًا .

الثاني : أن الكفار يرتكبون كفرًا ويقترفون معاصي ، فإذا تابوا من معاصيهم لا تغفر لهم تلك المعاصي ما داموا مقيمين على الكفر .

الثالث : أن اليهود الذين كفروا بعيسى ﷺ ثم ازداد كفرهم بمحمد ﷺ وأسرفوا على أنفسهم بالمعاصي لن تقبل توبتهم من المعاصي إلا إذا آمنوا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

الرابع : إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا وحاولوا إظهار التوبة للناس غشًّا وخداعًا فلن تقبل منهم هذه التوبة ، والله أعلم .

* * *

س : من مات على الكفر فلن يُقبل منه عملٌ - عمله - في الدنيا ولا فدية يفتدي بها في الآخرة ، دلل على ذلك ؟

ج : أما الأدلة على ذلك فكثيرة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾ [آل عمران : ٩١] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ [المائدة : ٣٦ - ٣٧] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

● وقول الله عز وجل : ﴿ ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن

أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر : ٦٥]، وقول الله تبارك وتعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ [إبراهيم: ١٨]

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] إلى غير ذلك من الآيات .

● أما من حديث النبي ﷺ .

● فقد قال عليه الصلاة والسلام : « يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به ؛ فيقول : نعم ، فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك »[1] .

● وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لا ينفعه إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى البر في قوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] ؟

ج : المراد بالبر هنا ثواب البر وهو الجنة ، فالمعنى : لن تنالوا الجنة حتى تنفقوا مما تحبون .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٨) ، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي لفظ لمسلم : « قد أردت منك هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك » .

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها به .

وقال بعض العلماء قولًا قريبًا من هذا ، فقال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : لن تدركوا أيها المؤمنون (البر) وهو (البر) من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه ، وذلك تفضله عليهم بإدخالهم الجنة وصرف عذابه عنهم ، ولذلك قال كثير من أهل التأويل : (البر) : الجنة ، لأن بر الرب بعبده في الآخرة إكرامه إياه بإدخاله الجنة .

ثم نقل رحمه الله بعض الآثار في ذلك .

● هذا وثم أقوال أخرى في تفسير البر هنا ، فقال بعض العلماء : إن المراد به هنا التقوى ، وقال آخرون : الطاعة ، وكل هذا يؤدي إلى الجنة ، وتوجيه من قال : إن البر هو التقوى أو الطاعة أن يقال : إنكم لن ترزقوا التقوى وحب طاعة الله عز وجل حتى تنفقوا مما تحبون ، فإنفاقكم مما تحبون يورث قلوبكم التقوى ويورثها حب طاعة الله عز وجل ، وهذا وذاك يؤدي بدوره إلى الجنة ، والله أعلم .

هذا وقد يرد البر بمعانٍ أخر في مواطنَ أخر ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .... ﴾ الآية [البقرة : ١٧٧] .

وكما جاء في حديث رسول الله ﷺ : « البر حسن الخلق »[١]، وكما جاء في حديث النبي عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة »[٢]، إلى غير ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (ص٢٠١٣ حديث ٢٠٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالصدق فإن =

فاصطلاح (البر) كسائر الاصطلاحات التي تتعدد معانيها ويفهم المعنى من السياق الذي ورد فيه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض آيات من الكتاب العزيز تحث على الإنفاق مما نحب ؟

ج : من هذه الآيات :

● قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا ﴾ [الإنسان : ٨ - ١٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر : ٩] .

* * *

= الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » .

س : اذكر صحابيًّا نال شرف العمل بهذه الآية الكريمة : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] ؟

ج : الصحابة الذين عملوا بهذه الآية كثير ، لكن أصح ما ورد في ذلك إنما هو عن أبي طلحة ، فأخرج البخاري وغيره[1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلًا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب ، فلما نزلت : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قام أبو طلحة قال : يا رسول الله إن الله يقول : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب أموالي إلَيَّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، قال رسول الله ﷺ : « بخٍ ذلك مال رايح ذلك مال رايح ، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين » ، قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه .

● وقد رود في هذا الباب شيء عن عمر رضي الله عنه ، فأخرج الطبري في تفسيره (٧٣٩٢) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من حلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فقال : إن الله يقول : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ فأعتقها عمر[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٤) ، ومسلم (حديث ٩٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) وهذا مرسل فمجاهد لم يدرك عمر رضي الله عنه ، لكن ورد أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله لم أصب مالًا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر فما تأمرني به ؟ قال : « احبس الأصل وسبِّل الثمرة » .

وقد وردت آثار أخرى في الباب فيها بعض الضعف منها : ما أخرجه الطبري (٧٣٩٧) من طريق يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن عمرو بن دينار قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ جاء زيد بفرسٍ له يقال له : (سَبَل) إلى النبي ﷺ فقال : تصدَّق بهذه يا رسول الله ، فأعطاها رسول الله ﷺ ابنه أسامة بن زيد بن حارثة فقال : يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق به ! فقال رسول الله ﷺ : « قد قبلت صدقتك » .

وهذا مرسل فعمرو بن دينار تابعي .

● وأخرج الطبري أيضًا (٧٣٩٨) من طريق الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن أيوب وغيره أنها حين نزلت : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرسٍ له كان يحبها فقال : يا رسول الله هذه في سبيل الله ، فحمل رسول الله ﷺ عليها أسامة بن زيد فكأن زيدًا وجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبي ﷺ قال : « أما إن الله قد قبلها » .

وهذا أيضًا مرسل[1].

● وقال الحافظ أبو بكر البزار[2]: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني ، حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : قال عبد الله : حضرتني هذه

---

(١) وله شاهد مرسل آخر أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩٤٩) من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر بنحوه ، فهذه ثلاثة مرسلات ترقي الأثر للحسن . والله أعلم .

(٢) نقلًا عن ابن كثير .

الآية : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عز وجل ، فلم أجد شيئًا أحب إليَّ من جارية رومية فقلت : هي حوة لوجه الله ، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها يعني : تزوجتها . وهذا أيضًا ضعيف .

● وذكر القرطبي في تفسيره بعض الآثار الأخرى فقال : وروي عن الثوري أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خيثم قالت : كان إذا جاءه السائل يقول لي : يا فلانة أعطي السائل سكرًا ، فإن الربيع يحب السكر ، قال سفيان : يتأول قول الله عز وجل : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

● وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدالًا من سكر ويتصدق بها فقيل له : هلا تصدقت بقيمتها ؟ فقال : لأن السكر أحب إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب .

● وأخرج البخاري (٢٥١٧) من طريق سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين قال : قال لي أبو هريرة رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : « أيما رجل أعتق امرءًا مسلمًا استنقذ الله بكل عضوٍ منه عضوًا منه من النار » ، قال سعيد بن مرجانة : فانطلقت به إلى علي بن الحسين ، فعمد عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبدٍ له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم - أو ألف دينار - فأعتقه .

* * *

س : وضح معاني هذه الكلمات : الأُمين – خلاق – لا يزكيهم – يلوون ألسنتهم بالكتاب – ربانيين – إصري – أسلم – الأسباط – يُنظرون – أليم ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــــا
الأُمين	هم العرب الذين ليسوا بأهل كتاب .
خلاق	حظ – نصيب ، ومعنى الآية : لا نصيب لهم في نعيم الآخرة .
لا يزكيهم	لا يطهرهم من الذنوب والأدناس .
يلوون ألسنتهم بالكتاب	يحرفونه – يغيرونه – يبدلونه .
ربانيون	حكماء علماء – فقهاء علماء – حكماء أتقياء ، وقيل : هم العلماء بأمر الدين والدنيا ، وقيل : هم الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره (أي : المسائل الهامة السهلة قبل غيرها) وقيل : هم الولاة ، وقيل : هم من أوتوا بصيرة بأمر الدين وسياسة الناس .
إصري	عهدي .
أسلَم	استسلم وانقاد وخضع .
الأسباط	قيل : هم بنو إسرائيل الاثنا عشر .
ينظرون	يمهلون – يؤخرون .
أليم	مؤلم موجع .



۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ

مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ

﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ

عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ

وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾

يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ

أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا

ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ

ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ

تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ

ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾

ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ

وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ

يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ

وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾

س : من هو إسرائيل ؟

ج : إسرائيل هو يعقوب عليه السلام .

***

س : اذكر باختصار تأويل قول الله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ [آل عمران : ٩٣] ؟

ج : المعنى باختصار : أن كل الأطعمة كانت حلالًا لبني إسرائيل قبل أن تُنزَّل التوراة ولم يُحرم منها شيء إلا الذي كان إسرائيل قد حرمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة .

ثم بعد ذلك نزلت التوراة وفيها تحريم جديد لأشياء كانت حلالًا كما قال تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ [الأنعام : ١٤٦] .

***

س : ما هو الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه ؟

ج : في ذلك جملة أقوال :

الأول : أن الذي حرمه على نفسه هو لحوم الإبل وألبانها .

الثاني : أنه لحوم الإبل ، الثالث : أنه لحوم الإبل مع عروقها .

الرابع : أنه حرَّم العروق فقط .

الخامس : أن الذي حرمه هو زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما كان على الظهر فإن ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار .

السادس : أن الذي حرَّمه على نفسه إنما هو الأنعام .

● وأصح هذه الأقوال قول من قال إن الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه إنما هو اللحم (بما فيه من عروق) ؛ وذلك لأن الأسانيد المرفوعة بذلك أمثل الأسانيد رغم ما فيها من مقال ، والله تعالى أعلم[1] .

---

(١) فقد أخرج أحمد (١/٢٧٤ المسند) من طريق أبي أحمد ثنا عبد الله بن الوليد العجلي وكانت له هيئة رأيناه عند حسن عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا : والله على ما نقول وكيل قال : « هاتوا » قالوا : أخبرنا عن علامة النبي ، قال : « تنام عينه ولا ينام قلبه »، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر ، قال : « يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت » قالوا : أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه ، قال : « كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا » قال عبد الله : قال أبي : قال بعضهم : يعني : الإبل « فحرم لحومها » قالوا : صدقت ، أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله » قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع ! قال : « صوته » قالوا : صدقت ، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك قال : « جبريل عليه السلام » قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله عز وجل : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل ﴾ [البقرة : ٩٧] إلى آخر الآية .

وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩٥٢) ولكن عنده « فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان الأُتن[1] فحرم لحومها » .

لكن لي بعض الملاحظات على هذا الإسناد والمتن فمتنه ليس صريحًا في إثبات أن الذي حُرِّم هو لحوم الإبل ، وأيضًا فيه قال عبد الله : قال أبي قال بعضهم : يعني : الإبل ، وفي رواية ابن أبي حاتم (الأُتن) . هذا شيء ، الشيء الثاني أنه من طريق بكير بن شهاب ، وقد اختلف عليه ، وحديثه أيضًا لا يرتقي للحسن . =

---

(١) الأُتن : أنثى الحمير .

= ● أما القول القائل بأنه حرم لحوم الإبل وألبانها فمستنده :

ما أخرجه ابن جرير الطبري (٧٤٢٠) من طريق أبي كريب قال : حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا فطال سقمه فنذر لله نذرًا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ » فقالوا : اللهم نعم .

وأخرجه أحمد وابن أبي حاتم (٩٥١) .

وفي إسناده شهر بن حوشب متكلم فيه .

● أما القول القائل بأنه حرم العروق ولحوم الإبل فمستنده :

ما أخرجه الطبري في التفسير (٧٤١٨) من طريق أبي كريب حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في ﴿ إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ﴾ قال : حرم العروق ولحوم الإبل ، قال : كان به عرق النسا فأكل من لحومها فبات بليلةٍ يزقو فحلف أن لا يأكله أبدا .

وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩٥٣) لكن لفظه : لا آكل عرقًا .

وأخرجه ابن جرير أيضًا (٧٤١٧) بإسناد أحب إلَّي من الإسناد المتقدم ، وذلك من طريق محمد بن بشار قال : حدثنا يحيى بن سعيد قال : حدثنا سفيان قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت قال : حدثنا سعيد عن ابن عباس فذكره وفيه لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني لحوم الإبل .

لكنه ليس صريحًا في ذكر لحوم الإبل (لقوله : يعني) ثم إنه ورد من طريق الثوري أيضًا (بلفظ العروق) عند الطبري (٧٤١١) .

● أما القول القائل بأنه حرم على نفسه العروق فمستنده :

ما أخرجه الطبري (٧٤٠٥) من طريق يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال : إنه جعل امرأته عليه حرامًا ، فقال : ليست عليك بحرام ، قال : فقال الأعرابي : ولم ؟ والله يقول في كتابه : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ﴾ ؟ قال : فضحك ابن عباس ، وقال : وما يدريك ما كان إسرائيل حرَّم على نفسه ؟ قال : ثم أقبل =

س : ما هو علاج عرق النسا[1] ؟

ج : شفاء عرق النسا ألية شاة أعرابية تُذاب ثم تُجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الريق في كل يومٍ جزء[2] .

❋ ❋ ❋

= على القوم يحدثهم، فقال: إسرائيل عرضت له الأنساء فأضنته(❋) فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عرقًا ، قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم .

وما أخرجه الطبري أيضًا (٧٤٠٨) من طريق بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن الذي حرَّم إسرائيل على نفسه أن الأنساء أخذته ذات ليلة فأسهرته فتألى إن شفاه الله لا يطعم نسًا أبدًا فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم .

● أما القول القائل بأنه حرَّم على نفسه زائدتي الكبد والكليتين .. إلخ .

فهو عند ابن أبي حاتم في التفسير (٩٥٤) من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

وهو موقوف على ابن عباس أيضًا .

وكذلك القول القائل : إنه حرَّم على نفسه (لحم الأنعام) فهو قول ضعيف إذ هو من طريق جابر الجعفي عن مجاهد ، وجابر متهم بالكذب (أخرجه الطبري ٧٤١٩) وابن أبي حاتم (٩٥٥) .

(١) عرق النسا : هو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر حتى يبلغ الكعب . ذكر ذلك بعض أهل العلم .

(٢) وقد ورد بذلك حديث أخرجه ابن ماجة من طريق هشام بن عمار وراشد بن سعيد الرملي قالا : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا هشام بن حسان حدثنا أنس بن سيرين أنه سمع أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ... فذكره . وإسناده صحيح .

❋ ❋ ❋

(❋) أضنته : أي أنهكته .

س : قوله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران : ٩٣]، فيه دليل من دلائل نبوة النبي محمد ﷺ، وضح ذلك ؟

ج : نعم فيه دليل من دلائل النبوة ، وذلك لأن النبي ﷺ كان أُميًّا[١] (لا يقرأ ولا يكتب) ، ومع ذلك أخبرهم بالموجود في كتابهم التوراة ، وبالذي هو غير موجود فيها رغم ما أخفوه من شأن التوراة وما حرفوه منها . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لقوله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل .. ﴾ [آل عمران : ٩٣] ، مناسبة بعد ذكر ما تقدم من آيات وضح هذه المناسبة ؟

ج : أما مناسبة ذلك فمن وجوه :

أولها : أن المشروع عندنا الإنفاق مما نحب ، لقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢][٢]، ثم بُين الذي كان مشروعًا في شريعة إسرائيل عليه السلام وهو تحريم بعض الأشياء (أو أحب الأشياء إلى نفسه) ، على نفسه .

الوجه الثاني : أن سياق الآيات المتقدم كان للرد على النصارى وتزييف أباطيلهم وبيان كذبهم وافترائهم على عيسى عليه السلام ، ثم جاء بعد ذلك

---

(١) قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ... ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .
وقال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

(٢) وكذلك لقوله تعالى أيضًا : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، ولقوله سبحانه : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ [الإنسان : ٨] ، ولقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

الرد على اليهود في كذبهم وافترائهم أيضًا ، وكذبهم وافتراؤهم هنا يتلخص في أنهم كانوا ينكرون النسخ ، ومن ثم زعموا أن المحرمات عليهم في التوراة إنما هي محرمات على سائر الأنبياء من قبلهم (وذلك حتى يسلم لهم القول بأنه ليس هناك نسخ) ، فكذبهم الله عز وجل بقوله : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ ، ثم جاء تحريم أشياء أخرى في التوراة كما ذكر سبحانه : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم .. ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وكما ذكر سبحانه ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ... ﴾ [الأنعام : ١٤٦] الآية ، فدل هذا على أن هناك نسخ إذ هذه أشياء قد حرمت وكانت حلالًا من قبل ، ثم تحداهم الله عز وجل بقوله : ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ ، أي : حتى تعلموا الذي كان محرمًا مما لم يكن محرمًا . وصدق الله .

* * *

س : هل تشرع المحافظة على قول صدق الله العظيم عقب تلاوة القرآن ؟

ج : لم أقف على دليل يفيد ذلك ، وقد قال النبي ﷺ لما رأى الحسن والحسين مقبلين : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾[1] [التغابن : ١٥] » .

(١) أخرجه أبو داود (حديث ١١٠٩) من طريق عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ رأيت هذين فلم أصبر » ثم أخذ في الخطبة ، وهو حديث صحيح ، وقد أخرجه أيضًا الترمذي (٣٧٧٤) ، وقال : هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد(*) ، وأخرجه أيضًا النسائي (١٠٨/٣) ، وابن أبي شيبة في المصنف =

(*) أي : الحسن عن عبد الله بن بريدة عن أبيه .

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود : « اقرأ عليَّ » ، قال : أقرأ عليك وعليك أُنزل يا رسول الله ؟! قال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » ، فقرأ عليه من سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، فقال له رسول الله ﷺ : « حسبك » ، قال : فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1].

الشاهد لو كان قول : (صدق الله العظيم) عقب انتهاء القراءة مشروعًا لأوقفة النبي ﷺ بقوله: قل (صدق الله العظيم) ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾ [آل عمران : ٩٦] ؟ .

ج : المراد - والله تعالى أعلم - أول بيت وضع لعبادة الناس ونسكهم يصلون فيه ويطوفون ويعتكفون عنده . هذا هو الذي أستظهره من أقوال العلماء في ذلك .

***

س : ما هو أول مسجد وضع في الأرض ؟ والدليل ؟

ج : أول مسجد وضع في الأرض هو المسجد الحرام ، والدليل على ذلك

= (١٢٢٣٧) ، وابن ماجه (٣٦٠٠) .

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠) ، وفي غير موضع ، ومسلم (حديث ٨٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال لي النبي ﷺ : « اقرأ عليَّ » ، قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : « نعم » ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ﴾ قال : « حسبك » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان . وله ألفاظ أُخر قريبة المعنى من هذا اللفظ.

حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، وفيه : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : « المسجد الحرام » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » قلت : ثم أي ؟ قال : « ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد »[1].

ودليل آخر وهو الآية الكريمة : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾ ، على التأويل الذي ذكرناه في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه البركة في المسجد الحرام ؟

ج : أصل البركة النمو والازدياد ، وتطلق أيضًا على ثبوت الخير في الشيء ، ووجه البركة حاصل هنا من وجوه :

● منها : مضاعفة ثواب الصلاة فيه ، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

● ومنها : الأجر الذي أُعد للطائفين والحاجين والمعتمرين .

● ومنها : تواجد زمزم ، فماؤها طعام طعم وشفاء سقم .

● ومنها : ما دعا به إبراهيم الخليل لمكة أن يبارك الله في ثمارها ومدها وصاعها ، إلى غير ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه هداية البيت الذي وضع ببكة للعالمين ؟

ج : وجه هدايته من وجوه ، منها :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٥) ، ومسلم (حديث ٥٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

أنه قبلة للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاتهم .
أن به دلائل وآيات تدل على الخالق سبحانه وتعالى .
أنه هدى للعالمين إلى الجنة .

***

س : هل لقوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا ... ﴾ [آل عمران : ٩٦] مناسبة في الرد على اليهود ؟

ج : نعم به مناسبة ، وذلك لأنهم ادعوا أن أول بيت وضع للناس الذي ببيت المقدس ، ففي هذه الآية ردٌّ عليهم .

***

س : اليهود مشهورون بالكذب والتحريف والكتمان ، اذكر حديثًا يبين ذلك ؟

ج : أخرج البخاري في صحيحه (٤٥٥٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجلٍ منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم : « كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟ » قالوا : نحممهما ونضربهما ، فقال : « لا تجدون في التوراة الرجم ؟ » فقالوا : لا نجد فيها شيئًا ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فوضع مِدراسُها الذي يُدرِّسها منهم كفَّه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم فقال : ما هذه ، فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم ، فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد ، قال : فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة .

***

س : قال الله سبحانه وتعالى : في شأن الحرم : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ونحن أحيانًا نسمع عن أناس قتلوا في الحرم ، بل ونرى ذلك أحيانًا ، فكيف يُجمع بين الآية الكريمة وبين الواقع الذي نراه ونسمع عنه ؟

ج : الإجابة أن يقال : إن الآية الكريمة خبر بمعنى الأمر ، فالمعنى – والله أعلم – أمِّنوا أيها الناسُ من دخل الحرم ولا تتعرضوا له بسوء ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] فالمعنى – والله أعلم – لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج .

● وقال بعض العلماء : إن قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] إخبار عن الحال الذي عليه الحرم شرعًا ، فكان كل من جرَّ جريرةً في الجاهلية ثم عاذ بالبيت لم يكن مأخوذًا بها .

● وبعضهم يقول : إن من دخله كان آمنًا ، أي : آمنًا من عذاب الله[1] (مع سائر الضوابط الشرعية الأخرى) ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فيه آيات بينات ﴾ ، [آل عمران : ٩٧] وبينات على ماذا ؟ وما هي هذه الآيات البينات ؟

ج : أما معنى قوله تعالى : ﴿ آيات بينات ﴾ ، أي : دلالات وعلامات

---

(١) وهذا قول ضعيف ، ففي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكر حديث الشفاعة الطويل وفيه : « فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ».

واضحات ، فهي دلالات وعلامات على قدرة الله عز وجل ، ودلالات وعلامات على أن الذي بناه إنما هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أما الآيات البينات فمنها مقام إبراهيم عليه السلام ، والمراد به هنا الصخرة التي كان إبراهيم عليه السلام يقف عليها حتى يتمم بناء الكعبة من أعلى ، فكان فيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام[١] ، وهذا مما يدل على أن الذي بناه إبراهيم عليه السلام .

ثم من الآيات البينات تعظيم الله عز وجل لمن دخل هذا البيت وأمره سبحانه بتأمين من دخل البيت . فكان الرجل يدخل مكة فيرى فيها قاتل أبيه وقاتل أخيه ولا يتعرض له بسوء .

❋ ❋ ❋

س : رجل أصاب ما يستوجب حدًّا وهو داخل الحرم هل يقام عليه الحد داخل الحرم ؟

ج : الجمهور من العلماء على أن من أصاب حدًّا داخل الحرم[٢] أُقيم عليه الحد فيه ، نقل ذلك القرطبي عن ابن العربي ولفظه : والجمهور من العلماء على أن الحدود تقام في الحرم ، وقد أمر النبي ﷺ بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة[٣] .

وقال الطبري رحمه الله : فأما من أصاب الحد فيه فإنه لا خلاف بين

---

(١) كما قال أبو طالب في لاميته :

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيًا غير ناعل

(٢) المراد بالحرم هنا مكة كلها وما يلحق بها كمنى ونحوها ، وليس المراد المسجد فقط .

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقتلوه » . وأخرجه مسلم (١٣٥٧).

الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد ، ونقل الإجماع على ذلك .

***

س : رجل قتل رجلًا ثم لاذ بالحرم فماذا نصنع به ؟

ج : يُخرج من الحرم ثم يُقتل ، وقد نقل ابن جرير الطبري الاتفاق على ذلك ، لكنه نقل الخلاف في صفة الإخراج الذي يُخرج به من الحرم ، فمن الناس من يخرجه جبرًا ، ومنهم من يرى أن يقاطع فلا يُباع له ولا يُشترى منه ولا يُتعامل معه حتى يخرج من الحرم ، فإذا خرج من الحرم قتل[1] .

---

(١) قال ابن جرير رحمه الله : فإن قال لنا قائل : وما دلالتك على أن إخراج العائذ بالبيت - إذا أتاه مستجيرًا به من جريرةٍ جرها أو من حدٍّ أصابه من الحرم - جائز لإقامة الحد عليه وأخذه بالجريرة ، وقد أقررت بأن الله عز وجل قد جعل من دخله آمنًا ومعنى (الآمن) : غير الخائف فيما هما فيه مختلفان ؟

قيل : قلنا ذلك لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن إخراج العائذ من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الإخراج ؛ لأخذه بما لزمه واجب على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه ، وإنما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه ، فقال بعضهم : السبب الذي يجوز إخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيه وإيواءه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها .

وقال آخرون منهم : بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الإخراج ، فلما كان إجماعًا من الجميع على أن حكم الله - فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها - إخراجه منه لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه ، ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز إخراجه به منه كان اللازم لهم ولإمامهم إخراجه منه بأي معنى أمكنهم إخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه خارجًا منه إذا كان لجأ إليه من خارج على ما قد بينا قبل .

وبعد ، فإن الله عز وجل لم يضع حدًّا من حدوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » ولا خلاف بين جميع =

س : اذكر بعض الأدلة على حرمة مكة والحرم ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

٣ - قول الله تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع

= الأمة أن عائذًا لو عَاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي ﷺ يؤاخذ بالعقوبة فيه ، ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزم عباده من قتل أو غيره ، أعظم البقاع إلى الله كحرم الله وحرم رسوله ﷺ ، ولكنا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حرم الله لإقامة الحد لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثة ، فمعنى الكلام - إذ كان الأمر على ما وصفنا - ومن دخله كان آمنًا ما كان فيه ، فإن كان ذلك كذلك فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائذًا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه .

هذا وقد وردت في ذلك جملة آثار منها :

ما أخرجه الطبري (٧٤٥٤) حيث قال : حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة قوله : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ ، وهذا كان في الجاهلية ، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ إلى حرم الله لم يتناول ولم يُطلب ، فأما في الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله ، من سرق فيه قطع ، ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ، ومن قتل فيه قتِل . وإسناده حسن .

وأخرج الطبري أيضًا بأسانيد صحيحة إلى حماد والحسن وعطاء أنه يُخرج من الحرم فيقام عليه الحد .

وأخرج من جملة أسانيد إلى ابن عباس رضي الله عنهما ما حاصله أن من أحدث حدثًا في غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرض له ولم يبايع ولم يُكلم ولم يؤوَ حتى يخرج من الحرم ، فإذا خرج من الحرم أخذ فأقيم عليه الحد .

وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ٣ - ٤] .

٤ - قول الله تعالى : ﴿ أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ﴾ [القصص : ٥٧] .

٥ - قول النبي ﷺ - يوم فتح مكة[١] -: « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي و لم يحل لي إلا في ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها » فقال العباس : إلا الإذخر يا رسول الله ، إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : « إلا الإذخر » .

٦ - قول النبي ﷺ : « لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح »[٢] .

٧ - قول النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ... »[٣] .

٨ - قول أبي شريح العدوي[٤]: لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولًا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أُذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٣) ، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا ، وهو عند البخاري أولًا من مرسل مجاهد ، ثم عقبه بالمتصل عن ابن عباس .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وله عدة طرق عن أنس أيضًا في الصحيحين وعن غير أنس كذلك في الصحيحين وغيرهما أيضًا .

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٩٥) ، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه مرفوعًا .

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له : إن الله أذن لرسوله و لم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » .

* * *

س : ما هي الآية التي استدل بها الجمهور على وجوب الحج ، وهل من أدلة أخرى على وجوب الحج ؟

ج : أما آية وجوب الحج عند الجمهور فهي قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وثمَّ جملة أدلة أخرى على وجوب الحج ، فضلًا عن الإجماع المنعقد على وجوبه على القادر مرة واحدة في العمر ، أما الأدلة على وجوبه غير الآية الكريمة فمنها :

- قول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس ....وحج البيت »[(١)] .
- قول النبي ﷺ : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا »[(٢)] .
- قول النبي ﷺ : « الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله .... وتحج

---

(١) أخرجه البخاري (حديث٨ ، ٤٥١٥) ، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجُّوا » ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا ، فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

البيت إن استطعت إليه سبيلًا »[1] ، وثم أدلة أخرى يأتي ذكرها في مظانه إن شاء الله .

✵ ✵ ✵

س : ما هو السبيل المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ؟

ج : لأهل العلم جملة أقوال في تفسير السبيل هنا .

● فمنهم : من يرى أن السبيل هو الزاد والراحلة ، وقد ورد بذلك حديث ضعيف عن رسول الله ﷺ[2] .

● ومنهم : من يرى أن المراد بالسبيل الصحة .

● ومنهم : من يرى أن المراد بالسبيل الطاقة للوصول إلى الحج ، والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن المراد بالسبيل ما يحتاج إليه الحاج لحجه من راحلة وزاد وصحة وأمن في الطريق ومحرم للمرأة ونحو ذلك .

وهذا الذي اختاره الطبري رحمه الله حيث قال : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء : إن ذلك على قدر الطاقة ؛ لأن السبيل في كلام العرب : الطريق ، فمن كان واجدًا طريقًا إلى الحج لا مانع له منه – من زمانة أو عجزٍ أو عـدوٍّ أو قلة ماء في طريقه أو زادٍ أو ضعف عن المشي – فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا أداؤه ، فإن لم يكن واجدًا سبيلًا – أعني بذلك –: فإن لم يكن مطيقًا للحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجد إليه طريقًا ولا يستطيعه ؛ لأن الاستطاعة إلى ذلك هي القدرة عليه ، ومن كان عاجزًا عنه ببعض الأسباب

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) انظر بيان ما فيه في كتابنا جامع أحكام النساء (أبواب الحج والعمرة) .

التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيل .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ [آل عمران : ٩٧] على وجه الإجمال ؟

ج : المعنى - والله أعلم -: فرض واجب على الناس لله عز وجل أن يحجوا .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالكفر في قوله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وما هو المعنى الإجمالي للآية الكريمة ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن المراد بالكفر هنا هو الكفر بالله عز وجل ، ومنهم من قال : إن المراد بالكفر هنا الكفر بفريضة الحج ، أي : من كفر بفرض الحج ولم يره واجبًا[1] .

أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ ، فالمراد به - والله أعلم - من جحد فريضة الحج وأنكرها وكفر بها فإن الله غني عنه وعن عمله وحجه بل وعن جميع الخلق من الإنس والجن ، والله أعلم . .

❋ ❋ ❋

(١) وثمَّ أقوال أُخر منها : ألا يكون معتقدًا في حجه أن له الأجر عليه ولا أن عليه بتركه إثمًا ولا عقوبة . وبعض العلماء يرى أن المراد : ومن كفر بالآيات التي في مقام إبراهيم ، ومنهم من قال غير ذلك ، والصواب قول من قال : (من جحد فريضة الله وأنكرها وكفر بها فإن الله غني عن العالمين) .

س : ما مدى صحة حديث : « من ملك زادًا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديًّا أو نصرانيًّا » ؟

ج : الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بسبيل الله في قوله تعالى : ﴿ لم تصدون عن سبيل الله ﴾ [آل عمران : ٩٩] ؟

ج : المراد بسبيل الله هنا : دين الله ، وكذلك قيل : إن المراد : رسول الله ﷺ الذي يوصل إلى دين الله .

وقد يأتي لسبيل الله معان أُخر وذلك في مواطن أُخر على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : بين المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿ اتقوا الله ﴾ ، خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿ حق تقاته ﴾ حق خوفه ، وهو أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى .

وأورد ابن جرير الطبري أثرًا من طرق عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ قال : أن يُطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يُكفر(١) .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧٥٣٦ فما بعدها) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١٠٧٩) ، =

وقد روي هذا الأثر عن ابن مسعود مرفوعًا إلا أن الحافظ ابن كثير رحمه الله رجح الوقف[1]، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث في ذم الفرقة والاختلاف ؟

ج : هناك جملة من الآيات والأحاديث في ذم الفرقة والاختلاف ، من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا .. ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

● وقال تعالى : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا

= وعبد الرزاق (التفسير ١/١٣٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٨٥٠١) و (٨٥٠٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/٢٩٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٢٩٧) من طرق عن زبيد بن الحارث اليامي عن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود موقوفًا عليه ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود رضي الله عنه .

(١) وهو : الراجح ، أي : أن الوقف هو الراجح .

السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

● وقال سبحانه : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى : ١٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ [هود : ١١٨ – ١١٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة .. ﴾ [المائدة : ١٤] .

أما الأحاديث الواردة في هذا الباب فكثيرة نذكر منها ما يلي :

● عن أبي هريرة رضي الله عنه[١] أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا » .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال[٢]: قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦) ، ومسلم (٢٥٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥) .

تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعةَ المال » .

• وعن أبي مسعود رضي الله عنه[1] قال : كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ... » الحديث .

• وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه »[2] .

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه[3] قال : سمعت رجلًا قرأ آية وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فجئت به النبي ﷺ فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال : « كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » .

• وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[4] قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر ، فكأنما يُفْقأُ في وجهه حب الرمان من الغضب ، فقال : « بهذا أُمرتم أو لهذا خُلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض ، بهذا هلكت الأمم قبلكم » (حسن) .

قال : فقال عبد الله بن عمرو : ما غبطت نفسي بمجلسٍ تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه .

• وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قام فينا

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٦) وفي غير موضع من صحيحه .

(٤) جده هو : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، والحديث عند ابن ماجة (٨٥) ، وأحمد في المسند (١٧٨/٢ و ١٩٥) .

رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال : « استوصوا بأصحابي خيرًا ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى إن الرجل ليبتدىء بالشهادة قبل أن يسألها . فمن أراد منكم بحبحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »[1] .

● حديث ابن عباس[2] رضي الله عنهما قال : لما حُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ : « هَلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده » فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله[3]، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قرِّبوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ : « قوموا » .

قال عبيد الله (أحد رواة الحديث) : فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم .

● وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه[4] قال : خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرًا لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » .

---

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وقد تحدثت عنه في تحقيقي للمنتخب لعبد بن حميد رقم (٢٣) بما فيه الكفاية .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٢) وفي غير موضع ، ومسلم (حديث ١٦٣٧) وغيرهما .

(٣) الذي كان يقول ذلك هو عمر رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٢٣) وغيره .

وله سياق آخر عند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر قبل أن تُبان له ، فلما انقضين أمر بالبناء فقوِّض ثم أُبينت له أنها في العشر الأواخر ، فأمر بالبناء فأُعيد ، ثم خرج على الناس فقال : « يا أيها الناس إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان ... » الحديث .

والشاهد منه أن العلم بليلة القدر رفع للاختلاف ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية منسوخة ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ؟

ج : في هذا قولان لأهل العلم :

● فمنهم : من يرى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ﴾ [التغابن : ١٦] .

● ومنهم : من يرى أنها ليست بمنسوخة بل هي محكمة ، ورأى بعض هؤلاء أن قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ مبين لقوله تعالى : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ فعليه يكون المعنى : (فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم) قال القرطبي : وهذا أصوب[1] .

❋ ❋ ❋

(١) مستند القائلين بتصويب عدم النسخ ، أن عدم النسخ هو الأصل ، وأيضًا يُصار إلى النسخ إذا لم يُمكن الجمع ، ولكن ما دام الجمع ممكنًا فالمصير إليه أولى ، والله تعالى أعلم .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] وهل من حديث في معناها ؟

ج : المعنى - والله أعلم - حافظوا على إسلامكم واثبتوا عليه وسلوا الله الثبات عليه في حياتكم وصحتكم وسلامتكم حتى تموتوا عليه ، ففي الغالب[1] أن من عاش على شيء وداوم عليه مات عليه .

● أما الأحاديث في معنى هذه الآية الكريمة فمنها : حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يُحب أن يؤتى إليه »[2] .

● ومنها : حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عز وجل »[3] .

● وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ولو أن قطرة من الزقوم قطرت لأَمَرَّت على أهل الأرض عيشتهم ، فكيف بمن

---

(١) هذا في الغالب ، ولكن - عياذًا بالله - قد يتقلب قلب شخص من الإيمان إلى الكفر فيختم له بسوء - عياذًا بالله من ذلك- ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .
وفي بعض طرق هذا الحديث : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة - فيما يرى الناس - ... » ولكن كما جاء في الحديث القدسي: يقول الله سبحانه : « أنا عند ظن عبدي بي » فنسأله سبحانه الوفاة على الإسلام والإيمان وهو راض عنا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

ليس له طعام إلا الزَّقوم »[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بحبل الله في قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؟

ج : أصل الحبل هو السبب الذي يُتوصل به إلى البغية والمراد :

● أما المراد بحبل الله في الآية الكريمة فمنهم من يقول : إنه عهد الله ، ومستنده في ذلك قول الله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبلٍ

---

(١) هذا الحديث أخرجه أحمد (١/٣٠١ ، ٣٣٨) ، والترمذي (٢٥٨٥) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجة (٤٣٢٥) ، والطيالسي (حديث ٢٦٤٢) ، ومن طريقه الطبراني في الصغير (٢/٥١) ، وأخرجه أيضًا النسائي في الكبرى (٦/٣١٣) ، والبغوي في التفسير (٢/٧٧ ط . دار طيبة) ، وفي شرح السنة (١٥/٢٤٦) ، وابن أبي حاتم (في التفسير ٢/١/٤٥٠) ، والحاكم في المستدرك (٢/٢٩٤ ، ٤٥١) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٦١١) ، وفي الإحسان (٩/٢٧٨) من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكره .

لكن أخرجه أحمد (١/٣٣٨) من طريق فضيل بن عياض ، وابن أبي شيبة (١٣/١٦١) من طريق يحيى بن عيسى كلاهما (أي : فضيل ويحيى) عن الأعمش عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس موقوفًا مختصرًا بلفظ : « لو أن قطرة من زقوم جهنم نزلت على أهل الأرض أفسد على الناس معايشهم » ففيه واسطة بين الأعمش ومجاهد (وهو أبو يحيى القتات وهو لين الحديث) ، ثم إنه موقوف ، وقد تكلم بعض أهل العلم في رواية الأعمش عن مجاهد وقالوا : لا يصح منها شيء إلا ما قال فيها الأعمش : سمعت .

والذي يبدو لي بعد هذا البحث أن المرفوع من هذا الحديث هو أن النبي ﷺ قال : « ﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ » أما قوله : « ولو أن قطرة من الزقوم ... » إلى آخره موقوف من قول ابن عباس رضي الله عنهما .

من الله وحبلٍ من الناس ﴾ .

● ومن العلماء من يقول : إن حبل الله هو القرآن ، وقد وردت بذلك أحاديث مرفوعة إلى رسول الله ﷺ لكن فيما وقفت عليه منها ضعف ، فمن هذه الأحاديث :

● حديث علي رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتاب الله هو حبل الله المتين » لكن في إسناده الحارث الأعور وهو كذاب .

● ومنها : حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين » لكن في إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف .

● ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » لكن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف .

● لكن مع هذا كله قال فريق من أهل العلم : إن حبل الله المراد به هنا القرآن ، وممن قال بهذا ابن مسعود رضي الله عنه[1] وغيره .

● ومن العلماء من يقول : إن حبل الله هو القرآن والعهد الذي عهد فيه .

● ومنهم من يقول : إن حبل الله هو الجماعة .

● ومنهم من يقول : إنه إخلاص التوحيد لله .

---

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٥٧٠) : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله ﴿ واعتصموا بحبل الله ﴾ قال : حبل الله : القرآن ، وإسناده صحيح .

● ومنهم من يقول : إنه الإسلام .

وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد وهو ما يتوصل به إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فالقرآن يُتوصل به لذلك ، وكذلك الإسلام ، وكذلك الجماعة ، وكذلك إخلاص التوحيد لله ، وكذلك التمسك بعهد الله عز وجل وأوامره . والله تعالى أعلم .

***

س : ما المراد بنعمة الله في قوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟

ج : المراد – والله أعلم – نعمة التأليف بين القلوب والاجتماع على الإسلام وترك القتال فيما بينهم ، كما قال رسول الله ﷺ للأنصار يوم حنين : « ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ... »[1] ، فقد كانت العداوة بين الأوس والخزرج (وهما من الأنصار)

---

(١) أخرج البخاري (٤٣٣٠) ، ومسلم (١٠٦١) ، وأحمد (٤٢/٤) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال : لما أفاء الله على رسوله يوم حُنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمنُّ ، قال : « ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ » قال : كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمن ، قال : « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا[1] . ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

---

(١) أي : طريدًا فآويناك ، وخائفًا فأمنَّاك ... كما في الرواية الأخرى .

على أشدها في الجاهلية ، واستمرت الحروب بينهم سنين طويلة حتى جاءهم رسول الله ﷺ فجمعهم الله عز وجل عليه بعد فرقة ، وهداهم بعد ضلالة ، وأعزهم بعد ذلة ، وألف بين قلوبهم بعد شتات .

● أما النعمة في قوله تعالى : ﴿ فأصبحتم بنعمته ﴾ يعني – والله أعلم –: نعمة الإسلام والإيمان فهي أعظم النعم على الإطلاق .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أنكم كنتم على حافة النار فإذا متم على الكفر فقد سقطتم في حفرة النار ، فأنقذكم الله تعالى بما منَّ به عليكم من الإسلام والإيمان .

***

س : مِن في قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ... ﴾ [آل عمران : ١٠٤] هل هي للتبعيض أو لبيان الجنس ؟

ج : مِن هنا – والله أعلم – للتبعيض بمعنى : وليكن بعضكم دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر .

وقال بعض العلماء : إن من هنا لبيان الجنس ، والمعنى : لتكونوا كلكم كذلك ، والقول الأول أرجح ؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

● وقال تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا

الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ [الحج : ٤١] ولم يُمكن كل الناس في الأرض .

● ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله فرض على الكفاية ، وقد يتعين في بعض الأحيان على بعض الأشخاص ؛ لقول رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »(١) .

***

س : اذكر بعض الأدلة التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

● وقول الله سبحانه : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

● وقال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ [لقمان : ١٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ١ - ٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٨١] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف : ١٦٥].

● وقال سبحانه : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة : ٦٣] إلى غير ذلك من الآيات .

أما أحاديث رسول الله ﷺ فكثيرة في هذا الباب ، منها :

● حديث رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[(١)] .

● وقول النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ... »[(٢)] .

● وقول النبي ﷺ : « لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول بحق إذا

---

(١) صحيح وتقدم تخريجه قريبًا ، وهو عند مسلم .

(٢) صحيح وقد تقدم تخريجه وسياقه بطوله .

رآه أو سمعه أو علمه » .

***

س : هل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ضوابط ؟

ج : نعم له ضوابط : منها :

● أن يكون عالمًا بحكم ما يأمر به وما ينهى عنه وما يدعو إليه ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

● أن يكون عالمًا (في الجملة) بقضية المفاسد والمصالح ، فهذه أساس وأصل في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرُبَّ منكر غُيِّر فأتى بمنكر أعظم منه ، والله عز وجل أخبر أنه لا يحب الفساد ، وقال سبحانه : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقال النبي ﷺ : « يا عائشة لولا أن قومك حديثٌ عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون »[١].
والأدلة على هذا كثيرة .

● ومنها : أن يكلل دعوته بلين الجانب والخلق الحسن ؛ لقول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٣ – ٤٤] .

● ولقول النبي ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها (١٢٦) ، (١٥٨٣) ، و ... ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .
وفي بعض الروايات : « لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم عليه السلام » .

من شيء إلا شانه »[1] .

● وأن يعرف المواطن التي تحتاج إلى شدة فيشتد ، والمواطن التي تحتاج إلى لين فيُلين ، وأن يكون مُلمًّا بأحوال الناس ، فيُذكر حيث يرى أن الذكرى تنفع ؛ لقوله تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] .

● وحري به أن يكون صالحًا في نفسه وخاصة فيما يدعو الناس إليه ؛ لقول الله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ، ولقول شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [هود : ٨٨] .

* * *

س : من هم الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ؟

ج : هم اليهود والنصارى في قول جمهور المفسرين ، ومن الناس من قال : إنهم المبتدعة من هذه الأمة ، والقول الأول أولى في هذا المقام ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض طوائف المبتدعة من هذه الأمة ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن أصول الفرق الضالة ست وهي : الحرورية ، والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية ، ثم انقسمت كل فرقة منهم إلى عدة فرق .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وعند مسلم أيضًا (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من يُحرم الرفق يُحرم الخير » .

ويضاف إليهم أيضًا الناصبة .

وانظر تفسير القرطبي رحمه الله (١٠٣/٤) ، والفِصَل في الملل والنحل لابن حزم وسائر مصنفات أهل السنة في الملل والنحل .

***

س : قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ [آل عمران : ١٠٦ ، ١٠٧] وجوه من التي تبيض ووجوه من التي تسود ؟

ج : أما الذين تبيض وجوههم يوم القيامة فهم أهل التوحيد والإيمان ، فإن الله عز وجل يسألهم يوم القيامة هل تريدون شيئًا فيقولون « .. ألم تُبيِّضْ وجوهنا ... » الحديث .

ومنهم : أقوام يزداد بياض وجوههم وهم أول زمرة تدخل الجنة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة »[1].

ومنهم : حفظة حديث رسول الله ﷺ المبلغون له ؛ لقول النبي ﷺ : « نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها »[2].

- أما الذين تسود وجوههم يوم القيامة ففيهم جملة أقوال للعلماء :
- فمنهم من قال : إنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة .
- ومنهم من قال : إنهم المرتدون من هذه الأمة ، وشاهدهم على ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٦) ، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) هذا حديث ثابت صحيح بل هو متواتر عن رسول الله ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ .

● ومن أهل العلم من قال : إنهم المنافقون فهم قد شهدوا ألا إله إلا الله ثم ارتدوا .

● ومنهم من قال : هم عموم الكفار لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أُغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [يونس : ٢٧] والخلود لا يكون إلا مع الكفر . ولقول الله تعالى : ﴿ ووجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ [عبس : ٤٠ - ٤٣] ، أما كيف يلتئم هذا مع قوله تعالى : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ فإن المراد بالإيمان هنا الإيمان المأخوذ عليهم وهم في صلب أبيهم آدم ، والمذكور في قول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ... ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٢] .

● أو الإيمان الذي أقروا به لما سئلوا من خلق السموات والأرض فقالوا : الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ [الزمر : ٣٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تُسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٨ ، ٨٩] .

● واختار ابن جرير الطبري رحمه الله أنه عني بذلك جميع الكفار ، وعلل ابن جرير ذلك بقوله : وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين ، أحدهما سودًا وجوهه ، والآخر بيضًا وجوهه ، فمعلوم إذ لم يكن هناك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سوِّد وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهه ، فلا وجه إذًا لقول قائل : (عني بقوله : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ بعض الكفار دون بعض)

وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعًا ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة كان معلومًا أنها المرادة بذلك .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت .. ﴾ [آل عمران : ١٠٦] أسلوب بلاغي حيث قدم أولًا ﴿تبيض﴾ ثم قال : ﴿فأما الذين اسودت ﴾ فما هو نوع هذا الأسلوب ؟

ج : يطلق العلماء على هذا الأسلوب البلاغي أسلوب اللف والنشر ، أو أسلوب التلوين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كان في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ [آل عمران : ١١٠] ما المراد بها ؟

ج : كان في هذا الموطن لها معان ذكرها العلماء ، منها :

- خلقتم ووجدتم خير أمة ، على أساس أن (كان) هي كان التامة .
- كنتم في اللوح المحفوظ مكتوبين أنكم خير أمة .
- كنتم عند من سبقكم من أهل الكتاب مذكورين أنكم خير أمة ، وأهل الكتاب يعلمون ذلك عندهم .
- وقيل : إن (كان) زائدة في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ ، والمعنى أنتم خير أمة ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا ﴾ [مريم : ٢٩] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ واذكروا إذ كنتم قليلًا فكثركم ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، كما في قول شعيب عليه السلام لقومه ، وقال سبحانه للمؤمنين من أمة محمد ﷺ : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل ... ﴾ [الأنفال : ٢٦] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أقوى وجه لانتفاع الأمم بأمة محمد ﷺ ؟

ج : أقوى وجه انتفاع تنتفع فيه الأمم بأمة محمد ﷺ أن أمة محمد ﷺ تقاتل هذه الأمم حتى تُدخلها الإسلام فتنجيها من عذاب الله يوم القيامة ، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام[1] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [آل عمران : ١١٠] فضيلة للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وضحها ؟

ج : وجه هذه الفضيلة أن الخيرية في هذه الأمة منوطة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وإيمانها بالله ، فإذا تخلت عن إيمانها بالله وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر سُلبت منها تلك الخيرية ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المخاطب بهذه الآية هم أصحاب محمد ﷺ خاصة[2] ، لكن الصحيح من أقوال العلماء : أن المخاطب بها عموم أمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٧) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٦١) ، والنسائي في التفسير (٩١) ، والطبري في التفسير (٧٦١٦) .

(٢) أخرج النسائي في التفسير (٩٢) ، والطبري في التفسير (٧٦٠٦) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٥٧) من طريق سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ .

محمد ﷺ ، ويدخل فيهم الصحابة رضي الله عنهم بالدرجة الأولى .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، فالخطاب وإن كان لأصحاب رسول الله ﷺ إلا أن الأمة جميعها لهم تبع ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] إلى غير ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أي أمة محمد ﷺ أفضل ، أولها أم آخرها ؟

ج : أفضل أمة محمد ﷺ هم أولها ، وذلك لقول النبي ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... »[(١)].

ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه »[(٢)] .

● ولقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحسنى ﴾ [الحديد : ١٠] .

● ولقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٤] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

وقد وردت بعض الأحاديث تُشعر بأن آخر هذه الأمة قد يفضل أولها

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

كحديث : « مثل أمتي مثل الغيث لا يدرى أوله خير أم آخره » وحديث : « ... لمثل المتمسك بما أنتم عليه أجر خمسين منكم » ونحوها ، لكنها أحاديث ضعاف لا تثبت عن رسول الله ﷺ ، ولا تقاوم الأحاديث الجياد التي أسانيدها كالجبال في الصحيحين وغيرهما ، فضلًا عن آيات الكتاب العزيز التي وردت في بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فضائل أمة محمد ﷺ ؟

ج : من فضائل أمة محمد ﷺ ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● قول الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

● قول الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ [الفتح : ٢٩] .

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الباب فكثيرة ، منها :

● قول النبي ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... »[2] .

---

(١) وإن شئت المزيد من التفصيل في هذا الباب ، ومزيدًا من فضائل أصحاب النبي ﷺ فارجع إلى كتابي (الصحيح المسند من فضائل الصحابة) فقد حوى - بتوفيق الله سبحانه - ما تقر به عين الباحث عن فضائل أصحاب محمد ﷺ .

(٢) صحيح وقد تقدم .

● وقول النبي عليه الصلاة والسلام : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »[1] .

● وقول النبي ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله ، فالناس لنا تبع اليهود غدًا ، والنصارى بعد غدٍ »[2] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أوتي أهل التوراة التوراة ، فعملوا ، حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأُعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل ، فعملوا إلى صلاة العصر ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس ، فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتابَين : أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين ، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ، ونحن كنا أكثر عملًا ، قال : قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فهو فضلي أوتيه من أشاء »[3] .

● وقال رسول الله ﷺ : « مثل المسلمين واليهود والنصارى[4] كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجر آخرين فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا فاستأجر

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (٨٧٦) ، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٤) أي : الذين كانوا قبل رسول الله ﷺ ؛ لأن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » .

قومًا فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين »[1] .

● وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك قال : يقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » ، فاشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله : أينا ذلك الرجل ؟ قال : « أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل»، ثم قال : « والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال : فحمدنا الله وكبرنا ، ثم قال : « والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرَّقمة في ذراع الحمار »[2] .

● وقال النبي ﷺ : « عُرِضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمرُّ معه الأُمة ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ ، قال : كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ... » الحديث[3] .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٠) ، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤١) ، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

« يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر .. » فذكر الحديث[1] .

❋ ❋ ❋

س : أهل الإيمان في الغالب قلة ، وأهل الفسق والعصيان والكفر والفجور في الغالب كثرة دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

● وقول الله تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾[2] [آل عمران : ١١٠] .

● وقول الله جل ذكره: ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ: ١٣] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وإن كثيرًا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ [ص : ٢٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٢) ، ومسلم (٢١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٦٢٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ ذم الله أكثر الناس ، وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم (١١٧٨) في التفسير .

● وقول الله عز وجل في شأن نوح عليه السلام : ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ [هود : ٤٠] .

● وقول الله عز وجل : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ﴾ [يونس : ٨٣] .

● وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك ، قال : يا رب وما بعث الناس ، قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين »[(١)] .

● وقول النبي ﷺ : « إنما أنتم في الأمم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض أو الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود »[(١)] .

● وقول النبي ﷺ : « عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي يمر ومعه الرجل والنبي يمر ومعه الرجلان .... » الحديث[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في قوله تعالى: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

ج : قال بعض أهل العلم : قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله هنا ، لأن من الأمم السابقة من آمن بنبيه عليه السلام ، فاشترك مع هذه الأمة في الإيمان ، لكن فاقه أهل هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

● وقد يقال : إن الواو لا تقتضي الترتيب في كل الأحوال ، بل تقتضي مطلق التشريك ، كما بيناه في قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحاح وقد تقدمت كلها .

س : كثير من الناس يقول : (جمعنيَ الله وإياكم في مستقر رحمته) فهل ورد لكلمة مستقر رحمته ذكر في الكتاب والسنة ؟

ج : لم أقف لكلمة مستقر رحمته على ذكر في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] اذكر بعض المؤمنين من أهل الكتاب ؟

ج : من المؤمنين من أهل الكتاب عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان يهوديًّا فأسلم ، ومنهم عدي بن حاتم الطائي الذي كان نصرانيًّا فأسلم ، ومنهم تميم الداري الذي كان نصرانيًّا فأسلم ، ومنهم أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها كانت يهودية فأسلمت رضي الله عنها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى: ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ [آل عمران : ١١٠]؟

ج : المراد بالأذى في قوله تعالى : ﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾ أي : لن ينالوا منكم شيئًا إلا أذىً يسيرًا بألسنتهم كقولهم : عزير ابن الله والمسيح ابن الله ، وكذلك بقولهم : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وبقولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، وبطعنهم في محمد وعيسى عليهما السلام ، وبإلقاء الشبه على الأسماع وتخويف ضعفة الإيمان من المسلمين ، وبتحريفهم التوراة والإنجيل .

وعلى العموم فالمراد بالأذى هنا الضرر اليسير .

وقوله تعالى : ﴿ لن يضروكم ﴾ لأصحاب النبي ﷺ ، والمعنى : أن أهل الكتاب لن ينالوا من أصحاب محمد ﷺ إلا أذى .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ [آل عمران : ١١١] خطاب لمن ؟

ج : هذا الخطاب إما أنه لأصحاب النبي ﷺ ، وعليه فلا إشكال في الآية الكريمة ، فإن اليهود والنصارى لما قاتلوا أصحاب محمد ﷺ ولّى اليهود والنصارى الأدبار ثم لم يُنصروا .

وقد يقال : إن هذا خطاب لعموم أمة محمد ﷺ المتبعين لشريعته العاملين بها ، وهنا يخرج العلمانيون والشيوعيون والاشتراكيون الذين قاتلوا اليهود فولوا الأدبار ، والله تعالى أعلم .

فيقال لأهل الإيمان : إنكم ما دمتم مستمسكين بإيمانكم متبعين لكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ ، فلن ينال اليهود والنصارى منكم شيئًا ، أما إذا فرطتم في دينكم وعصيتم ربكم ونبيكم ﷺ حل بكم من البلاء على قدر ذلك ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ [آل عمران : ١١٢]؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – أن الذُّل والصغار جُعلا ملصقين بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به ويحيط به من كل جانب ، فمعنى ضربت عليهم الذلة لصقت بهم وأُحيطت فيُحَارَبوا فتُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسم أموالهم .

وقيل : إن المراد بالذِّلة هنا الجزية ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بحبل من الله وحبل من الناس في الآية الكريمة : ﴿ إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ [آل عمران : ١١٢] ؟

ج : قيل : إن المراد بحبل من الله هو الإسلام .

وحبل من الناس هو العهد والذمة .

وقيل : إن حبل الله هو الذمة والعهد الذين أعطاهما الله عز وجل لليهود والنصارى إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

● وحبل من الناس : هو عقود المصالحة التي يجريها إمام المسلمين مع اليهود والنصارى، فيزيد فيها الإمام تارة وينقص تارة أخرى، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى المسكنة في قوله تعالى : ﴿ وضربت عليهم المسكنة ﴾ [آل عمران : ١١٢] ؟

ج : قيل : إن المسكنة هي الجزية ، وقيل : إن اليهودي يُظهر من نفسه دائمًا المسكنة ، وإن كان ثريًا ، وقيل غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : ضرب الله عز وجل الذلة والمسكنة على اليهود وباءوا بغضب من الله ، كل ذلك لكونهم يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، وأيضًا لعصيانهم واعتدائهم ، ومن المعلوم أن اليهود الموجودين على عهد رسول الله ﷺ لم يقتلوا نبيًا فكيف تُسحب الآية عليهم ؟

ج : لا يلزم أن يكون كل يهودي قد ارتكب كل ما ذكر ، فالمسكنة تتنزل على كل شخص بحسب جرائمه التي اقترفها ، والذلة والمسكنة مضروبتان على كل يهودي سواء المتقدم منهم أو المتأخر ، أما المتقدم منهم فلكونه باشر قتل الأنبياء في عصره ، وأما المتأخر منهم فلكونه رضي بما صنع المتقدم من قتل واعتداء ، وأيضًا فالجميع[1] كانوا يكفرون بآيات الله .

❋ ❋ ❋

(١) إلا من أسلم منهم .

س : العصيان والتمرد قد يؤدي إلى الكفر ، وضح ذلك ، وبيِّن صورة من جرائم بني إسرائيل ؟

ج : أما كون العصيان قد يؤدي إلى الكفر فقد ذكر الله عز وجل ذلك فبين سبحانه أن كفر بني إسرائيل بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق سببه هو العصيان والاعتداء فقال سبحانه : ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [آل عمران : ١١٢] .

وقال الله سبحانه في شأن نبيه محمد ﷺ : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] ، فالفتنة : هي الشرك[1]، والمخالفة عن أمر الله عز وجل معصية، ولكن قد يؤدي الإكثار من المخالفة والعصيان إلى الشرك، كما ذكره بعض أهل العلم، والله تعالى أعلم[2].

ولقوله تعالى : ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ معنى آخر وهو : إننا إنما ضربنا عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بالغضب لعصيانهم واعتدائهم، والله أعلم.

أما بالنسبة لجرائم بني إسرائيل المتعددة التي لا تكاد تنتهي فمنها ما أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٢١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم من آخر النهار[3].

* * *

---

(١) وتطلق على غير الشرك أيضًا .

(٢) ونُقل عن بعض العلماء قولهم : من ابتلي بترك الآداب وقع في ترك السنن ، ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفريضة ، ومن ابتلي بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة ، ومن ابتلي باستحقار الشريعة وقع في الكفر .

قلت: ويشهد له حديث رسول الله ﷺ: « .. فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

(٣) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود حدثنا شعبة عن سليمان الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود قال .. فذكره .

س : قال تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] وقال في شأن أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ كيف تجمع بين الآيتين ؟

ج : وجه الجمع أن قوله تعالى : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] أن المراد عالمي زمانهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معاني هذه الكلمات :

حلًّا – ملة – بكة – مباركًا – وأنتم شهداء – عوجًا – يعتصم بالله – شفا حفرة – أمة – باءوا – ثقفوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
حلًّا	حلالًا
ملة	دين .
بكة	قيل : إن بكة هي مكة ، وقيل : إن بكة هي الكعبة وما حولها من المسجد ، وأما مكة فهي عموم البلد الحرام ، وقيل : إنه قيل لبكة بكة من الازدحام الذي يكون حول الحرم .
مباركًا	البركة هي ثبوت الخير في الشيء ، وتطلق على النمو والازدياد .
وأنتم شهداء	قيل : شهداء عقلاء – وقيل : شهداء على أن

الكلمة	المعنى
	الدين المقبول عند الله هو الإسلام .
عوجًا	هلاكًا ، والعوج : الميل والزيغ في الدين والقول والعمل .
يعتصم بالله	يستمسك بدينه ، ويعتصم أيضًا يمتنع .
شفا حفرة	طرف حفرةٍ .
أمة	جماعة : لقوله تعالى : ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ [القصص : ٢٣٠] . الرجل الحنيف ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ [النحل : ١٢٠] المدة الزمنية : ﴿ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة ﴾ [يوسف : ٤٥]. الملة : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ [الأنبياء : ٩٢] : أي ملتكم .
باءوا	استوجبوا ورجعوا . أو رجعوا وقد احتملوا .
ثقفوا	وجِدوا .

* * *

۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ
يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ
وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ
أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ
حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ
لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ
أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟
بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ

كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت
طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ
ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن
فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ
فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ
فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟
ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

س : من هم الذين قال الله فيهم : ﴿ ليسوا سواءً ﴾ [آل عمران : ١١٣] ؟

ج : فيهم قولان :

الأول : لا تستوي أمة محمد ﷺ مع أهل الكتاب .

الثاني : لا يستوي أهل الكتاب فيما بينهم ، فمنهم الصالح ومنهم الطالح .

ويشهد للقول الأول ما أخرجه أحمد بإسناد حسن[1] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال : « أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحدٌ يذكر الله هذه الساعة غيركم » قال : وأنزل الله هؤلاء الآيات : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب ﴾ حتى بلغ ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٥] ، فهذا يؤيد صحة القول الأول .

● وثمَّ سبب نزول آخر أخرجه ابن أبي حاتم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا ومنحوا فيه ، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ ، لكن في إسناده مجهول .

لكن كلا المعنيين للآية صحيح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم (التفسير ١٢٢٦) ، والطبري (٧٦٦٢) .

(٢) ابن أبي حاتم في التفسير (١٢٢٠) ، وفي إسناده مجهول ، وأخرجه أيضًا الطبري (٧٦٤٤) .

س : هل القول بأن قوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء ﴾ المراد به أمة محمد وأهل الكتاب ، المعنى واضح وهو أنه لا تستوي أمة محمد وأهل الكتاب لكن على القول بأن قوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء ﴾ هم أهل الكتاب بعضهم مع بعض يكون هناك محذوف فما هو ؟

ج : التقدير أن يقال : إن أهل الكتاب لا يستوون ، فمنهم أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ... ، وأمة شقية غوية كافرة عاصية لم تذكر في السياق لدلالة السياق عليها ؛ لأن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الضد الآخر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ أمة قائمة ﴾ [آل عمران : ١١٣] ؟

ج : أمة قائمة أي : مستقيمة على أوامر الله عز وجل ، مقيمة لحدوده وفرائضه ، كما قال النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ... »[1] الحديث ، وكما قال تعالى : ﴿ إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] ، أي : ملازمًا للاقتضاء ، ملازمًا للمطالبة .

وقال بعض أهل العلم : إن معنى قوله تعالى ﴿ قائمة ﴾ أي : مهتدية ، وقيل : عادلة ، وبعضهم قال : ﴿ قائمة ﴾ أي : مطيعة ، وكلها ترجع إلى معنى واحد ، والله أعلم .

وبعض العلماء يقول : إن المراد بقائمة (أي: قائمة في الصلاة) تتلو القرآن فيها ، وهذا المعنى جزء من المعنى الأول، والتفسير بالعموم أولى والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

س : قوله تعالى : ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ [آل عمران : ١١٣] ظاهره يفيد أنهم يتلون القرآن في سجودهم فهل هذا الظاهر صحيح ؟

ج : هذا الظاهر ليس بصحيح؛ لأن النبي ﷺ قال : « إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا »[1]. فلا بد من تأويل الآية إذًا تأويلًا لا يتعارض مع حديث رسول الله ﷺ ؛ لأن القرآن وحي والسنة وحي كذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحى ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] ، وقال تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقد زعم بعض أهل العلم أن المراد بقوله تعالى هنا : ﴿ وهم يسجدون ﴾ أي : يصلون، ورد ابن جرير الطبري هذا التأويل، وقال : وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها ، فـ (السجود) هو السجود المعروف في الصلاة .

***

س : هل العجلة مذمومة في كل وقت ؟

ج : العجلة ليست مذمومة فيما يقرب من الله عز وجل ؛ بل علينا أن نعجل بعمل ما يقربنا إلى الله عز وجل .

● قال الله سبحانه : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٩٦/٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة ، والناس صفوف خلف أبي بكرٍ ، فقال : « أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرى له ، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا ، فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب عز وجل ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم » .

السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [المؤمنون : ٦١] .

● وقال تعالى : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ [الحديد : ٢١] .

● وقال سبحانه : ﴿ ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ [آل عمران : ١١٤] .

● وقال موسى عليه السلام : ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ [طه : ٨٤] .

وفي الأثر (التؤدة في كل شيء خير إلا في أمر الآخرة) .

* * *

س : اذكر معنى قوله تعالى : ﴿ وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه ﴾ [آل عمران : ١١٥] ، وبعض الآيات في معناها ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – وما يفعلوا من خيرٍ فلن يضيع ثوابه عليهم بل يدخره الله لهم ويكافئهم الله به ، كما قال سبحانه :

● ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ [الزلزلة : ٧] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ وما تنفقوا من خيرٍ يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

● وقال : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك

كان سعيهم مشكورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وما تنفقوا من خيرٍ فإن الله به عليم ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والله أعلم .

***

س : وضح المثل المذكور في قوله تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [آل عمران : ١١٧] ؟

ج : فحوى هذا المثل – والله أعلم – أن الله عز وجل شبه الأموال التي ينفقها الكفار في هذه الحياة الدنيا للصد عن سبيل الله ، ولنيل الشهرة والاستكثار من المفاخر والمكارم وحسن الذكر ؛ هذه الأموال شبهها الله عز وجل بحرث زرعه أقوام يرجون ثماره ، فجاءته ريح شديدة فيها برد محرق وجليد فأحرقته ، فكذلك شركهم ذهب بثواب أموالهم التي أنفقوها(١)، والله تعالى أعلم ، فعلى ذلك :

الأموال التي أنفقت مثلها : مثل الحرث

والشرك : مثله مثل ريح فيها صر

فالريح التي فيها صر دمرت الحرث وأهلكته ، وكذلك الشرك ذهب بثواب الأموال وأضاعه ، والله تعالى أعلم .

وهذا قول لابن القيم رحمه الله تعالى في هذا المثل أيضًا .

---

(١) ولهذا أمثلة كثيرة في الكتاب العزيز ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

وقال سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ [إبراهيم : ١٨] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ٢١٤) :

هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعة ربه ومرضاته ، فشبه سبحانه وتعالى ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر ولا يبتغون به وجه الله ، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره ، فأصابته ريح شديدة البرد جدًّا يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار ، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته . واختلف في الصِّر ، فقيل : هو البرد الشديد ، وقيل النار ، قاله ابن عباس ، وقال ابن الأنباري : إنما وصفت الريح بأنها صر لتصريتها عند الالتهاب ، وقيل : الصِّر : الصوت الذي يصحب الرياح من شدة هبوبها .

والأقوال الثلاثة متلازمة ، فهو برد شديد يحرق ليبسه الحرث كما تحرقه النار ، وفيه صوت شديد .

وفي قوله : ﴿ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم ، فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة ، حتى أهلكت زرعهم وأيبسته ، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها .

* * *

س : ما هو المراد ببطانة الرجل ؟

ج : بطانة الرجل هم : خاصته والمقربون إليه الذين يستشيرهم في أموره ، ويطلعهم على أسراره ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ؛ إلا وكانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من

عصم الله تبارك وتعالى »[1].

❋ ❋ ❋

س : وضح باختصار معنى الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] ؟

ج : ينهى الله عز وجل المؤمنين – في هذه الآية الكريمة – أن يتخذوا لأنفسهم بطانة ممن ليس على دينهم وطريقتهم وسنتهم من الكفار واليهود والنصارى وأهل الأهواء والفسق والفجور ، يطلعوهم على أسرارهم ويشاوروهم في آرائهم ويُسندوا إليهم أمورهم ، وذلك لأن هؤلاء الذين ليسوا على ديننا من المذكورين لا يدخرون جهدًا لإضلالنا ، ولا يُقصرون في إغوائنا وإفسادنا وغشنا وإنزال المشقة بنا .

❋ ❋ ❋

س : هل تقبل شهادة الكفار ؟ وشهادة العدو على عدوه هل تجوز ؟

ج : جمهور أهل العلم على رد شهادة الكفار مطلقًا[2]، واستدلوا بأدلة منها قوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

- واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات : ٦] .

- وبقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾ [الطلاق : ٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) رأي الجمهور نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٥/٢٩٢) .

● وبقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

● وبقول النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .. »[(١)] الحديث .

● وبقول ابن عباس الذي أخرجه البخاري (٢٦٨٥) : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يُشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : ﴿ هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] ، أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

● بينما ذهب فريق من العلماء إلى قبولها مطلقًا (إلا على المسلمين)[(٢)] .

● وتوسط فريق ثالث وقبل شهادة أهل الملة الواحدة على بعضهم ، وعدم شهادة أهل ملة على أهل ملة أخرى (مثلًا رأى أن النصارى يشهد بعضهم على بعض ، وكذلك اليهود ، ولكن لا يشهد يهودي على نصراني) وذلك لقوله تعالى : ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ [المائدة : ١٤].

---

(١) في شرح هذا الحديث تفصيل فحواه : إن أتى أهل الكتاب بما يوافق كتابنا أقررناه ، وإذا أتوا بما يخالف ديننا وما في كتابنا رددناه ، وإن أتوا بشيء لا يوافق ولا يخالف توقفنا فيه ، والله أعلم .

(٢) ولعله يأتي مزيد إن شاء الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدلٍ منكم أو آخران من غيركم ... ﴾ في موطنه من سورة المائدة إن شاء الله .

ولكن بإمعان النظر في الآية الكريمة يجد أن إغراء العداوة والبغضاء بين الملة الواحدة أيضًا ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة : ١٤] .

● أما شهادة العدو على عدوه فالأكثر أيضًا على عدم قبولها لهذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] ، ونقل القرطبي القول بعدم الجواز عن أهل المدينة وأهل الحجاز ، وحكي عن ابن بطال أنه حكى عن ابن شعبان أنه قال : أجمع العلماء على أنه لا تجوز شهادة العدو على عدوه في شيء ، وإن كان عدلًا ، والعداوة تزيل العدالة ، فكيف بعداوة الكافر ؟!!! .

قلت : ولنا تحفظ على دعوى الإجماع ، والله أعلم .

***

س : المؤمن عليه أن يكون كيسًا فطنًا فهمًا يفهم مدلولات الألفاظ ومخارجها ، وخاصة تلك التي تصدر من أهل النفاق والزندقة ، وقد حثنا الله عز وجل على فهم ذلك ، وضح الآيات التي تشير إلى ذلك ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ [محمد : ٣٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴾ [الممتحنة : ٢] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ تحبونهم ﴾ [آل عمران: ١١٩] تحبون من ؟

ج : قيل : المراد المنافقون (وهو أقوى الأقوال) لقوله تعالى : ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ [آل عمران : ١١٩] ، وقيل : الإباضية (فئة من الخوارج) ، وقيل : المراد اليهود ، وقيل غير ذلك ، والأول أقوى ، والله أعلم .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تحبونهم ولا يحبونكم﴾ [آل عمران: ١١٩]؟

ج : لأهل العلم جملة أقوال في ذلك ، منها :

● تحبون لهم الإسلام والهداية ، وهم يحبون لكم الكفر .

● تحبونهم لما بينكم وبينهم من قرابة ومصاهرة ورضاع ونحو ذلك ، ولكنهم لا يحبونكم ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ لا يرقبون في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمة ﴾ [براءة : ١٠] ، أي : لا عهدًا ولا قرابةً .

● تحبونهم فتخالطونهم وتتخذون منهم بطانات وتفشون إليهم الأسرار ﴿ ولا يحبونكم ﴾ ولا يفعلون معكم مثل ما تفعلوه معهم .

* * *

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ [آل عمران : ١١٩] ؟

ج : بعض العلماء يرى أن المراد بالكتاب هنا القرآن فأنتم يا أصحاب

محمد تؤمنون بكل ما جاء في القرآن ، ولكن أهل النفاق يؤمنون ببعض ويكفرون بالبعض الآخر ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ [النور : ٤٩] ، وقال سبحانه : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ [النور : ٤٨] .

وبعض العلماء يرى أن المراد بالكتاب هنا عموم الكتب التي نزلت على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فالمؤمنون يؤمنون بها ، أما اليهود والنصارى وأهل النفاق فيؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف يَسْلَم المؤمن من كيد الفجار وشر الأشرار ؟

ج : يسلم بإذن الله بأمور منها :

● الصبر وتقوى الله عز وجل . كما قال سبحانه : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وللعلماء في الصبر هنا أقوال منها :

● الصبر على ما أمر الله به من ترك اتخاذ بطانة من دون المؤمنين ، وعموم الصبر على أوامر الله والثبات عليها ، والتقوى المراد بها هنا اتقاء المعاصي والشرك .

● والاستعانة بالصلاة أيضًا ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وقال سبحانه : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [طه : ١٣٠] .

● الاستغفار والتضرع واللجوء إلى الله ، قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ [الأنعام : ٤٢] .

● قول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قال الله سبحانه : ﴿ الذين قال

لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] .

● ومنها : ترك أرض الفتن لحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا(١)، وحديث : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن »(٢)، ولأن البكر الذي يزني يُغرب عن البلاد .

ولقوله تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على راهب ، فأتاه ، فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلَّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة.؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسًا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق ، أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة».

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ١٩) وفي عدة مواطن أخر من صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

س : قوله تعالى : ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ [آل عمران : ١١٩] كيف لم يموتوا والله إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ؟

ج : الله عز وجل هنا لم يقل لهم موتوا ، ولكنه أمر نبيه ﷺ والمسلمين أن يقولوا لهم : موتوا بغيظكم ، والمعنى : ادعوا عليهم أن يموتوا والغيظ يملأ قلوبهم ، فإن الله سبحانه سيوسع على المؤمنين ، ويفتح لهم البلاد ، ويُدر عليهم الخيرات ، وهذا كله لا يزيد أهل النفاق إلا غيظًا يملأ قلوبهم ويموتوا وهذا الغيظ مستحوذ على قلوبهم ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿ وإذ غدوت من أهلك ﴾ [آل عمران : ١٢١] ومن المراد بهذا الخطاب ، وما صلة هذه الآية بالتي قبلها ؟

ج : العامل هو : (واذكر) والمعنى : واذكر إذ غدوت ، وهذا الخطاب موجه - كما هو واضح - لرسول الله ﷺ ، والمراد منه أمته ، وصلة الآية بالتي قبلها أن الله عز وجل بين لأهل الإيمان في الآية التي قبل هذه الآية - أن الصبر وتقوى الله يكفي الله بهما كيد الأعداء ويردُّه ، أما العصيان فهو سبب للخذلان والهزيمة ، كما وقع في غزوة أحد من بعض أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم .

***

س : في أي يوم كان هذا : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ [آل عمران : ١٢١] ؟

ج : عند جمهور المفسرين أن ذلك كان يوم أحد ، وتأيد قولهم بإطباق أهل السير والتفسير أن قوله تعالى : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ [آل عمران : ١٢٢] ، كان يوم أحد .

وقد قيل في ذلك أقوال أُخر ، منها : أن ذلك كان يوم الأحزاب ، وقول ثان : أن ذلك كان يوم بدرٍ ، وكلا القولين ضعيف ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الأهل قد تطلق على الزوجة ، وتطلق على عموم أهل البيت والأقارب ، وضح ذلك بأدلته ؟

ج : أما كون الأهل قد تطلق على الزوجة ، فمنه قوله تعالى : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ [آل عمران : ١٢١] فقد قال جمهور المفسرين : إنه عليه الصلاة والسلام خرج من عند عائشة رضي الله عنها .

● ومنه أيضًا قول النبي ﷺ - في حديث الإفك -: « من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي ، ووالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا »[١].

● أما كونها تطلق على غير الزوجة أيضًا فلقوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وبضميمة حديث الكساء على ما تقدم .

وقوله تعالى : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك .. ﴾ [هود : ٤٦] .

❋ ❋ ❋

س : من هما الطائفتان اللتان قال الله عز وجل فيهما : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ﴾ [آل عمران : ١٢٢] وما هي صورة هذا الفشل ؟

ج : الطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة ، وذلك لقول جابر بن عبد الله

---

(١) تقدم حديث الإفك وبُيِّن أنه في الصحيحين .

رضي الله عنهما : فينا نزلت ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ [آل عمران : ١٢٢] قال : نحن الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة ، وما نحب - أو ما يسرني - أنها لم تنزل لقول الله تعالى : ﴿ والله وليهما ﴾(١) [آل عمران : ١٢٢] .

أما صورة الفشل فهي : أنهما همتا أن ينصرفا عن رسول الله ﷺ بعد أن تسرب إليهما بعض الجبن والخور ، فمعنى تفشلا : تجبنا وتتخاذلا عن نصرة رسول الله ﷺ ، ولكن الله عز وجل ثبتهما ، ولم ينصرفا مع من انصرف وانفض عن رسول الله ﷺ من أهل النفاق .

❋ ❋ ❋

س : كم كان عدد المؤمنين يوم بدر ؟

ج : كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر .

وقد أخرج البخاري(٢) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيفًا على ستين ، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين .

وفي رواية(٣) عن البراء أيضًا قال : حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة ، قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

● وقد وقع عند مسلم من حديث ابن عباس(٤) رضي الله عنهما قال :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٨) ، ومسلم (٢٥٠٥) وغيرهما .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٥٦) .
(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٧) .
(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) .

حدثني عمر : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر .. الحديث ، لكن قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[1]: لكن أخرجه أبو عوانة وابن حبان بإسناد مسلم بلفظ : (بضعة عشر) .

قلت (القائل مصطفى) : والأمر في هذا قريب والجمع ممكن بأن يكون بعض من عدَّ أصحاب بدر عدَّ من استصغر منهم ، والآخر لم يعدُّهم ، أو يكون عدَّ نفسه وعدَّ رسول الله ﷺ، والآخر لم يدخل ذلك في العدد، أو أن أحدهم عدَّ السقاة والأعين، والآخر لم يعدهم أو نحو ذلك، وكل ذلك قريب.

والأثبت أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ، والله تعالى أعلم .

✺ ✺ ✺

س : أين توجد بدر ، ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

ج : بدر موضع بين مكة والمدينة ، التقى عنده رسول الله ﷺ والمشركون ، فهزم الله الشرك وأهله في ذلك اليوم عند ذلك الموضع ، وقد سميت بدر بهذا الاسم كسائر البلدان التي سميت بأسماء ، ولا يكاد يُعرف لها تعليل .

وقال بعض العلماء : إنها سميت بدرًا نسبة إلى بئرٍ فيها يُقال لها : بدر .

وقيل : سميت ببدر لأن صاحب البئر رجل يقال له : بدر[2].

والأول عليه الأكثرون ، والله تعالى أعلم .

✺ ✺ ✺

---

(١) (٣٤١/٧ فتح الباري) .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٣٥ ، ١٣٣٦) بإسناد صحيح عن الشعبي أنه قال : إنما سميت بدرًا لأنها كانت بئرًا لرجل يسمى بدرًا .

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلة ﴾ [آل عمران : ١٢٣] كيف وُصِفَ المؤمنون بالذلة هنا ، والله عز وجل يقول : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون : ٨] ؟

ج : لا بد من تأويل الذلة في قوله تعالى : ﴿ وأنتم أذلة ﴾ حتى تنسجم الآيتان معًا ، وعليه فإن الأكثرين من أهل العلم أوَّلوا الذلة في قوله تعالى : ﴿ وأنتم أذلة ﴾ بمعنى : قلة العدد وضعف الحال ، وقلة السلاح وعدم القدرة على مقاومة العدو ، وهي كما قال تعالى : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

وبعض أهل العلم يؤول الذلة تأويلًا آخر فيقول : ﴿ وأنتم أذلة ﴾ أي : في أعين الكفار والمنافقين ، كما قال أهل النفاق : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ [المنافقون : ٨] .

لكن القول الأول عليه الأكثرون، ألا وهو تفسير الذلة بالقلة، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ [آل عمران : ١٢٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – فاتقون ، فإن تقواكم لي هي شكر نعمتي ، أي : فاتقون لعلكم بتقواكم لي تكونوا قد أديتم شكر نعمتي، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يُمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم

هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ [آل عمران : ١٢٣ - ١٢٥] متى كان هذا ؟ مع ملاحظة أنه قد ورد في هذا الباب قوله تعالى - وذلك يوم بدر - : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] ؟ .

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن هذا كله كان يوم بدر .

أمدهم الله بألف من الملائكة مردفين .

ثم أمدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين .

ثم أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين .

وممن قال بهذا القول : قتادة[١] رحمه الله ، وقريب منه قول الحسن رحمه الله تعالى[٢] .

● وقال بعض أهل العلم : إنما أُمد المسلمون بألف ثم بثلاثة آلاف يوم بدر ، ثم أُخبروا أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين ببدر فوعِد المؤمنون أنهم سيُمدون بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين إذا جاء مدد المشركين ، فلم يأت مدد المشركين ، ولم يُمد المسلمون بخمسة آلاف[٣] .

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٧٥٤) بإسناد حسن عن قتادة رحمه الله أنه قال : في قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ - أُمدوا بألفٍ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف - : ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين ﴾ وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة .

(٢) أخرج ابن جرير (٧٧٤٥) من طريق محمد بن سنان ، قال : حدثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ﴾ الآية كلها : هذا يوم بدر .

(٣) أخرج الطبري (٧٧٤٦) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١٣٥٠) بإسناد صحيح عن الشعبي (عامر بن شراحيل) أنه قال : إن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين ، فشق عليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يُمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ إلى قوله : ﴿ مسوِّمين ﴾ قال : فبلغت =

● وقال فريق من أهل العلم : إنما أُمِدَ المسلمون يوم بدر بألف من الملائكة فقط لقوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] .

وأما قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا ... ﴾ إلى قوله : ﴿ مسوِّمين ﴾ فهي وعود مشروطة ، فلما لم يأت مدد المشركين ، لم يأت الثلاثة آلاف ولا الخمسة .

● وقال بعض أهل العلم : إن قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ [آل عمران : ١٢٤] لا يفهم منه صراحة أنهم مُدوا أم لم يُمدوا، وممن قال بهذا القول : ابن جرير الطبري رحمه الله[(١)].

● وقال بعض أهل العلم : إنما أُمد المسلمون بألف ثم بثلاثة آلاف يوم بدر، ووعدُوا إن صبروا وجاءهم العدو أن يُمدوا بخمسة آلاف، فلما جاءهم

= كرزًا الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يُمد المسلمون بالخمسة .
وإسناده صحيح إلى الشعبي رحمه الله لكنه مرسل .

(١) قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى (التفسير ٧/١٨٠) : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر عن نبيه محمد ﷺ أنه قال للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ، فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددًا لهم ، ثم وعدهم بعد الثلاثة آلاف خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله ، ولا دلالة في الآية على أنهم أُمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ، ولا على أنهم لم يُمدوا بهم ، وقد يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم ، وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ، ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة الآلاف ، وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبرٍ تقوم الحجة به ، ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله ، غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة ، وذلك قوله : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ ، فأما في يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا ، وذلك أنهم لو أُمدوا لم يُهزموا ، ويُنال منهم ما نيل منهم ، فالصواب فيه أن يقال كما قال الله تعالى ذكره .

العدو يوم أُحد ولم يصبروا ولم يتقوا ولم يطيعوا رسول الله ﷺ فيما أمرهم به من الثبات في أماكنهم لم يُمدوا بالملائكة[1] .

● وبالنظر في أقوال جمهور المفسرين مع النظر إلى ما قدمنا ذكره نجد أن قول أكثر المفسرين في قوله تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ... الآية ﴾ [آل عمران : ١٢٤] أن ذلك كان يوم بدر ، بينما ذهب قليل منهم إلى أن ذلك كان يوم أحد ، وقد أورد الرازي رحمه الله وغفر له حجج الفريقين في تفسيره[2] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٥٢) ، والطبري (٧٧٦٠) بإسناد صحيح عن عكرمة قال : لم يُمدوا يوم أحد ولا بمَلَكٍ واحد ، وهذا رغم أنه صحيح إلى عكرمة إلا أنه مرسل أيضًا ، فعكرمة تابعي لم يشهد القصة .

(٢) قال الرازي رحمه الله تعالى (٨/٢٠٩) في قوله تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ [آل عمران : ١٢٣] فيه مسائل :

(المسألة الأولى) : اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر أو يوم أحد ، ويتفرع على هذين القولين بيان العامل في (إذ) فإن قلنا : هذا الوعد حصل يوم بدر كان العامل في (إذ) قوله : ﴿ نصركم الله ﴾ والتقدير إذ نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلة تقول للمؤمنين ، وإن قلنا : إنه حصل يوم أُحد كان ذلك بدلًا ثانيًا من قوله: ﴿وإذا غدوت﴾ إذا عرفت هذا فنقول : القول الأول إنه (يوم أحد) وهو مروي عن ابن عباس[1] والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق ، والحجة عليه[2] من وجوه :

(الحجة الأولى) أن يوم بدر إنما أُمد رسول الله ﷺ بألفٍ من الملائكة ، قال الله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألفٍ من الملائكة ﴾ [الأنفال : ٩] فكيف يليق بما ذكر من ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيوم بدر ؟.

(الحجة الثانية) أن الكفار كانوا يوم بدرٍ ألفًا أو ما يقرب منه ، والمسلمون كانوا على الثلث منهم ؛ لأنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزل الله تعالى يوم بدرٍ =

---

(١) لم أقف على إسناد صحيح عن ابن عباس بذلك .

(٢) أي : الدليل عليه .

....

= ألفًا من الملائكة فصار عدد الكفار مقابلًا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين فلا جرم وقعت الهزيمة على الكفار ، فكذلك يوم أحد كان عدد المسلمين ألفًا وعدد الكفار ثلاثة آلاف ، فكان عدد المسلمين على الثلث من عدد الكفار في هذا اليوم كما في يوم بدر ، فوعدهم الله في هذا اليوم أن ينزل ثلاثة آلاف من الملائكة ؛ ليصير عدد الكفار مقابلًا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين ، فيصير ذلك دليلًا على أن المسلمين يهزمونهم في هذا اليوم كما هزموهم يوم بدر ، ثم جعل الثلاثة آلاف خمسة آلاف لتزداد قوة قلوب المسلمين في هذا اليوم ويزول الخوف عن قلوبهم ، ومعلوم أن هذا المعنى إنما يحصل إذا قلنا : إن هذا الوعد إنما حصل يوم أحد .

(الحجة الثالثة) : أنه تعالى قال في هذه الآية : ﴿ ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ [آل عمران : ١٢٥] والمراد : ويأتوكم أعداؤكم من فورهم ، ويوم أحد هو اليوم الذي كان يأتيهم الأعداء ، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم بل هم ذهبوا إلى الأعداء .

فإن قيل : لو جرى قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ﴾ [آل عمران : ١٢٤] في يوم أحد ، ثم إنه ما حصل هذا الإمداد حصل الكذب ، والجواب عليه من وجهين :

(الأول) : أن إنزاله خمسة آلاف من الملائكة كان مشروطًا بشرط أن يصبروا ويتقوا في المغانم ، ثم إنهم لما لم يصبروا ولم يتقوا في المغانم بل خالفوا أمر الرسول ﷺ ، فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط ، وأما إنزاله ثلاثة آلاف من الملائكة فإنما وعد الرسول بذلك المؤمنين الذين بوأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد ، فهذا يدل على أنه ﷺ إنما وعدهم بهذا الوعد بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد ، فلما أهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط .

(الوجه الثاني) : في الجواب لا تسلم أن الملائكة ما نزلت ، روى الواقدي[1] عن مجاهد قال : حضرت الملائكة يوم أحد ولكنهم لم يقاتلوا ، وروى أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب ، =

(١) الواقدي متهم ، ومجاهد تابعي لم يدرك القصة .

= فقال رسول الله ﷺ : « تقدم يا مصعب » فقال الملك : لست بمصعب ، فعرف الرسول ﷺ أنه ملك أُمد به ، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : كنت أرمي السهم يومئذٍ فيرده عليَّ رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه فظننت أنه ملك[1] فهذا ما نقوله في تقرير هذا الوجه .

إذا عرفت هذا فنقول : نظم الآية على هذا التأويل أنه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [آل عمران : ١٢٢] أي : يجب أن يكون توكلهم على الله لا على كثرة عددهم وعُددهم ، فلقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فكذلك هو قادر على مثل هذه النصرة في سائر المواضع ، ثم بعد هذا أعاد الكلام إلى قصة أحدٍ فقال : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ﴾ [آل عمران : ١٢٤] .

(القول الثاني) أن هذا الوعد كان يوم بدر ، وهو قول أكثر المفسرين ، واحتجوا على صحته بوجوه :

(الحجة الأولى) : أن الله تعالى قال : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ... إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ﴾ [آل عمران : ١٢٣و١٢٤] كذا وكذا فظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى نصرهم ببدر حينما قال الرسول للمؤمنين هذا الكلام ، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا الكلام يوم بدر .

(الحجة الثانية) أن قلة العدد والعُدد كانت يوم بدرٍ أكثر وكان الاحتياج إلى تقوية القلب ذلك اليوم أكثر ، فكان صرف هذا الكلام إلى ذلك اليوم أولى .

(الحجة الثالثة) أن الوعد بإنزال ثلاثة آلاف من الملائكة كان مطلقًا غير مشروط بشرط فوجب أن يحصل ، وهو إنما حصل يوم بدرٍ لا يوم أحد ، وليس لأحد أن يقول إنهم نزلوا لكنهم ما قاتلوا ؛ لأن الوعد كان بالإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة ، وبمجرد الإنزال لا يحصل الإمداد بل لا بد من الإعانة ، والإعانة حصلت يوم بدرٍ ولم تحصل يوم أحد ، ثم القائلون بهذا القول أجابوا عن دلائل الأولين فقالوا :

أما الحجة الأولى (وهي قولكم) : الرسول ﷺ إنما أُمد يوم بدرٍ بألف من الملائكة (فالجواب عنها) من وجهين :

(الأول) : أنه تعالى أمد أصحاب الرسول ﷺ بألف ثم زاد فيهم ألفين فصاروا ثلاثة آلاف ثم زاد ألفين آخرين فصاروا خمسة آلاف فكأنه عليه الصلاة والسلام =

---

(١) لم أقف على أثر سعد هذا بإسناد صحيح .

س : هل شهدت الملائكة القتال يوم بدرٍ ، وهل باشرت قتالاً في ذلك اليوم ؟

ج : نعم شهدت الملائكة القتال يوم بدر وباشرت القتال ، والأدلة على ذلك كثيرةٌ منها :

● قول الله تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ [الأنفال : ١٢] .

= قال لهم : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بألف من الملائكة ؟ فقالوا : بلى ، ثم قال : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ؟ فقالوا : بلى ، ثم قال لهم : إن تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف ، وهو كما روي أنه ﷺ قال لأصحابه : « أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ » قالوا : نعم ، قال : « أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فإني أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » .

(الوجه الثاني في الجواب) أن أهل بدر إنما أُمدوا بألف على ما هو مذكور في سورة الأنفال ، ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد إمداد قريش بعددٍ كثير فخافوا وشق عليهم ذلك لقلة عددهم ، فوعدهم الله بأن الكفار إن جاءهم مدد فأنا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة ، ثم إنه لم يأت قريشًا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن إمداد المسلمين بالزيادة على الألف .

(وأما الحجة الثانية) : وهي قولكم : إن الكفار كانوا يوم بدر ألفًا فأنزل الله ألفًا من الملائكة ، ويوم أحد ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف .

(فالجواب) : إنه تقريب حسن ، ولكنه لا يوجب أن لا يكون الأمر كذلك بل الله تعالى قد يزيد وقد ينقص في العدد بحسب ما يريد .

(وأما الحجة الثالثة) : وهي التمسك بقوله : ﴿ويأتوكم من فورهم﴾ [آل عمران: ١٢٥].

فالجواب عنه : أن المشركين لما سمعوا أن الرسول ﷺ وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم ، واجتمعوا وقصدوا النبي ﷺ ، ثم إن الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا ، فأخبرهم الله تعالى أنهم إن يأتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة .

فهذا حاصل ما قيل في تقرير هذين القولين ، والله أعلم بمراده .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] ، وهذا في يوم بدر كما هو واضح من سياق الآيات ، وقد أطبق أهل العلم على ذلك .

● وأخرج مسلم[1] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمده الله بالملائكة ، قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقيًا ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدرٍ : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٩٥) .

● وعن علي رضي الله عنه[1]، قال : قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ، أو قال : يشهد الصف .

● وعن رفاعة بن رافع[2] الزرقي رضي الله عنه أنه قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » - أو كلمة نحوها - قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٢٦] تنبيه على شيء ما هو ؟

ج : التنبيه إنما هو على أن الغرض أن يكون توكلهم على الله سبحانه وتعالى لا على الملائكة الذين أُمدوا بهم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴾ [آل عمران : ١٢٧] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أن الله عز وجل نصركم ببدر ؛ ليهلك ويقطع ويقتل طائفة من الكفار ويهدم ركنًا من أركان الشرك ، فيرجع أهل الكفر الباقون مكبوتين محزونين خائبين لم ينالوا ما طمعوا فيه .

وقد صح عن قتادة في هذه الآية أنه قال : فقطع الله يوم بدر طرفًا من

---

(١) أخرجه أحمد (١/١٤٧) ، وأبو يعلى (١/٢٨٣ - ٢٨٤) ، والحاكم (٣/١٣٤) بإسناد صحيح ، والقائل لهما هو رسول الله ﷺ كما هو واضح في رواية أبي يعلى وغيره .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢) .

الكفار وقتل صناديدهم - رءوسهم وقادتهم في الشر[1] .

* * *

س : ما هو سبب النزول الصحيح لقوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : لهذه الآية أكثر من سبب نزول صحيح ، وكما هو معلوم فقد تتعدد أسباب النزول الصحيحة للآية الواحدة ، فيحدث أمرٌ ما مثلًا ، ثم أمرٌ آخر ، ثم أمرٌ ثالث فتنزل الآية فيهم جميعًا .

أما أسباب النزول التي صحت لهذه الآية الكريمة فمنها :

● حديث ابن عمر[2] رضي الله عنهما وفيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأولى من الفجر يقول : « اللهم العن فلانًا وفلانًا » بعد ما يقول : « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد » فأنزل الله عز وجل : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ إلى قوله : ﴿ فإنهم ظالمون ﴾ .

● حديث أنس رضي الله عنه ولفظه : أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله عز وجل » فأنزل الله عز وجل : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾[3] .

● وثم أسباب نزول أخرى وردت لهذه الآية وفيها مقال ، وما قدمناه من أسباب نزول لها فهي صحيحة ، وأصح ما ورد في هذا الباب ، والله أعلم .

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٨٢) ، وابن جرير الطبري (٧٧٩٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٩) وغيره .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه .

س : بين معنى قوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - ليس لك يا محمد من أمر خلقي شيء إلا أن تنفذ فيهم أمري وتبلغهم ما أُرسلت به، أما ما وراء ذلك فالأمور كلها لله وحده بقضاء الله وقدره ، فهو سبحانه المالك لأمرهم إن شاء أهلكهم في هذه الحياة الدنيا أو قطع طرفًا منهم ، وإن شاء كبتهم فأخزاهم وأحزنهم وردهم خائبين ، وإن شاء هداهم وتاب عليهم ، وإن شاء عذبهم في الآخرة ، فالأمور كلها لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وقال بعض العلماء : إن قول النبي ﷺ : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم »[1] استبعاد من رسول الله ﷺ لهدايتهم وتوفيقهم ، وقوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ تقريب لما استبعده رسول الله ﷺ . وهذا القول أحد أفراد القول المتقدم ، والله أعلم .

* * *

س : على أي أساس نُصب قوله تعالى : ﴿ أو يتوبَ عليهم أو يُعذبهم ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : بعض العلماء يرى أن قوله تعالى : ﴿ أو يتوبَ عليهم ... ﴾ معطوف على قوله تعالى : ﴿ ليقطع طرفًا ﴾ فالمعنى : ليقطع طرفًا .. أو يكبتهم .. أو يتوبَ عليهم أو يُعذبهم .

وبعضهم يرى أن (أو) بمعنى (إلى أن) فالمعنى ليس لك من الأمر شيء إلى أن يتوب عليهم فتفرح بذلك أو يعذبهم فتشتفي بذلك .

---

(١) صحيح وقد تقدم .

وبعضهم يرى أن (أو) بمعنى حتى ولذلك نصبت (يتوبَ) وهو قريب من المعنى المتقدم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالظلم في قوله تعالى : ﴿ ... فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : المراد بالظلم هنا : الشرك ، فإن الذين شجوا نبيهم ﷺ كانوا مشركين، والظلم يطلق على الشرك لقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان: ١٣].

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض ما جاء في تأويل قول الله تعالى : ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران : ١٢٩] ؟

ج : أمثل ما قرأته في تفسير هذه الآية ما كتبه الطبري رحمه الله حيث قال : يعني بذلك تعالى ذكره : ليس لك يا محمد من الأمر شيء ، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها دونك ودونهم ، يحكم فيهم بما يشاء ويقضي فيهم ما أحبّ فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ثم يغفر له ، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه ، وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليه بالعفو والصفح، والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلاً على عظيم ما يأتون من المآثم .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم لمغفرة الله عز وجل للذنوب أن يستغفر العبد من تلك الذنوب؟

ج : التحقيق يقتضي أنه لا يلزم الاستغفار من الذنب حتى يغفر ،

والأدلة على ذلك كثيرة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران : ١٢٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] .

● وقول الله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

● وقول النبي ﷺ لما ذكر عددًا من الكبائر فقال : « فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له »[١] .

● وقصة البغي الإسرائيلية التي كانت تسعى بفرجها فوجدت كلبًا يلهث من العطش فنزعت موقها فسقته فغفر الله لها[٢].

هذا وليس المراد التزهيد في الاستغفار، ولكن المراد بيان أصل من الأصول ألا وهو أن الله عز وجل يغفر لمن شاء ما شاء ولا يعظم عليه شيء ولا يعجزه شيء، فرحمته سبحانه وسعت كل شيء وفضله وإحسانه سابغ وعفوه وغفرانه كائن لمن مات لا يشرك به شيئًا .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٢) ، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٢) أخرج البخاري (٣٤٦٧) ، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما كلبٌ يُطيف بركية[*] كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغُفر لها به » .

(*) أي : حافة بئر .

هذا وقد جاء في الحث على الاستغفار ما لا يكاد يحصى من النصوص تأتي في محلها إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يرى أن من استحل[1] الربا يكفر ، هل لهم من دليل ؟

ج : استدل بعض العلماء لذلك بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٢٠ - ١٢١] قال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) : قال كثير من المفسرين وفيه أنه يكفر من استحل الربا .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٢٠] هل يستفاد منه أن الشخص له أن يأكل القليل من الربا الذي لا يصل إلى أن يكون أضعافًا مضاعفة ؟ وكيف توجه الآية إذن ؟

ج : لا يستفاد من الآية أن الربا يجوز أكل القليل منه ، وإنما الآية وصفت حال أهل الجاهلية في شأن الربا وحرَّمته ، فقد قال جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية : إن الرجل كان يداين الرجل المبلغ إلى أجلٍ مثلًا فإذا حل الأجل

---

(١) منْ استحل الربا المراد منه من قال : إن الربا حلال ، وليس المراد منه من اختلف في صورة من صور الربا هل هي حرام أم حلال ، وكذلك ليس المراد كل من رابى فهو كافر ، فالمرابي مرتكب لكبيرة من الكبائر ، أما مستحل الربا فهو كافر وإن لم يرابي ، والله تعالى أعلم .

ولم يجد المدين ما يسدد به الدين طلب من صاحب الدين تأخيره مع الزيادة فيه ، ويتكرر هذا فيتضاعف المبلغ القليل أضعافًا فنهوا عن ذلك .

أما قليل الربا وكثيره فمحرم من نصوصٍ أُخر مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٨ و٢٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرَّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

● وقد رأى النبي ﷺ آكل الربا يسبح في نهر أحمر مثل الدم ، وعلى شط النهر رجل قد جمع أحجارًا كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا فينطلق يسبح ، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا .. الحديث(١) .

وقد ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى : ﴿ أضعافًا مضاعفة ﴾ خرج مخرج الغالب كقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ [الأنعام : ١٥١] فليس معناه تجويز قتل الأولاد لغير الإملاق ، وكما قال تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ [النساء : ٢٣] فالجمهور على تحريم الربيبة ، سواء كانت في الحجر أو لم تكن في الحجر(٢) .

❋ ❋ ❋

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، وظاهره أنه في رؤيا منامية ، وقد رأى بعض العلماء أن رؤيا الأنبياء وحي لقول الخليل إبراهيم : إني أرى في المنام أني أذبحك .

(٢) وبعض العلماء يرى أن الربيبة لا تحرم إلا إذا كانت في الحجر لظاهر الآية .

س : قوله تعالى : ﴿ أُعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣١] يفيد أن النار إنما أُعدت للكافرين فقط فهل هذا صحيح ؟

ج : صحيح أن النار أُعدت للكافرين ، ولكنها يدخلها أيضًا مسلمون ممن لم يغفر لهم من أكلة الربا والزناة والقتلة ونحوهم ، كما ورد في حديث المفلس الذي يأتي بصلاة وصيام وزكاة وحج ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار(١).

ثم كيف يوجه قوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ مع ما ذكرنا ، أجاب العلماء على ذلك بوجوه :

أولها : أن الكافرين هم أصحابها الأصليون الذين لا يخرجون منها كما قال سبحانه : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] ومن ثم ذكرت النار بأنها أعدت للكافرين ، إذ الوارد عليها من أهل الإسلام والداخل فيها منهم إنما يدخلها ثم يخرج ، وذلك كما قال النبي ﷺ : « إنما بنيت المساجد لذكر الله وإقام الصلاة وتلاوة القرآن »(٢) مع تجويز بعض الأمور الأخرى فيها

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .

(٢) أخرج مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزرموه دعوه » فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء =

كالتقاضي والإصلاح بين الناس وربط الأسير ونحو ذلك .

فقوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣١] ليس على سبيل الحصر .

الثاني : أن النار دركات كما قال الله سبحانه : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء : ١٤٥] ، وقال الله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، فقوله تعالى : ﴿ أُعدت للكافرين ﴾ إشارة إلى تلك الدركات التي أعدت للكافرين .

الثالث : أن المراد من وصف النار بأنها مُعدة للكافرين تعظيم الزجر .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ [آل عمران : ١٣٢] عقب النهي عن أكل الربا تهديد لآكل الربا وضحه ؟

ج : وجه هذا التهديد أن الله عز وجل عقب النهي عن أكل الربا بقوله : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ ، أي : وأطيعوا الله والرسول فيما أمركم به ، ومما أمركم به ترك الربا ، فإن لم تطيعوه ابتعدت عنكم الرحمة واستحققتم العذاب ، والله تعالى أعلم .

* * *

= من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنَّه عليه .

س : اذكر معاني هذه المفردات والجُمل :

أمة قائمة – آناء الليل – صرٌّ – بطانة من دونكم – لا يألونكم خبالًا – ودوا ما عنتم – أولاء – الأنامل – غدوت – من أهلك – تبوىء– تفشلا – وليهما – أذلة – من فورهم – مسومين – ليقطع طرفًا – يكبتهم – فينقلبوا – خائبين ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــا
قائمة	قائمة بأوامر الله عز وجل ، تقيم حدوده وتطيع أوامره وتنتهي عن نواهيه – عادلة – مهتدية مستقيمة على الهدى وشرائع الله وفرائض دينه ، كما قال النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها » .
آناء الليل	ساعات الليل – جوف الليل .
صرٌّ	برد شديد محرق – جليد .
بطانة من دونكم	أخلاء ومستشارين من غيركم ، أي : من غير المؤمنين .
لا يألونكم خبالًا	لا يُقصرون في إغوائكم وإفسادكم .
ودوا ما عنتم	رغبوا في نزول المشقة عليكم .
أولاء	هؤلاء ، والهاء للتنبيه في هؤلاء .
الأنامل	أطراف الأصابع .
غدوت	خرجت في الصباح .

من أهلك	من عند أهلك .
تبوىء	تتخذ وتهيىء لهم مواقع .
تفشلا	تجبنا وتتخاذلا عن القتال .
وليهما	ناصرهما .
أذلة	قليلون ليس لكم عدد ولا عدة .
من فورهم	من وجههم (أي : من سفرهم وناحيتهم) – من غضبهم أي : من غضبهم الذي غضبوه لمن قتل يوم بدر .
مسوِّمين	معلَّمين (بعض العلماء يرى أنهم معلمين بالصوف الأبيض ، وبعضهم يرى أن العلامات هي العهن الأحمر ، وبعضهم يقول : غير ذلك).
ليقطع طرفًا	ليهلك طائفة ، ويهدم ركنًا من أركان الشرك .
يكبتهم	يخزيهم – يحزنهم – يهزمهم – يصرعهم – يهلكهم .
ينقلبوا	يرجعوا .
خآئبين	لم ينالوا مرادهم وأملهم .

❋ ❋ ❋



۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟
لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ
ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ
أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن

يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ
مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا
ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ
بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – وبادروا إلى فعل ما يجلب لكم المغفرة من ربكم عز وجل ، من شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وصلاة وصيام وحج وصدقة واستغفار وتوبة وإخلاص وسائر أعمال البر، والله تعالى أعلم.

* * *

س : لماذا عُبر بالعرض في قوله تعالى : ﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

- أنه عبر بالعرض ليدل على عظم الطول واتساعه كما قال الله سبحانه وتعالى في صفة فرش الجنة ﴿ بطائنها من إستبرق ﴾ [الرحمن : ٥٤] أي : فما ظنك بالظهائر ، فعليه فالطول لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .
- وبعض العلماء يقول : إن عرضها كطولها .
- وبعض العلماء يقول : إنما عُبر بالعرض ؛ ليدل على الاتساع ، كما يقول القائل : هذه دعوى عريضة أو بلاد عريضة أي : كبيرة متسعة ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى ﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٣٣] هل هو على ظاهره أم له مدلول آخر ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن الآية على ظاهرها ، وأن السموات والأرض تقرن بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض ، فذلك عرض الجنة ، وهذا قول الجمهور[1] من المفسرين .

---

(١) عزاه إليهم القرطبي في التفسير ، وصديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) .

● وبعض أهل العلم يقول : إن المراد بيان الاتساع فشبه عرض الجنة بأوسع ما علمه الناس من خلق الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فأين النار ؟

ج : ورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل نحو هذا السؤال فأجاب بقوله : أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل[1].

---

(١) أخرجه الطبري رحمه الله تعالى : (٧٨٣٣ ، ٧٨٣٤ ، ٧٨٣٥) من طرق عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر ، فقال : تقولون (جنة عرضها السموات والأرض) أين تكون النار ، فقال له عمر : أرأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل ؟ أرأيت الليل إذا جاء أين يكون النهار ؟ فقال : إنه لمثلها في التوراة ، فقال له صاحبه : لم أخبرته ؟! فقال له صاحبه : دعه إنه بكلٍّ موقنٌ .

وهذا إسناد صحيح .

وقال ابن جرير أيضًا (٧٨٣٦) : حدثني أحمد بن حازم ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، قال : حدثنا جعفر بن برقان ، قال : حدثنا يزيد بن الأصم أن رجلًا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال : تقولون : (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار ؟ فقال ابن عباس : أرأيت الليل إذا جاء أين يكون النهار ، وإذا جاء النهار أين يكون الليل.

● ورجاله ثقات إلا أحمد بن حازم لم أقف على من وثقه ، وقد ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

● وقال البزار رحمه الله (نقلًا عن ابن كثير) : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا المغيرة ابن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ فأين النار؟ قال : «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء فأين النهار؟» قال: حيث شاء الله قال: «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل».

● ورجاله ثقات إلا عبيد الله بن عبد الله بن الأصم لم أقف على أحدٍ وثقه إلا ابن حبان ، وروى عنه ثلاثة ، وأخرج له مسلم ، وقال عنه الحافظ : مقبول (وهو عنده مقبول إذا توبع وإلا فلين) .

=

س : ما المراد بالسراء والضراء في قوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال منها :

أن السراء : هي اليسر . والضراء : هي العسر .

وقيل : السراء : هي الرخاء . والضراء : هي الضيق .

وقيل : السراء : المنشط[1] . والضراء : هي المكره[2] .

وقيل: السراء المراد بها: النفقة في الحياة والضراء: النفقة بعد الممات (بالوصية).

وقيل: النفقة في السراء (العرس والولائم) والنفقة في الضراء: (النوائب والمآتم).

والحاصل أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله عز وجل والإنفاق في سبيله.

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج: المراد- والعلم عند الله تعالى- الذين امتلأت قلوبهم وصدورهم غيظًا مما آذاهم

= والذي تطمئن إليه نفسي أن هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (٧٨٣١): حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني مسلم بن خالد عن ابن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة ، قال : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخًا كبيرًا قد فُنِّد ، قال : قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل ، فناول الصحيفة رجلًا عن يساره ، قال قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية فإذا كتاب صاحبي (إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟ » .

وفي إسناده ضعف فمسلم بن خالد هو الزنجي ضعيف ، وإن كان قد توبع إلا أن سعيد بن أبي راشد أيضًا مجهول ، وانظر أيضًا أحمد في المسند (٤٤١/٣) تجد خلافًا آخر على سعيد بن أبي راشد .

(١) المنشط : هو الأمر الذي يحبه الرجل وينشط له .

(٢) المكره : هو الأمر الذي يبغضه الرجل ويكره فعله .

به الناس ، ومع ذلك فهم يكظمون[1] هذا الغيظ ولا يمضونه في الناس ، ويزداد الفضل ويرتفع الأجر إذا كانوا قادرين على إمضائه ولكنهم تركوه لله عز وجل .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج : المعنى – والله أعلم – التاركين عقوبة من أساء إليهم وأذنب في حقهم واستحق المؤاخذة .

وبعض العلماء يقول : إن المراد بالناس هنا هم الخدم والمماليك ، لكن الصحيح من قول أهل العلم أن الآية عامة غير قاصرة على المماليك والخدم ، وإن كان المماليك والخدم داخلين فيها .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي وردت في الحث على كظم الغيظ والعفو عن الناس ؟

ج : ● منها قوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

● ومنها قوله تعالى: ﴿ ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ [الشورى: ٣٧].

● ومنها قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ [النور : ٢٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [الشورى : ٤٣] .

---

(١) فالكظيم : الممتلىء حزنًا وهمًّا وغمًّا قال تعالى : ﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ [ن : ٤٨] ، وقال سبحانه : ﴿ وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ [يوسف : ٨٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم ﴾ [النحل: ٥٨].

● وقوله تعالى : ﴿ فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾ [المائدة : ٤٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

أما الأحاديث في ذلك فكثيرة :

● منها قول النبي ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »(١) .

● ونحوه قول النبي ﷺ : « ما تعدون الصرعة فيكم ؟ » قلنا : الذي لا يصرعه الرجال ، قال : « ليس بذلك ولكنَّه الذي يملك نفسه عند الغضب »(٢) .

● وقول رجل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله قل لي قولًا ينفعني وأقلل عليَّ فيه لعلِّي أعيه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تغضب » فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارًا كل ذلك يقول : « لا تغضب »(٣) .

● ونحوه أن رجلًا قال : يا رسول الله أوصني قال : « لا تغضب » قال الرجل : ففكرت حين قال ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله(٤) .

● وجاء الرجل إلى رسول الله ، فقال : يا محمد اعدل(٥) وصبر عليه رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠٢٠) بهذا اللفظ بسند صحيح، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ، وأخرجه البخاري (٦١١٦) بلفظ أن رجلًا قال للنبي ﷺ : أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مرارًا قال : «لا تغضب» .

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٣/٥) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ ، بإسناد صحيح .

(٥) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : =

س : ما المراد بالمحسنين في قوله تعالى : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ؟

ج : إما أن يقال : إن المحسنين هم الذين يعبدون الله عز وجل كأنهم يرونه فينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس لاعتقادهم أن الله عز وجل يراهم أو كأنهم يرون الله عز وجل[١] .

● أو يقال : إن مقام الإحسان هنا كمقامه في قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [النحل : ٩٠] فالعدل : هو القصاص ، والإحسان : هو العفو ، وهذا يتناسب مع قوله تعالى : ﴿ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ ، وبالجملة فإن الإحسان كتبه الله في كل شيء كما جاء عن رسول الله ﷺ[٢] فالإنفاق فيه إحسان على الفقراء ، وحدُّ الشفرة فيه إحسان على الذبيحة ، ...

❋ ❋ ❋

س : هل من شروط المتقين ألا يأتوا بفواحش ؟

ج : الأصل في المتقي أنه يجتنب الفواحش كما قال تعالى : ﴿ الذين

= أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال : يا محمد اعدل قال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ... » . ونحوه عند البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (ص ٧٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري .

(١) كما ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير الإحسان : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .
أخرجه مسلم في صحيحه وقد تقدم .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليُحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».

يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ [النجم : ٣٢] .

ولكن قد تزل قدم رجل من المتقين - أعاذنا الله والمؤمنين - فيقع في فاحشة من الفواحش ، ولكنه يتذكر ذنبه ويندم على فعله ويستغفر الله عز وجل منه ، فلا يخرج حينئذٍ عن حيز المتقين ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ثم طفق يذكر صفاتهم: ﴿ ... و ... والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] فلم يخرج الله عز وجل المتقي التائب النادم غير المصر على الذنب عن حيز المتقين .

وقد قال نبي الله موسى ﷺ : « إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب - قتله النفس »[1] .

وقد قال تعالى في شأن موسى : ﴿ وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم ... ﴾ [طه : ٤٠] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفاحشة في قوله تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ... ﴾ [آل عمران : ١٣٥]؟

ج : ● الفاحشة تطلق على كل قبيح وخارج عن الحد، وتطلق على كل معصية.

● لكنها اختصت بالزنا[2]، قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا ﴾ [النساء : ٢٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) ، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري (٧٨٤٦) من طريق العباس بن عبد العظيم، قال: حدثنا حبان، قال: حدثنا حماد، عن ثابت، عن جابر ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ﴾ قال: زنى القوم ورب الكعبة .

أما إطلاقها على ما هو خارج عن الحد فمنه قول النبي ﷺ : « يا عائشة متى عهدتيني فاحشًا »[1] .

فالمراد الفحش من القول ، ومنه قولهم : أفحش فلان في كلامه إذا تكلم بالفحش، وقيل للرجل الطويل طولًا زائدًا: إنه فاحش الطول .

● وقال بعض العلماء : إن الفاحشة تطلق على كل كبيرة .

● والذي يظهر لي أن المراد بالفاحشة في الآية الكريمة: الكبيرة ، ومنها الزنا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بظلم النفس في قوله تعالى : ﴿ أو ظلموا أنفسهم ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ؟

ج : الذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن المراد بظلم النفس هنا ما دون الكبيرة من قبلة أو نظرة أو معانقة ونحو ذلك ، وقد اختار هذا أكثر المفسرين ، وبعض العلماء يقول إن الفاحشة ظلم النفس ، وظلم النفس فاحشة أيضًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ؟

ج : من العلماء من قال هو ذكر الله باللسان ، والمراد الاستغفار من الذنوب التي اقترفوها .

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ ، فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة» فلما جلس تطلق له النبي ﷺ، وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ .. فذكره .

ومنهم من قال : هو ذكر الله بالقلب ، والمعنى : أنهم ذكروا وعيد الله عز وجل لمن عصاه ، وذكروا عظمة الله عز وجل فاستحيوا منه ، وذكروا أنهم مسئولون أمام الله عز وجل عما اقترفوه ، وذكروا نهي الله عز وجل عن الفعل الذي فعلوه ، وذكروا العرض علي الله عز وجل ، وذكروا أيضًا أن الله فتح لهم باب التوبة حتى يستغفروا الله عز وجل من ذنوبهم ، ذكروا ذلك كله فسألوا ربهم عز وجل أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تحث على التوبة والاستغفار ؟

ج : الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة نورد منها ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ [الزمر : ٥٣-٥٤].

● وقال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

● وقال نوح لقومه: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارًا ﴾ [نوح: ١٠].

● وقال سبحانه : ﴿ واستغفـروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ [المزمل: ٢٠].

● وقال عز وجل: ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجلٍ مسمى ﴾ [هود : ٣] .

● وأثنى الله على المحسنين فقال : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات : ١٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله

يجد الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ [التوبة : ١٠٤] .

أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها :

● قول النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[(١)] .

● وقول النبي ﷺ : « الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة »[(٢)] .

وفي رواية[(٣)]: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فآيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح » .

● وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول: هل من مستغفرٍ فأغفر له ... » .

● وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن إبليس قال لربه : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: بعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني »[(٤)]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجها مسلم .

(٤) أخرجه أحمد (٢٩/٣ في المسند) وهو حديث صحيح .

• وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال : رب أذنبت ذنبًا فاغفره فقال ربه : أعلم عبدي أنه له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا ، فقال : رب أذنبت - أو أصبت - آخر فاغفره فقال : أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا ، وربما قال : أصاب ذنبًا ، فقال : رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي ، فقال : أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء »[(١)] .

• وقال النبي ﷺ : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم »[(٢)] .

• وقال النبي ﷺ : « إن ربك يعجب من عبده إذا قال : اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري »[(٣)] .

• وقال النبي ﷺ : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه »[(٤)] .

❋ ❋ ❋

س : هل المصر على المعصية كافر ؟

ج : المصر على المعصية ليس بكافر[(٥)] ولكنه على خطر عظيم ، أما الأدلة على عدم كفره فمنها :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٨) من حديث أبي أيوب الأنصارى رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وأحمد (١١٥و ١٢٨و ٩٧١) ، والحاكم (٢/٩٨-٩٩) .

(٤) ورد في ثنايا حديث الإفك .

(٥) إلا إذا استحل معلومًا من الدين بالضرورة كأن يقول مثلًا : الزنا حلال ، ونحو ذلك.

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]

● وقول النبي ﷺ لما ذكر جملة من الكبائر : « فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » .

● وقصة البغي من بغايا بني إسرائيل التي كانت تزني فوجدت كلبًا يلهث من العطش فنزعت موقها فسقته فغفر الله عز وجل لها[١] .

● وقصة الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر ، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ : لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك ، فقال النبي ﷺ : « إنه يحب الله ورسوله »[٢].

● وقول النبي ﷺ : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »[٣] .

● وحديث البطاقة وفيه أن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل سيخلِّص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟

---

(١) صحيح أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يُلقب حمارًا ، وكان يُضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأُتي به يومًا فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : «لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله »(*).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم (ص٩٥) من حديث أبي ذر مرفوعًا: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » .

(*) ما علمت أي: ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله ، أو قد علمت أنه يحب الله ورسوله .

أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء »[1].

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالإصرار على المعصية ؟

ج : للعلماء في المراد بالإصرار أقوال منها :

- الاستمرار على المعصية وعدم الإقلاع عنها .
- الثبوت[2] عليها من غير استغفار .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] يعلمون ماذا؟

ج : للعلماء في ذلك أقوال ، منها :

- وهم يعلمون أن الإصرار يضر .
- يعلمون أن الله عز وجل لا يتعاظمه العفو عن الذنوب ، بل هو سبحانه يغفر الذنوب جميعًا .
- يعلمون أن الله يتوب على من تاب .
- يعلمون أنهم قد أذنبوا .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) ، وأحمد (٢/٢١٣ و ٢٢١ و ٢٢٢) وابن ماجة (٤٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وهو صحيح .

(٢) ومنهم من قال : السكوت عليها وترك الاستغفار .

س : قوله تعالى: ﴿ ونعم أجر العاملين ﴾ [آل عمران : ١٣٦] عاملين بماذا؟

ج : المراد – و الله أعلم – العاملين بطاعة الله عز وجل .

✸ ✸ ✸

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [آل عمران:١٣٧]؟

ج : المعنى[1] – و الله أعلم – أنه قد تقدمتكم أمم وسبقتكم قرون مكذبون برسلي تاركون توحيدي معذبون لعبادي فأمهلتهم على تكذيبهم وشركهم وإيذائهم لعبادي إلى أجل أجلته لهم ثم أخذتهم وانتقمت لرسلي ولعبادي منهم ، فكأن الآية الكريمة فيها تصبير للمؤمنين على ما أصابهم من قتل وجراح يوم أحد من أهل الشرك والتكذيب ، وفيها أيضًا تحذير لأهل الشرك من البقاء على شركهم وتكذيبهم وتنبيههم على أن ما حدث لهم يوم أُحدٍ من نصرٍ في الظاهر إنما هو استدراج لهم ، و الله تعالى أعلم .

✸ ✸ ✸

س : هل تجوز زيارة ديار الذين ظلموا أنفسهم وأنزل الله العذاب عليهم ؟

ج : بعض أهل العلم يذهب إلى الجواز بل وإلى الاستحباب إذا كان ذلك للعبرة والعظة والتذكرة ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [آل عمران : ١٣٧] وقال تعالى : ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾[الصافات : ١٣٧] .

وبعض العلماء يضيق في هذا الباب ؛ لأن النبي ﷺ لما مرَّ بالحجر[2] قال

---

(١) هذا المعنى مع بعض الزيادات .

(٢) المراد به ديار ثمود ، وهم قوم صالح عليه السلام كما هو معلوم، ولا أدري هل هذا خاص بأصحاب الحجر أم بعموم الظالمين؛ لقوله عليه السلام: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا»، فالله أعلم =

لأصحابه : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم » ثم تَقَنَّعَ بردائه وهو على الرحل[1] . ولأنه لم يرد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعمدون السفر لمشاهدة آثار الظالمين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسير في قوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض﴾ [آل عمران: ١٣٧]؟

ج : لأهل العلم قولان فيه :

أحدهما : أنه السير في السفر ، والذهاب إلى أماكنهم ، والمعنى : إذا سرتم في أسفاركم عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم .

الثاني : أنه التفكر ، ومعنى انظروا اعتبروا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إلى ماذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ هذا بيان للناس ... ﴾ [آل عمران : ١٣٨] الآية ؟

ج : بعض العلماء يقول : هذا إشارة إلى القرآن الكريم ، وبعضهم يقول : هو الإشارة إلى ما تقدم من أخبار المذكورين في قوله تعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [آل عمران : ١٣٧].

والذي يبدو لى أن المراد بقوله تعالى : ﴿ هذا بيان ﴾ إشارة للقرآن بما فيه من أخبار المؤمنين وهلاك الظالمين ، والله أعلم بمراده .

❋ ❋ ❋

= ● قال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) : والمطلوب من هذا السير المأمور به هو حصول المعرفة بذلك، فإن حصلت بدونه فقد حصل المقصود ، وإن كان لمشاهدة الآثار زيادة غير حاصلة لمن لم يشاهدها ، والأمر للندب لا على سبيل الوجوب.

● وقال القاسمي (محاسن التأويل ص ٩٧٨) : والأمر بالسير والنظر لما أن لمشاهدة آثار المتقدمين أثرًا في الاعتبار والروعة أكثر من أثر السماع .

قلت : ويؤيده قول النبي ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة » .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

س : ما المراد بالهدى والموعظة في قوله تعالى : ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٨] ؟

ج : المراد بالهدى : هو الكلام الهادي إلى سبيل الحق وطريق الرشاد المأمور بسلوكه .

والمراد بالموعظة : الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين ، والله أعلم بمراده .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولا تحزنوا ﴾ [آل عمران : ١٣٩] على ماذا حزن المسلمون ؟

ج : حزن المسلمون على أمور منها :

- قتل إخوانهم من المسلمين يوم أُحد ، وما أصاب المسلمين من هزيمة يومها.
- ما أصاب النبي ﷺ من شجٍّ رأسه وكسر رباعيته .
- ما فات من الغنيمة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ؟

ج : الآية التي في معناها هي قوله تعالى : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴾ [النساء : ١٠٤] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] متى مس الكفار القرح المذكور في هذه الآية ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا الباب :

١ – منهم من قال : إن القرح الذي أصاب الكفار أصابهم يوم بدر ، وعليه فالمعنى : لا تهنوا ولا تحزنوا أيها المؤمنون ، فإن تكونوا أصبتم بشيء يوم أحد من قتل وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم مثله يوم بدر .

وقد يَرِدُ على هذا القول إشكال ، وهو أن الله عز وجل قال للمؤمنين بشأن يوم أحد : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا .. ﴾ [آل عمران : ١٦٥] فالآية الكريمة أفادت أن المسلمين أصابوا ضعف ما أصيبوا به فكيف يجمع بينه وبين قوله تعالى : ﴿ فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

فالإجابة على هذا يقال : إن من قتل من المسلمين يوم أحد كالذي قتل من المشركين ببدر ، وحاز المسلمون الظفر بالأسرى الذين أسروهم يوم بدر وكان عددهم تقريبًا عدد من قُتل ، والله أعلم .

٢ – القول الثاني قول من قال : إن قوله تعالى : ﴿ فقد مس القوم قرح مثله ﴾ أن ذلك كان يوم أحد ، فقد كانت الدولة والغلبة للمسلمين في أول النهار فنالوا من الكفار ثم تحولت عليهم الدائرة فنال منهم أهل الشرك ، والقول الأول أولى ، وذلك لأن ما ناله المسلمون من المشركين أول النهار لا يساوي ما ناله المشركون من المسلمين آخر النهار ، والله أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ؟ [آل عمران : ١٤٠] وما الحكمة من مداولة الأيام بين الناس ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ وتلك الأيام ﴾ فالمراد بالأيام : الأيام الكائنة بين الأمم في حروبها ، أو أيام الحياة الدنيا بصفة عامة ، أما قوله تعالى : ﴿ نداولها ﴾ أي : نصرِّفها .

والمعنى الإجمالي : أنه في بعض الأيام التي يتقاتل فيها المسلمون مع المشركين ينتصر المسلمون وتكون لهم الدولة والغلبة ، وفي أيام أخر ينتصر المشركون

وتكون لهم الدولة[1]، كما قال الشاعر :

فيومٌ علينا ويوم لنا ويوم نُساءُ ويوم نُسر

● أما الحكمة من مداولة الأيام بين الناس فقد ذكر ابن القيم بعضها[2] فقال : ومنها أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائمًا دخل معهم المسلمون وغيرهم ، ولم يميز الصادق من غيره ، ولو انتُصر عليهم دائمًا لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، فاقتضت حكمة الله أن يجمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق ، وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة - انتهى .

وقوله تعالى : ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ [آل عمران : ١٤٠] قال ابن القيم : حكمة أخرى ، وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه ، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ، وإنما يترتب على المعلوم إذا صار مُشاهدًا واقعًا في الحس . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ﴾ [آل عمران : ١٤٠][3] هذه الآية ظاهرها أن الله عز وجل إنما فعل

---

(١) وقد يكون المعنى أعم من أيام الحروب بمعنى : أن الحياة الدنيا لا تبقى لأحد على حال ، فهذا اليوم صحيحًا وغدًا سقيمًا وعكسه ، وهذا اليوم معافًى وغدًا مبتلًى وعكسه ، وهذا اليوم غنيًّا وغدًا فقيرًا وعكسه ، وهذا اليوم يولد له وآخر يموت له وعكسه ، وهذا اليوم منتصرًا وغدًا منهزمًا ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

(٢) نقلًا عن تفسير القاسمي .

(٣) ونظيرها في الإشكال قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله =

ذلك ليكتسب ذلك العلم ، فكيف يتفق هذا مع المعلوم لدى الجميع أن الله عز وجل يعلم كل شيء قبل حدوثه ؟

ج : لأهل العلم في دفع هذا الإشكال أقوال :

أولها وأشهرها - وهو رأي الجمهور -: أن المراد بالعلم هنا المشاهدة والرؤيا ، أي : لِنرى .

الثاني : أن هذا من باب التمثيل ، أي : فعلنا فعل من يريد أن يعلم .

الثالث : أن المراد بالعلم هنا التمييز ، أي : يميز الثابتين على الإيمان من غيرهم .

وثمَّ أقوال أُخر في هذا الباب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ما المراد به ؟

ج : المراد - والله أعلم - ليكرم من شاء منكم بالشهادة في سبيله .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ؟

ج : بعض العلماء يقول هنا : إن هذا استفهام معناه النهي ، والمعنى - والله أعلم - لا تحسبوا .

= الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا ﴾ [الكهف : ١٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ؟

ج : المعنى الإجمالي - والله أعلم - : أفحسبتم يا أصحاب محمد ويا أتباع محمد أن تدخلوا الجنة وتنالوا شرف الشهادة والإكرام من الله عز وجل وترتفع منازلكم عنده من غير أن تسلكوا طريق المجاهدين الصابرين ، ومن غير أن يبتليكم الله عز وجل بالشدائد والمكاره حتى يعلم الله المجاهد منكم والصابر !!!

❋ ❋ ❋

س : جاءت جملة آيات من كتاب الله عز وجل وكذلك جملة أحاديث توضح أنه لا بد من الابتلاء في هذه الحياة الدنيا ، اذكر طرفًا منها ؟

ج : الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

● وقول الله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوْ أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

● وقول الله تعالى : ﴿ آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

• وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ [براءة : ١٦] .

• وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

• وقال سبحانه : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ [الحج : ٤٠] .

أما الأحاديث فكثيرةٌ :

• منها : قول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ : لما يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي[(١)] .

• ما ذكره النبي ﷺ عن الراهب والغلام (اللذين وردت قصتهما مع قصة أصحاب الأخدود الذين خُدَّت لهم الأخاديد) إذ قال الراهب للغلام : « إنك خير مني وإنك ستبتلى »[(٢)] .

• قول النبي ﷺ : « يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه »[(٣)] .

• وقال خباب بن الأرت رضي الله عنه : شكونا إلى رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣) ، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم حديث (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة » .

وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه »[1] .

***

س : ما المراد بالموت في قوله تعالى : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ﴾ [آل عمران : ١٤٣] ؟

ج : قال بعض أهل العلم في ذلك أقوالًا منها :

- أن المراد بالموت هنا لقاء العدو وقتاله .
- أن المراد الشهادة في سبيل الله .

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن المراد الثبات عند مجاهدة الأعداء وقتالهم إلى النصر أو الشهادة في سبيل الله عز وجل ، كما فعل أنس بن النضر رضي الله عنه .

***

س : هل يشرع تمني الموت ؟

ج : لا يشرع تمني الموت إلا إذا خشي الشخص على نفسه الفتنة في دينه ، وها هي بعض الأدلة على ذلك :

- قول النبي ﷺ : « .. ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مُسيئًا فلعله أن يستعتب »[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ، والنسائي (٣/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

• قول النبي ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضرٍّ أصابه ، فإن كان لا بد فاعلًا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي »[1] .

• قول خباب بن الأرت رضي الله عنه وقد اكتوى سبع كيات ... ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به[2].

أما الأدلة على جواز تمني الموت خشية الفتنة في الدين فمنها :

• قول مريم عليها السلام : ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا ﴾ [مريم : ٢٣] .

• وقول سحرة فرعون : ﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جآءتنا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

• وقول النبي ﷺ : « وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون »[3] .

• وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهم إني كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط[4].

• أما ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله : « اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى »[5] فهو إيثار منه عليه الصلاة والسلام للآخرة على الدنيا ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧١) ، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٢) ، ومسلم (٢٦٨١) ، والنسائي (٤/٤) .

(٣) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٢٤٣/٥) .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٨٢٤) من طريق سعيد بن المسيب عن عمر ، وفي سماع سعيد من عمر خلاف .

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٧٤) ، ومسلم (٣٤٤٤) وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

فإنه عليه الصلاة والسلام خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار الرفيق الأعلى .

● أما قول يوسف ﷺ للموت في قوله : ﴿ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ﴾ فهو طلب لحسن الخاتمة . والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بتمني الشهادة ؟ وما حكم تمنيها ؟ وهل يشرع للمرأة أن تتمنى الشهادة في سبيل الله ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : وتمني الموت يرجع من المسلمين إلى تمني الشهادة المبنية على الثبات والصبر على الجهاد لا إلى قتل الكفار لهم ؛ لأنه معصية وكفر[1]، ولا يجوز إرادة المعصية ، وعلى هذا يُحمل سؤال المسلمين من الله أن يرزقهم الشهادة فيسألون الصبر على الجهاد وإن أدى إلى القتل .

وتمني الشهادة مستحب ، وقد قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل »[2].

● وقال النبي ﷺ : « مِا من عبدٍ يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى »[3].

---

(١) كأنه يشير إلى أن الذي يتمنى أن يُقتل أهل الإسلام وينتصر أهل الكفر فقد وقع في المعصية ، بل ووقع في الكفر .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفي رواية للبخاري : « فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » .

• وقال النبي ﷺ : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول : أي رب خير منزل فيقول : سل وتمنَّ فيقول : أسألك أن تُردَّني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات ، لما يرى من فضل الشهادة »[1] .

• وقال عليه الصلاة والسلام : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه »[2] .

• ويشرع للمرأة أن تسأل ربها عز وجل الشهادة ، وذلك لما ورد عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت : نام النبي ﷺ يومًا قريبًا مني ثم استيقظ يبتسم ، فقلت : ما أضحكك ؟ قال ﷺ : « أناس من أمتي عرضوا عليَّ يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرَّة » ، قالت : فادع الله أن يجعلني منهم ، « فدعا لها » ، ثم نام الثانية ففعل مثلها ، فقالت مثل قولها فأجاب مثلها ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : « أنت من الأولين » ، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيًا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية ، فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين فنزلوا الشام فقرَّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت[3] .

* * *

س : هل يشرع تمني لقاء العدو ؟

ج : يُكره تمني لقاء العدو ؛ لقول النبي ﷺ : « لا تمنوا لقاء العدو

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٣/٥٥) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه ، ونحوه عند مسلم أيضًا من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تصبه » .

وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[1] .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ [آل عمران : ١٤٣] بعد قوله تعالى : ﴿ فقد رأيتموه ﴾ ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : إن هذا ذكر للتأكيد كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

● وبعض أهل العلم يقول : إن الرؤية قد تأتي بمعنى العلم كقول القائل : أرى أن الصواب كذا وكذا ، فأُتي بالنظر في قوله تعالى : ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ لبيان أن المراد بالرؤية العلم .

وقيل المعنى : وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ [آل عمران : ١٤٣] هل فيه إضمار ؟

ج : نعم ذكر بعض أهل العلم أن فيه إضمارًا ، والمعنى : فقد رأيتموه وأنتم تنظرون فلم فررتم وانهزمتم ؟!!!

* * *

س : ما في قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ [آل عمران : ١٤٤] نافية فنفت ماذا ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أنها نفت أن يكون محمد إلهًا .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٥٦/٦) ، ومسلم في المغازي (٢/٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه .

س : صحابي كريم تلا هذه الآية عند وفاة رسول الله ﷺ : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، من هو هذا الصحابي ، وما مناسبة ذكره للآية الكريمة ؟

ج : الصحابي هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، ومناسبة تلاوته هذه الآية الكريمة أنه أقبل على فرسٍ من مَسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم رسول الله ﷺ وهو مُغشًّى بثوبٍ حِبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها[١].

وعن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال : اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل - إلى - الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، وقال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، فأخبرني[٢] سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلُّني رجلايَ ، وحتى أهويت إلى

(١) أخرج البخاري (٤٤٥٣) من حديث عائشة ، وذلك بإسناده إلى الزهري عن أبي سلمة عن عائشة فذكرته ، ثم قال البخاري : قال الزهري : وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس فذكر ما هو أعلاه .

(٢) القائل هو : الزهري أحد رواة الحديث .

الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات .

***

س : ما المراد بالشاكرين في قوله تعالى: ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران : ١٤٤] ؟

ج : المراد بالشاكرين في قوله تعالى : ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ الثابتون على دينهم ، وما منَّ الله به عليهم من توفيق وإيمان وهداية .

***

س : ما معنى بإذن الله في قوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – بقضاء الله وقدره وأمره .

***

س : هذه الآية الكريمة : ﴿ ومن يُرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ [آل عمران : ١٤٥] مطلقة فهل قيدت وما الذي قيدها ؟ اذكر مثالًا آخر على شاكلتها من التنزيل ؟

ج : نعم قيدت – على رأي كثيرٍ من أهل العلم – والذي قيدها قوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلْنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا ... ﴾ الآية[الإسراء : ١٨] .

أما المثال الذي على شاكلتها فقوله تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] قُيد بقوله تعالى : ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ [الأنعام : ٤١] ، والله تعالى أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ .... ومن يُرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ [آل عمران : ١٤٥] بيِّن معناه ، واذكر آيات في هذا المعنى وكذلك بعض الأحاديث ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من أراد بعمله الدنيا وأعراضها ومتاعها أعطاه الله عز وجل ما قسم له من ذلك ، ولا يكون له نصيب في الآخرة ، أما من أراد الجزاء الأخروي ، وما عند الله عز وجل من الكرامة أعطاه الله من ذلك أيضًا .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، منها :

● قول الله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ [هود : ١٥ – ١٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ [الشورى : ٢٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ [البقرة : ٢٠٠ – ٢٠٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا ﴾ [الإسراء : ١٨ – ١٩] .

أما الأحاديث فمنها :

● قوله عليه الصلاة والسلام : « .. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[1] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضىَ إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها »[2] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر عدة آيات وأحاديث في معنى قوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا ﴾ ؟

ج : أما الآيات والأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدًّا ، منها :

● قول الله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ [الحجر : ٤ و ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونًا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ [المؤمنون : ٤٢ و ٤٣] .

● قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [النحل : ٦١] .

---

(١) أخرجه البخاري (١) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقال سبحانه : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ [الأنعام : ٦١] .

أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها :

● حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « وكل الله بالرحم ملكًا فيقول : أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه »(١) .

● وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ... »(٢) الحديث .

● وحديث ابن مسعود قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية قال : فقال النبي ﷺ : « قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حلّه »(٣) .

● وقول النبي ﷺ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »(٤) .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨) وفي غير موضعٍ من صحيحه ، ومسلم (حديث ٢٦٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٤) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٣) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هي النكتة في طلب الربيين المقاتلين المغفرة من ربهم عز وجل بين يدي القتال وذلك في قولهم ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [آل عمران : ١٤٧] ؟

ج : النكتة في ذلك أن هؤلاء الربيين بما علموه من علم يعلمون أن الذنوب من أقوى أسباب الهزائم أمام الأعداء ، وأن الشيطان يستزل بها العباد ، كما قال الله سبحانه : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنا استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾ [آل عمران : ١٥٥] ، فلما علموا ذلك أقبلوا على الاستغفار من صغار الذنوب وكبارها ، سائلين الله عز وجل الثبات والنصر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : بين معنى قوله تعالى : ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ؟

ج : أما المراد بقوله تعالى : ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ﴾ أنهم ما ضعفوا وما جبنوا لما أصيبوا بالجراح التي أصيبوا بها وأصيب بها إخوانهم في سبيل الله .

وقوله تعالى : ﴿ وما ضعفوا ﴾ أي : وما تسرب إليهم الضعف عند سماع خبر قتل نبيهم عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ وما استكانوا ﴾ أي : وما استذلوا وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالذنوب والإسراف في الأمور في قول الربيين : ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ... ﴾ [آل عمران : ١٤٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالذنوب هنا الصغائر والإسراف

في الأمور المراد بها الكبائر .

وأصل الإسراف تجاوز الحد ، كما قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... ﴾ [الزمر : ٥٣] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] ، فالإسراف في الشيء هو تجاوز الحد فيه، فإن قيل قد ورد في دعاء النبي ﷺ أنه طلب من الله أن يغفر له ذنبه وإسرافه في أمره ، فكيف يجاب على هذا قلنا : إن هذا من النبي ﷺ على سبيل التواضع منه عليه السلام ، وعلى سبيل تعليم أمته كذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بثواب الدنيا في قوله تعالى : ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا ﴾ [آل عمران : ١٤٨] ؟

ج : المراد بثواب الدنيا : ما رزقهم الله إياه من نصرٍ على عدوهم ، ومن غنيمة وقهرٍ للعدو ، والثناء الحسن الجميل وانشراح الصدر للإيمان ، وإنارته بنور الإيمان وتكفير السيئات ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا وصف ثواب الآخرة بالحسن في قوله تعالى : ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ [آل عمران: ١٤٨] وما المراد بثواب الآخرة؟

ج : وصف ثواب الآخرة بالحسن ، لأنه النعيم الحسن الباقي وهو المعتد به الذي لا يزول كما قال سبحانه : ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ [العنكبوت : ٦٤] فلا تشوب هذا النعيم شائبة ولا تعكره الدلاء ولا الأكدار بخلاف نعيم الدنيا فمهما كان فتشوبه الشوائب ، ثم إن نعيمها

منقطع ، والله تعالى أعلم .

أما المراد بثواب الآخرة فهو الجنة وما فيها من النعيم المقيم ورضوان رب العالمين .

* * *

س : ما هي صلة هذه الآيات : ﴿ وكأين من نبي ...– إلى قوله تعالى – المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٤٦ – ١٤٨] بغزوة أحد ؟

ج : صلة ذلك – والله أعلم – أن هذا تأنيب من الله عز وجل للذين فرُّوا يوم أُحد وتركوا قتال عدوهم لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتل فعوتبوا وقيل لهم : هلا فعلتم مثل ما فعل الربيون من قبلكم لما قاتلوا مع أنبيائهم فإنهم لم يضعفوا للجراح التي أصابتهم و لم يتخاذلوا بعد قتل نبيهم و لم يستذلوا لعدوهم ويخضعوا له ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو سبب وصف الربيين بالإحسان في قوله تعالى : ﴿ وما كان قولهم ...– إلى قوله – والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٤٧– ١٤٨] ؟

ج : وجه ذلك أنهم لما تواضعوا لله واعترفوا بذنوبهم وإسرافهم في أمرهم وطلبوا من الله الثبات والنصر على أعدائه وصفهم الله عز وجل بالإحسان ، والله أعلم .

* * *

س : نهانا الله سبحانه وتعالى في جملة مواطن عن طاعة الكفار ، اذكر جملة من هذه المواطن ؟

ج : من هذه المواطن قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا

فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ [آل عمران: ١٠٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [آل عمران : ١٤٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ [الأحزاب : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ [الشعراء : ١٥١ ، ١٥٢] .

● ووصف الله سبحانه قوم فرعون بالفسق لما أطاعوه ، فقال سبحانه : ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ [الزخرف: ٥٤].

● وقال سبحانه : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٠ - ١٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولًا بليغًا ﴾ [النساء : ٦٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ [الأنعام : ١٥٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون .. ﴾ [الجاثية : ١٨] .

* * *

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾ [آل عمران : ١٥٠] **عقب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾** [آل عمران : ١٤٩] **؟**

ج : وجهه – والله أعلم – الحث على موالاة الله عز وجل وترك موالاة الذين كفروا فالله سبحانه هو خير الناصرين فليعتصم به الذين آمنوا وليستنصروا به ولا يستنصروا بغيره ، فأهل الكفر عاجزون متحيرون ، فكيف تطلبون النصرة منهم وتتركون طلبها من الله عز وجل وهو خير الناصرين .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [آل عمران : ١٤٩] **هل الطاعة هنا عامة في كل شيء أم في أشياء مخصوصة ؟**

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أنها مخصوصة بأمور الدين وما يتعلق بها ، فإذا كان هناك رجل كافر مثلًا وأمر ولده بشيء من أمور الدنيا فأطاعه ولده فيه لا يدخل تحت هذه الآية ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من الوسائل التي ينصر الله عز وجل بها جنده في هذه الحياة الدنيا قذف الرعب في قلوب أعدائه الكافرين ، اذكر أدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة :

● قوله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] .

● وقوله ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر »[1].

● ونحوه قول النبي ﷺ : « ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه الله في قلوب أعدائي »[2].

● وقد أخرج ابن أبي حاتم في التفسير من طريق حبيب بن صهبان قال : قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة يعني دجلة[3] ﴿ ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ثم أقحم فرسه في دجلة ، فلما أقحم ، أقحم الناس فلما رآهم العدو ، فقالوا : ديوان[4] فهربوا .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا .. ﴾ الآية [آل عمران : ١٥١] ذم للتقليد ، وضح ذلك ؟

ج : نعم في الآية الكريمة ذم للتقليد ، ففيها إيذان بأن المتبع هو البرهان والحجة اللذان أتيا من عند الله سبحانه وتعالى ، فذم الله عز وجل المشركين لاتباعهم ما لم ينزل الله به سلطانًا .

❋ ❋ ❋

س : الكافر قلبه ممتلئ خوفًا وفزعًا وهلعًا ، والمؤمن قلبه ممتلئ إيمانًا وطمأنينة ، هل هذا صحيح ؟ اذكر أدلة تدل على ذلك .

ج : نعم ، الأمر على ذلك ، أما الأدلة التي تدل على ذلك فمنها :

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا ، ونحو من حديث أبي موسى مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد ومسلم من حديث أبي أمامة مرفوعًا .

(٣) يعني : نهر دجلة .

(٤) ديوان أي : شيطان .

والأثر عند ابن أبي حاتم (١٥٦٢) .

● قول الله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] .

● وقول الله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [التغابن : ١١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .

❋ ❋ ❋

س : كان النصر يوم أحد في أول النهار للمؤمنين ، وضح ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ؟

ج : أما الأدلة من الكتاب فمنها : قوله تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه .. ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

أما من السنة فمنها : ما أخرجه البخاري[١] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لقينا المشركين يومئذٍ ، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله وقال : لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا ، فلما لقيناه هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ، فقال عبد الله[٢]: عهد إلَيَّ النبيُّ ﷺ أن لا تبرحوا فأبوا ، فلما أبوا صُرف وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلًا ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : « لا تجيبوه » ، فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : « لا تجيبوه » ، فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياءً لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك ، قال أبو سفيان :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه .

(٢) هو : ابن جبير .

اعل هبل ، فقال النبي ﷺ : « أجيبوه » ، قالوا : ما نقول ، قال : « قولوا الله أعلى وأجل » ، قال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزى لكم ، فقال النبي ﷺ : « أجيبوه » ، قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » ، قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مُثْلَة لم آمر بها ولم تسؤني .

● وأخرج البخاري[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه : أي عباد الله أُخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : أي عباد الله أبي أبي ، قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم ، قال عروة : فمازالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل .

✹ ✹ ✹

س : قد يوجد في الصالحين من تزل قدمه في معصية بل في كبيرة ولا يخدش ذلك في استقامته ما دام من المقلعين المستغفرين، وضح ذلك بأدلته ؟

ج : نعم قد يحدث ذلك ، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير القرون وخير الأمم وخير الناس كان فيهم من سرق ، وفيهم من زنى ، ومنهم من يريد الدنيا ، كما قال الله في كتابه : ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

ولكن التوبة تَجُبُّ ما قبلها ، وقد قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ... والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٥) .

الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

***

س : ما المراد بالعفو في قوله تعالى: ﴿ولقد عفا عنكم﴾ [آل عمران: ١٥٢]؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا الباب :

أحدهما : عفا عنكم أي : غفر ذنوبكم التي ارتكبتموها بمخالفتكم أمر نبيكم ﷺ .

الثاني: عفا عنكم تجاوز عنكم و لم يستأصلكم بل أبقى أكثركم. والله أعلم .

***

س : ما المراد بعصيانهم الأمر في قوله تعالى : ﴿ وتنازعتم في الأمر وعصيتم ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ؟

ج : المراد عصيان الرماة أمر رسول الله ﷺ إذ أمرهم بالثبات في مواقعهم ، فلم يثبتوا فيها . والله أعلم .

***

س : ما هو المحبوب الذي أراه الله لأصحاب نبيه ﷺ ؟

ج : المحبوب هو : الغنيمة التي ظهرت بوادرها ولاحت مطالعها من قتل المشركين وهرب نسائهم في الجبل ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ؟

ج : لأهل العلم قولان هنا :

● منهم من يقول : إن جواب الشرط محذوف دلَّ عليه صدر الآية الكريمة ، والمعنى : حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره أو صرتم فريقين .

● ومنهم من يقول : إن جواب الشرط مذكور ، والمعنى : حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم وعصيتم ، وهذا من باب التقديم والتأخير ، والواو دخلت في ذلك ، ومعناها السقوط ، كما يقال : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٣ - ١٠٤] معناه : ناديناه .

وكقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ المعنى : فتحت ، وكقوله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾ [الأنبياء : ٩٦ - ٩٧] المعنى : اقترب . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الوعد المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : هذا الوعد هو قوله تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ [الحج : ٤٠] وهذا مشروط .

ومنهم من يقول هو قوله تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا ﴾ .

● وبعض العلماء يقول : إن الله عز وجل وعدهم النصر فقال لهم نبيه ﷺ : « إنا لن نزال غالبين ما دمتم في مكانكم هذا »[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) في ثبوت هذه اللفظة في الحديث نظر ، والله أعلم .

س : المعاصي سبب لزوال النعم، اذكر ما يشهد لذلك من قصة أحد ؟

ج : الشاهد لذلك من قصة أحد أن الله عز وجل نصر المؤمنين أول النهار لما كانوا مستمسكين بأمر رسول الله ﷺ وحافظ الرماة فيهم على مواقعهم ، كما أمرهم النبي ﷺ ، فلاحت لهم علامات النصر وبشائره ، ثم لما خالفوا أمر رسول الله ﷺ وتركوا مواقعهم صارت تلك المخالفة سببًا لانهزام المسلمين وقتل جمع عظيم من فضلائهم وكبرائهم وشج رأس نبيهم ﷺ . وزوال الغنيمة وتحولها منهم إلى عدوهم . والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر معاني هذه الكلمات والجُمل :

خَلَتْ - سُنَنٌ - عاقبة - لا تهنوا - الأعلون - يمسسكم قرحٌ - يُمحص - يَمحق - أم حسبتم - انقلبتم على أعقابكم - مؤجلًا - كأين - ربيون - استكانوا - مولاكم - الرُّعب - ما لم ينزل به سلطانًا - مأواهم - مثوى - صدقكم الله وعده - تحسونهم - بإذنه - فشلتم - صرفكم عنهم - ليبتليكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
خَلَتْ سننٌ	مضت - تقدمت . أمثال وسيَر - والمراد - والله أعلم - سنة الله في الأمم الماضية مما حل بهم من نقم الله عز وجل ، والسنة أيضًا تطلق على

	الطريقة والعادة والشأن .
عاقبة	العاقبة آخر الأمر .
لا تهنوا	لا تضعفوا – لا تجبنوا .
الأعلون	الغالبون .
يمسسكم	يُصبكم .
قرح	قتل وجراح .
يمحص	التمحيص : الاختبار – الابتلاء – التنقية – التخليص .
يمحق الكافرين	يهلكهم – ينقص عددهم – يذهب دعوتهم – يحبط عملهم .
أم حسبتم	لا تحسبوا .
انقلبتم على أعقابكم	ارتددتم عن دينكم .
مؤجلًا	مؤقتًا .
كأين	كم ، وهي مكونة من كاف التشبيه وأيَّ الاستفهامية والتنوين ودخلت الكاف على أي كما دخلت على ذا من قولنا كذا ، ودخلت على أن في كأن ، وكم هنا للتكثير كقوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ﴾ [الطلاق : ٨] ، وكقوله تعالى : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها ... ﴾ [الحج : ٤٥] .
ربيون	ألوف– جموع كثيرة – علماء – ربانيون –

	علماء صبر بررة أتقياء – علماء فقهاء .
استكانوا	استذلوا – خضعوا .
مولاكم	متولي نصركم وحفظكم ومسددكم .
الرعب	الجزع والهلع والخوف .
ما لم ينزل به سلطانًا	ما لم يجعل له به حجة .
مأواهم	مسكنهم .
مثوى	مقام (المكان الذي يقام فيه) .
صدقكم الله وعده	حقق لكم ما وعدكم به .
تحسونهم	تقتلونهم (والحس : القتل) – تستأصلونهم .
بإذنه	بأمره – بتسليط الله لكم عليهم .
فشلتم	جبنتم – (الفشل الجبن) – تخاذلتم .
صرفكم عنهم	ردكم عن المشركين .
ليبتليكم	ليختبركم .

❋ ❋ ❋

۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ
فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً
نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ
بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ
ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟
مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ
حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾
وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ
مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ
وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ
ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ
كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ
عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ
عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى
ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ
هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ
فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ
لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

س : (إذ) في قوله تعالى : ﴿ إذ تُصعدون ﴾ [آل عمران : ١٥٣] متعلق بماذا ؟

ج : متعلق بقوله تعالى : ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ، فالمعنى ولقد عفا عنكم إذ تصعدون ، وذلك لأن الفرار كبيرة ، فعفا الله سبحانه وتعالى لهم عنها . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ والرسول يدعوكم في أُخراكم ﴾ [آل عمران : ١٥٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – والرسول يدعوكم من ورائكم .

وقد قال البراء بن عازب رضي الله عنهما : جعل النبي ﷺ على الرَّجالة يوم أحد عبد الله بن جبير وأقبلوا منهزمين فذاك (إذ يدعوهم الرسول في أُخراهم)[1] .

❋ ❋ ❋

س : العقوبة قد يطلق عليها ثواب. اذكر مثالين لذلك ووضح معنى الثواب؟

ج : أما المثال الأول فهو قوله تعالى : ﴿ فأثابكم غمًّا بغمٍّ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .

والمثال الثاني قوله تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ... ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وأصل معنى الثواب الرجوع ، ومنه قولهم : ثاب إليه عقله أي : رجع إليه عقله ، وقولهم : ثاب إلى رشده ، وقوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، ولذلك أطلق على الثيب ثيبًا لرجوعها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٧) .

إلى بيت أبيها ، أو لأن الواطىء عائد إليها .

* * *

س : ما هو المراد بالباء في قوله تعالى : ﴿بغم﴾ [آل عمران : ١٥٣] ؟

ج : لأهل العلم فيها ثلاثة أقوال وهي : مع أي : مع غم ، والثاني : بعد أي : بعد غم ، والثالث : على أي : على غم ، كما قال تعالى : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ [طه : ٧١] أي : على جذوع النخل .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فأثابكم غمًّا بغمٍّ لكيلا تحزنوا ﴾ [آل عمران : ١٥٣] كيف أثابهم غمًّا بغم لكيلا يحزنوا ؟ فالمعهود أن الغم يُحزن والغم الآخر يحزن أكثر ؟

ج : هذه الآية الكريمة فيها معنى لطيف قد يغفل عنه البعض ألا وهو أن الشخص قد يبتلى بمصيبة فيحزن فيبتلى بمصيبة أعظم فيحزن حزنًا شديدًا ، فإذا كشف الله عز وجل المصيبة العظمى انكشفت معها المصيبة الأولى ، فيكون كشف المصيبة الأعظم فضل من الله عز وجل إذ أنسى الشخص المصيبة الأولى ، وهذا الذي حدث في أُحد ، فابتلي المسلمون بمصيبة تمثلت في فوات الغنيمة منهم وفي قتل عددٍ من خيارهم وفي شج رأس نبيهم ﷺ ، فكان هذا غمٌّ اغتم له المسلمون وحزنوا بسببه ، ثم بعد ذلك دبت في الناس مقولةٌ ألا وهي : (إن محمدًا قد قتل) فاغتم المسنلمون لذلك غمًّا شديدًا جدًّا أنساهم الغم الأول ، ثم لما كشف الله الغم الثاني وتبين للناس أن النبي ﷺ حيٌّ لم يقتل ذهب الغمان معًا الغم الأول والغم الثاني ، فذهب الحزن وذهب معه الندم على فوات الغنيمة ، والحمد لله رب العالمين .

ومثال آخر يوضح هذا نضربه ونسوقه حتى يزداد معنى الآية وضوحًا ،

قد يكون رجلٌ في عمله مثلًا فيفاجأ بقائلٍ يقول له : إن بيتك قد احترق فيغتم لذلك ويحزن ، ثم ما يلبث فترة حتى يأتيه قائل آخر فيقول له : إن أولادك وزوجتك وأموالك قد احترقوا جميعًا في البيت ، فيحزن لذلك حزنًا شديدًا ما بعده حزن ، ثم ما يلبث أن يأتيه آتٍ فيقول له : الحمد لله لم يُصب أي ولدٍ من أولادك بسوء ولم تصب زوجتك بمكروه ولم تصب الأموال بشيء ، فحينئذ يذهب الغمان جميعًا ويحمد الرجل ربَّه عز وجل .

هذا وقد قال بعض العلماء أقوالًا أخر مرجوحة في تفسير هذه الآية الكريمة، فمنهم من قال : إن قوله تعالى : ﴿ فأثابكم غمًّا بغمٍّ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] معناه : أثابكم غمًّا بسبب الغم الذي سببتموه لنبيكم ﷺ بمخالفتكم أمره[1]، ولكن هذا المعنى لا يستقيم مع قوله تعالى : ﴿ لكيلا تحزنوا ... ﴾ [آل عمران : ١٥٣] والصواب من القول هو ما قدمناه ، والله أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ [آل عمران : ١٥٤] وما المراد بظن الجاهلية ؟

ج : معنى ذلك – والله أعلم – أن أهل النفاق يظنون بالله عز وجل غير الحق ، كما يظن أهل الجاهلية في الله عز وجل .

أما ظن أهل الجاهلية في الله عز وجل فله صور منها :

- أنهم ظنوا أن الله عز وجل لن ينصر دينه ، ولن يعلي كلمته ، وأن الإسلام سينتهي ويزول ويُباد أهله .
- وظنوا أيضًا أن لن ينقلب[2] الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا .

---

(١) وذلك لأن النبي ﷺ أمر الرماة أن لا يتحركوا من أماكنهم فخالفوا أمره ونزلوا للمشاركة في الغنيمة ....

(٢) ينقلب أي : يرجع .

• وكذبوا أيضًا بقدر الله عز وجل فقالوا : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

• وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى (في كتابه زاد المعاد ٣/٢٢٩) صورًا من الظن السيىء بالله عز وجل منها : أنه قال :

• فمن ظن بأن الله لا ينصر رسوله ولا يُتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويُعليهم ويُظفرهم بأعدائه ويُظهرهم عليهم ، وأنه لا ينصر دينه وكتابه ، وأنه يُديل الشرك على التوحيد ، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا ، فقد ظن بالله ظن السوء ، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته ، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك ، وتأبى أن يذلَّ حزبه وجنده ، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به ، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله .

وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته .

وكذلك من أنكر أن يكون قدَّر ما قدَّره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها ، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغايةٍ مطلوبة هي أحب إليه من فوتها ، وأن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يحب ، وإن كانت مكروهة له فما قدَّرها سدًى ولا أنشأها عبثًا ولا خلقها باطلًا ﴿ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ [ص : ٢٧] .

وقال أيضًا : فمن قَنَطَ من رحمته وآيس من روحه فقد ظن به ظن السوء .

● ومن جوَّز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه[1] فقد ظن به ظن السوء .

● ومن ظن أنه يترك خلقه سدًى معطلين عن الأمر والنهي ولا يُرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتابه بل يتركهم هملًا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء .

● ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله ، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء .

---

(١) قال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾ [القلم : ٣٥ - ٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ [ص : ٢٨] .

وقال سبحانه : ﴿ أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون ﴾ [السجدة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [الرعد : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقال سبحانه : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولواْ الألباب ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال سبحانه : ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخطٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [آل عمران : ١٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ [القصص : ٦١] .

• ومن ظن أنه يُضَيِّعُ عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبطله عليه بلا سبب من العبد ، أو أنه يعاقبه بما لا صنع فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة في حصوله ، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به ، أو ظن به أنه يجوِّز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله ويجريها على أيديهم يضلُّون بها عباده ، وأنه يحسُن منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم أسفل السافلين ويُنعم على من استنفذ عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه ، فيرفعه إلى أعلى عليين ، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء ، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق ، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن السوء .

ثم قال : وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله أو عطَّل حقائق ما وصف به نفسه ووصفته به رسله فقد ظن به ظن السوء .

إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى وعفا عنه .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه : ﴿ يخفون في أنفسهم ما لا يُبدون لك ﴾ [آل عمران : ١٥٣] ما هو الذي أخفوه في أنفسهم فلم يبدوه لرسول الله ﷺ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ - هو قولهم : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

٢ - الذي أخفوه هو الإسرار على الكفر ، وشكهم في أمر النبي ﷺ ورسالته .

٣ - تكذيبهم بقدر الله عز وجل وقولهم: لو كنا في بيوتنا ما قُتلنا .

٤ – الندم على حضور المعركة .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأمر في قول أهل النفاق : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالأمر هنا المشورة فالمعنى على ذلك أنهم قالوا : هل لنا من الأمر من شيء ، فلو كان الأمر بأيدينا ما خرجنا للقتال حيث نقتل ها هنا ، ولو استشرنا لم نُشر بالخروج إلى حيث نقتل ، فأجابهم الله عز وجل بقوله : ﴿ إن الأمر كله لله ﴾ [آل عمران : ١٥٤] أي : يقدر ما يشاء ويفعل ما يريد ، ولو كنتم في بيوتكم لخرج الذين كُتب عليهم القتل إلى حيث يقتلوا .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالأمر أمر النصر والظفر .

● ومنهم من قال : إنه القدر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر رجلًا من القائلين : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ؟ ومناسبة ذلك ؟

ج : القائل هذا هو معتب بن قشير فقد قال الزبير رضي الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجلٍ إلا ذقنه في صدره قال : فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ، فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾، لقول معتب[1] .

---

(١) ذكره محمد بن إسحاق قال حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير ...فذكره .

وأخرجه الطبري في التفسير (٨٠٩٤) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١٦٩٧) ، وإسناده صحيح .

س : من هي الطائفة التي غشيها النعاس يوم أحد والطائفة التي لم يغشها ؟

ج : الطائفة التي غشيها النعاس يوم أحد هي الطائفة المؤمنة أهل اليقين والإيمان والتوكل الصادق الذين خرجوا للقتال مع رسول الله ﷺ طلبًا للأجر من الله عز وجل وطلبًا لإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة في سبيل الله عز وجل ، وكان منهم أبو طلحة رضي الله عنه فقد قال رضي الله عنه : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أُحد قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط ويأخذه[1] .

وكان منهم الزبير رضي الله عنه[2] .

● أما الطائفة التي لم يغشها النعاس فهم أهل النفاق الذين خرجوا وهم في شك من أمرهم طمعًا في الغنيمة ورغبةً في الدنيا ، فلما لم ينالوها جعلوا يتأسفون على الخروج ويندمون عليه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بين معنى قوله تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] **، واذكر بعض فوائد النعاس في موطن كأحد ؟**

ج : المعنى – والله أعلم – أن الشخص قد يكون مهمومًا همومًا شديدة تراكمت عليه من كل اتجاه وصوب وحدبٍ ففجأة يصيبه الله بشيء من النعاس ولو قليل فيفيق منه وقد ذهبت كل همومه وأحزانه وكأنه لم يكن به شيء .

وهكذا كان المسلمون يوم بدرٍ وأحد ففي يوم بدرٍ راعهم كثرة عدد

---

(١) أخرجه البخاري رحمه الله (٤٥٦٢) .

(٢) وسيأتي الحديث عنه بذلك قريبًا إن شاء الله .

عدوهم وعُدَدِه فأنزل الله عليهم النعاس ، كما قال سبحانه : ﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

ويوم أحد كذلك أصيبوا بشيء من هذا القلق والخوف فأنزل الله عز وجل عليهم بعد الغمة أمنة نعاسًا أي : نعاسًا جعله الله تبارك وتعالى أمانًا وسكينة .

● أما فوائد النعاس في موطن كأحدٍ فقد ذكر الرازي[١] رحمه الله بعضها فقال : واعلم أن ذلك النعاس فيه فوائد (أحدها: أنه وقع على كافة المؤمنين لا على الحد المعتاد) ، فكان ذلك معجزة ظاهرة للنبي ﷺ ، ولا شك أن المؤمنين متى شاهدوا تلك المعجزة الجديدة ازدادوا إيمانًا مع إيمانهم ، ومتى صاروا كذلك ازداد جدهم في محاربة العدو ووثوقهم بأن الله تعالى منجز وعده .

وثانيها : أن الأرق والسهر يوجبان الضعف والكلال ، والنوم يفيد عود القوة والنشاط واشتداد القوة والقدرة .

وثالثها : أن الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين ألقى الله النوم على عين من بقي منهم لئلا يشاهدوا قتل أعزتهم فيشتد الخوف والجبن في قلوبهم .

ورابعها : أن الأعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم ، فبقاؤهم في النوم مع السلامة في مثل تلك المعركة من أدل الدلائل على أن حفظ الله وعصمته معهم ، وذلك مما يزيل الخوف عن قلوبهم ويورثهم مزيد الوثوق بوعد الله . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) لا يخفي علينا بفضل الله – ما في تفسير الرازي من أخطاء وزلات وهفوات بل وبلايا وضلالات ، لكن نأخذ من تفسيره ما نرى أنه أجاد فيه ، وبالله التوفيق .

س : اذكر بعض الحِكَم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد .

ج : أفرد ابن القيم رحمه الله تعالى بحثًا لهذه الحكم والغايات في كتابه زاد المعاد (٣/٢١٨) ، فقال : وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ [آل عمران : ١٢١] إلى تمام ستين آية .

فمنها : تعريفهم سوء عاقبة المعصية ، والفشل ، والتنازع ، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك ، كما قال تعالى ﴿ ولقد صدقكُم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدِ ما أراكم مَا تُحبونَ منكُم مَّن يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ، وتنازعهم ، وفشلهم ، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة ، وتحرزًا من أسباب الخذلان .

ومنها : أن حكمة الله وسنته في رسله ، وأتباعهم ، جرت بأن يدالوا مرة ، ويدال عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائمًا ، دخل معهم المؤمنون وغيرهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انتصرَ عليهم دائمًا ، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة .

ومنها : أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان : هل قاتلتموه؟ قال : نعم . قال : كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال : سجال، يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى . قال : كذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧) ، وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (حديث ١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه .

ومنها : أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر ، وطار لهم الصيت ، دخل معهم في الإسلام ظاهرًا مَنْ ليس معهم فيه باطنًا ، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق ، فأطلع المنافقون رءوسهم في هذه الغزوة ، وتكلموا بما كانوا يكتمونه ، وظهرت مخبآتهم ، وعاد تلويحهم تصريحًا ، وانقسم الناس إلى كافر ، ومؤمن ، ومنافق ، انقسامًا ظاهرًا ، وعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا في نفس دورهم ، وهم معهم لا يفارقونهم ، فاستعدوا لهم ، وتحرزوا منهم . قال الله تعالى : ﴿ مَا كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ [آل عمران : ١٧٩] أي : ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباسِ المؤمنين بالمنافقين ، حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق ، كما ميزهم بالمحنة يوم أحد ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء ، فإنهم متميزون في غيبه وعلمه ، وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزًا مشهودًا ، فيقع معلومهُ الذي هو غيب شهادة . وقوله : ﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ ، استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب، سوى الرسل، فإنه يطلعهم على ما يشاء من غيبه، كما قال : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا منِ ارتضى من رسول ﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٧] فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله ، فإن آمنتم به وأيقنتم ، فلكم أعظم الأجر والكرامة .

ومنها : استخراج عبوديةِ أوليائه وحزبه في السراء والضراء ، وفيما يحبون وما يكرهون ، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم ، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون ، فهم عبيده حقًّا ، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية .

ومنها : أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا ، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن ،

وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدًا ، لطغت نفوسهم ، وشمخت وارتفعت ، فلو بسط لهم النصر والظفر ، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق ، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والقبض والبسط ، فهو المدبر لأمر عباده كما يليقُ بحكمته ، إنه بهم خبير بصير .

ومنها : أنه إذا امتحنهم بالغلبة ، والكسرة ، والهزيمة ، ذلوا وانكسروا ، وخضعوا ، فاستوجبوا منه العز والنصر ، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار ، قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ [آل عمران : ١٢٣] وقال : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا ﴾ [التوبة : ٢٥] فهو - سبحانه - إذا أراد أن يعز عبده ، ويجبره ، وينصره ، كسره أولًا ، ويكون جبره له ، ونصره ، على مقدار ذله وانكساره .

ومنها : أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته ، لم تبلغها أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه ، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها .

ومنها : أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة ، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة ، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته ، قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه ، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه ، ولو تركه ، لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه .

ومنها : أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه ، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده ، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة ، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء ، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته ، ويُؤْثرون رضاه ومحابه على نفوسهم ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو .

ومنها : أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم ، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم ، وطغيانهم ، ومبالغتهم في أذى أوليائه ، ومحاربتهم ، وقتالهم والتسلط عليهم ، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم ، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم . وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣٩ ، ١٤١] ، فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم ، وإحياء عزائمهم وهممهم ، وبين حسن التسلية ، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] فقد استويتم في القرح والألم ، وتباينتم في الرجاء والثواب . كما قال : ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ [النساء : ١٠٤] ، فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم ، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان ، وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي .

ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس ، وأنها عرض حاضر ، يقسمها دولًا بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة ، فإن عزها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا .

ثم ذكر حكمة أخرى ، وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين ، فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه ، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ، وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهدًا واقعًا في الحس .

ثم ذكر حكمة أخرى ، وهي اتخاذه سبحانه منهم شهداء ، فإنه يحب الشهداء من عباده ، وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها ، وقد اتخذهم لنفسه فلا بد أن ينيلهم درجة الشهادة . وقوله : ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، تنبيه لطيف الموقع جدًّا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد ، فلم يشهدوه ، ولم يتخذ منهم شهداء ، لأنه لم يحبهم ، فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم ، وما أعطاه من استشهد منهم ، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءه وحزبه .

ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم ، وهو تمحيص الذين آمنوا ، وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ، ومن آفات النفوس ، وأيضًا فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين ، فتميزوا منهم ، فحصل لهم تمحيصان : تمحيص من نفوسهم وتمحيص ممن كان يظهر أنه منهم ، وهو عدوهم .

ثم ذكر حكمة أخرى ، وهي محق الكافرين بطغيانهم ، وبغيهم ، وعدوانهم ، ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم أن يدخلوا الجنة بدون الجهاد في سبيله ، والصبر على أذى أعدائه ، وإن هذا ممتنع بحيث ينكر على من ظنه وحسبه . فقال : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، أي : ولما يقع ذلك منكم ، فيعلمه فإنه لو وقع لعلمه ، فجازاكم عليه بالجنة ، فيكون الجزاء على الواقع المعلوم ، لا على مجرد العلم ، فإن الله لا يجزي العبد على مجرد

علمه فيه دون أن يقع معلومه ، ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقاءه . فقال :﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ [آل عمران : ١٤٣] .

قال ابن عباس : ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة ، رغبوا في الشهادة ، فتمنوا قتالًا يستشهدون فيه ، فيلحقون إخوانهم ، فأراهم الله ذلك يوم أحد ، وسببه لهم ، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ .

ومنها : أن وقعة أحدٍ كانت مقدمة وإرهاصًا بين يدي موتِ رسول الله ﷺ ، فثبَّتهم ، ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ ، أو قتل بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه ، أو يقتلوا فإنهم إنما يعبدون رب محمد ، وهو حي لا يموت ، فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به ، فكل نفس ذائقة الموت وما بعث محمد ﷺ ليخلد لا هو ولا هم ، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد ، فإن الموت لا بد منه سواء مات رسول الله ﷺ أو بقي ، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان : إن محمدًا قد قتل ، فقال : ﴿ ومَا محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤]، والشاكرون : هم الذين عرفوا قدر النعمة ، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا، فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله ﷺ، وارتد من ارتدَّ على عقبيه، وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله وأعزهم وظفَّرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم، ثم أخبر سبحانه أنه جعل لكل نفس أجلًا لا بد أن تستوفيه، ثم

تلحق به ، فَيَرِدُ الناسُ كلهم حوض المنايا موردًا واحدًا ، وإن تنوعت أسبابه ، ويصدرون عن موقف القيامة مصادر شتى ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ثم أخبر سبحانه أن جماعة كثيرة من أنبيائه قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون ، فما وهن من بقي منهم لما أصابهم في سبيله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، وما وهنوا عند القتل ، ولا ضعفوا ، ولا استكانوا ، بل تلقوا الشهادة بالقوة ، والعزيمة ، والإقدام ، فلم يُستشهدوا مدبرين مستكينين أذلة ، بل استشهدوا أعزة كرامًا مقبلين غير مدبرين ، والصحيح : أن الآية تتناول الفريقين كليهما .

ثم أخبر سبحانه عما استنصرت به الأنبياء وأممهم على قومهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم وسؤالهم ربهم ، أن يثبت أقدامهم ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، فقال : ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٤٧ ، ١٤٨] . لما علم القوم أن العدو إنما يدال عليهم بذنوبهم ، وأن الشيطان إنما يستزلهم ويهزمهم بها ، وأنها نوعان : تقصير في حق أو تجاوز لحد ، وأن النصرة منوطة بالطاعة ، قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، ثم علموا أن ربهم تبارك وتعالى إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم ، لم يقدروا هم على تثبيت أقدام أنفسهم ، ونصرها على أعدائهم ، فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم ، وأنه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا و لم ينتصروا ، فوفوا المقامين حقهما : مقام المقتضي ، وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه . ومقام إزالة المانع من النصرة ، وهو الذنوب والإسراف ، ثم حذرهم سبحانه من طاعة عدوهم ، وأخبر أنهم إن أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة ، وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفروا يوم أحد .

ثم أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين ، وهو خير الناصرين فمن والاه فهو المنصور .

ثم أخبرهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهجوم عليهم ، والإقدام على حربهم ، وأنه يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم ، وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله ، وعلى قدر الشرك يكون الرعب ، فالمشرك بالله أشد شيء خوفًا ورعبًا ، والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح ، والمشرك له الخوف والضلال والشقاءُ .

ثم أخبرهم أنه صدَقهم وعده في نصرتهم على عدوهم ، وهو الصادق الوعد ، وأنهم لو استمروا على الطاعة ولزوم أمر الرسول لاستمرت نصرتهم ، ولكن انخلعوا عن الطاعة وفارقوا مركزهم ، فانخلعوا عن عصمة الطاعة ففارقتهم النصرة ، فصرفهم عن عدوهم عقوبة وابتلاء ، وتعريفًا لهم بسوء عواقب المعصية ، وحسن عاقبة الطاعة .

ثم أخبر أنه عفا عنهم بعد ذلك كله ، وأنه ذو فضل على عباده المؤمنين قيل للحسن : كيف يعفو عنهم ، وقد سلط عليهم أعداءهم حتى قتلوا منهم من قتلوا ، ومثلوا بهم ، ونالوا منهم ما نالوه ؟ فقال : لولا عفوه عنهم ، لاستأصلهم ، ولكن بعفوه عنهم دفع عنهم عدوهم بعد أن كانوا مجمعين على استئصالهم ، ثم ذكَّرهم بحالهم وقت الفرار مصعدين ، أي : جادين في الهرب والذهاب في الأرض ، أو صاعدين في الجبل لا يلوونَ على أحدٍ من نبيهم ولا أصحابهم ، والرسول يدعوهم في أخراجهم : « إليَّ عباد الله ، أنا رسول الله » فأثابهم بهذا الهرب والفرار ، غمًّا بعد غم : غم الهزيمة والكسرة ، وغم صرخة الشيطان فيهم بأن محمدًا قد قتل .

وقيل: جازاكم غمًّا بما غممتم رسوله بفراركم عنه ، وأسلمتموه إلى عدوه ،

فالغم الذي حصل لكم جزاء على الغم الذي أوقعتموه بنبيه ، والقول الأول أظهر لوجوه :

أحدها : أن قوله : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾[آل عمران : ١٥٣] ، تنبيه على حكمة هذا الغم بعد الغم ، وهو أن ينسيهم الحزن على ما فاتهم من الظفر ، وعلى ما أصابهم من الهزيمة والجراح ، فنسوا بذلك السبب ، وهذا إنما يحصل بالغم الذي يعقبه غم آخر .

الثاني : أنه مطابق للواقع ، فإنه حصل لهم غمُّ فوات الغنيمة ، ثم أعقبه غم الهزيمة ، ثم غم الجراح التي أصابتهم ، ثم غم القتل ، ثم غم سماعهم أن رسول الله ﷺ قد قتل ، ثم غم ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم ، وليس المراد غمين اثنين خاصة ، بل غمًّا متتابعًا لتمام الابتلاء والامتحان .

الثالث : أن قوله : ﴿ بغم ﴾ من تمام الثواب ، لا أنه سبب جزاء الثواب والمعنى : أثابكم غمًّا متصلًا بغم ، جزاء على ما وقع منهم من الهروب وإسلامهم نبيهم ﷺ وأصحابه ، وترك استجابتهم له وهو يدعوهم ، ومخالفتهم له في لزوم مركزهم ، وتنازعهم في الأمر ، وفشلهم ، وكل واحد من هذه الأمور يوجب غمًّا يخصه ، فترادفت عليهم الغموم كما ترادفت منهم أسبابها وموجباتها ، ولولا أن تداركهم بعفوه ، لكان أمرًا آخر .

ومن لطفه بهم ، ورأفته ، ورحمته ، أن هذه الأمور التي صدرت منهم كانت من موجبات الطباع ، وهي من بقايا النفوس التي تمنع من النصرة المستقرة ، فقيض لهم بلطفه أسبابًا أخرجها من القوة إلى الفعل ، فترتب عليها آثارها المكروهة ، فعلموا حينئذ أن التوبة منها والاحتراز من أمثالها ودفعها بأضدادها أمر متعين ، لا يتم لهم الفلاح والنصرة الدائمة المستقرة إلا به ، فكانوا أشد حذرًا بعدها ، ومعرفة بالأبواب التي دخل عليهم منها .

وربما صحت الأجسام بالعلل .

ثم إنه تداركهم سبحانه برحمته ، وخفف عنهم ذلك الغم ، وغيبه عنهم بالنعاس الذي أنزله عليهم أمنًا منه ورحمة ، والنعاس في الحرب علامة النصرة والأمن ، كما أنزله عليهم يوم بدر ، وأخبر أن من لم يصبه ذلك النعاس ، فهو ممن أهمته نفسه لا دينه ولا نبيه ولا أصحابه ، وأنهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .

ثم قال رحمه الله :

ثم أخبر سبحانه عن حكمة أخرى في هذا التقدير ، وهي ابتلاء ما في صدورهم ، وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق ، فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيمانًا وتسليمًا ، والمنافق ومن في قلبه مرض لابد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه .

ثم ذكر حكمة أخرى : وهو تمحيص ما في قلوب المؤمنين ، وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبه ، فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع ، وميل النفوس وحكم العادة ، وتزيين الشيطان ، واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى ، فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ، ولم تتمحص منه ، فاقتضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده ، وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك ، فكانت نعمته سبحانه عليهم بهذه الكسرة والهزيمة ، وقتل من قتل منهم ، تعادل نعمته عليهم بنصرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوهم ، فله عليهم النعمة التامة في هذا وهذا .

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن تولي من تولى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم ، وأنه بسبب كسبهم وذنوبهم ، فاستزلهم الشيطان بتلك الأعمال حتى تولوا ، فكانت أعمالهم جندًا عليهم ، ازداد بها عدوهم قوة ، فإن الأعمال

جند للعبد وجند عليه ولا بد ، فللعبد كل وقت سرية من نفسه تهزمه ، أو تنصره ، فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتله بها ، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه فأعمال العبد تسوقه قسرًا إلى مقتضاها من الخير والشر ، والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعامى ، ففرار الإنسان من عدوه ، وهو يطيقه إنما هو بجند من عمله ، بعثه له الشيطان وأستنزله به .

ثم أخبر سبحانه : أنه عفا عنهم ، لأن الفرار لم يكن عن نفاق ولا شك ، وإنما كان عارضًا ، عفا الله عنه ، فعادت شجاعة الإيمان وثباته إلى مركزها ونصابها ، ثم كرر عليهم سبحانه : أن هذا الذي أصابهم إنما أتوا فيه من قبل أنفسهم ، بسبب أعمالهم ، فقال : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل : هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، وذكر هذا بعينه فيما هو أعمُّ من ذلك في السور المكية فقال ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وقال : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [النساء : ٧٩] ، فالحسنة والسيئة ها هنا : النعمة والمصيبة فالنعمة من الله من بها عليك والمصيبة إنما نشأت من قبل نفسك وعملك ، فالأول فضله ، والثاني عدله ، والعبد يتقلب بين فضله وعدله ، جار عليه فضله ، ماض فيه حكمه ، عدل فيه قضاؤه . وختم الآية الأولى بقوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ بعد قوله : ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ إعلامًا لهم بعموم قدرته وعدله، وأنه عادل قادر ، وفي ذلك إثبات القدر والسبب ، فذكر ، وأضافه إلى نفوسهم، وذكر عموم القدرة وأضافها إلى نفسه ، فالأول ينفي الجبر ، والثاني ينفي القول بإبطال القدر ، فهو يشاكل قوله : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [الإنسان : ٣٠]

وفي ذكر قدرته ها هنا نكتة لطيفة ، وهي أن هذا الأمر بيده وتحت قدرته ، وأنه هو الذي لو شاء لصرفه عنكم ، فلا تطلبوا كشف أمثاله من غيره، ولا تتكلوا على سواه ، وكشف هذا المعنى وأوضحه كل الإيضاح بقوله : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ ، وهو الإذن الكوني القدري ، لا الشرعي الديني ، كقوله في السحر : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، ثم أخبر عن حكمة هذا التقدير ، وهي أن يعلم المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤية يتميز فيه أحد الفريقين من الآخر تمييزًا ظاهرًا ، وكان من حكمة هذا التقدير تكلم المنافقين بما في أنفسهم، فسمعه المؤمنون ، وسمعوا رد الله عليهم وجوابه لهم ، وعرفوا مؤدي النفاق وما يؤول إليه ، وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة ، فيعود عليه بفساد الدنيا والآخرة ، فللّه كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة ، ونعمته على المؤمنين سابغة، وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه ، وتعريف بأسباب الخير والشر ومالهما وعاقبتهما .

ثم عزى نبيه وأولياءه عمن قتل منهم في سبيله أحسن تعزية ، وألطفها وأدعاها إلى الرضى بما قضاه لها ، فقال : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه ، وأنهم عنده ، جريان الرزق المستمر عليهم ، وفرحهم بما آتاهم من فضله ، وهو فوق الرضى ، بل هو كمال الرضى ، واستبشارهم بإخوانهم باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم ، واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته ، ذكرهم سبحانه في أثناء هذه المحنة بما هو من أعظم مننه ونعمته عليهم التي إن قابلوا بها كل محنة تنالهم وبلية ، تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة ، ولم يبق لها أثر البتة ، وهي منته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم

إليهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل إرساله إلى الهدى ، ومن الشقاء إلى الفلاح ، ومن الظلمة إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، فكل بلية ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدًّا في جنب الخير الكثير ، كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير ، فأعلمهم أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا ، وأنها بقضائه وقدره ليوحدوا ويتكلوا ، ولا يخافوا غيره ، وأخبرهم بما لهم فيها من الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره ، وليتعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته ، وسلاهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرًا وأعظم خطرًا مما فاتهم من النصر والغنيمة ، وعزَّاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوهم فيه ، ولا يحزنوا عليهم ، فله الحمد كما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز جلاله .

***

س : ما هما الجمعان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ﴾ [آل عمران : ١٥٥] ؟

ج : الجمعان هما جمع المؤمنين وجمع المشركين .

***

س : اذكر صحابيًّا جليلًا فر يوم أحد وعفا الله عز جل عنه ؟

ج : هذا الصحابي الجليل هو الخليفة البار الراشد عثمان بن عفان[1] . رضي الله تعالى عنه الحيي الكريم الذي كانت تستحي منه الملائكة والذي أنفق جل أمواله في سبيل الله عز وجل .

---

(١) وقد جاء ذلك في صحيح البخاري (٣٦٩٨) ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما مدافعًا عنه : (أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له).
قلت : وقد قال تعالى : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ [آل عمران : ١٥٥] .

س : قال بعض أهل العلم إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها اذكر دليلًا على هذا ؟

ج : الدليل هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾ [آل عمران : ١٥٥].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى استزلهم ؟ ، وكيف استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ؟

ج : استزلهم أي أوقعهم (أو طلب وقوعهم) في الزلة وهي الخطيئة ، وقد ذكر بعض العلماء في ذلك أقوالًا ، منها أن القوم (الذين فروا) كانوا قد ارتكبوا أخطاء فيما سلف (إما قبل القتال ، وإما في أثنائه بتركهم مواقعهم ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ) فخشوا أن يواجهوا العدو وهم على هذه الحال من الذنوب فدفعهم ذلك إلى الفرار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الإيمان بالقدر يورث طمأنينة في القلب ، والاعتراض على القدر يورث حسرة في القلب ، وضح ذلك .

ج : أما ذلك فهو واضح ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ [التغابن : ١١] ، فالمؤمن دائمًا راض بأقدار الله عز وجل عليه حامدًا لله عز وجل في السراء والضراء .

أما الكافر فلكونه غير راض بأقدار الله فالحسرة دائمًا مقذوفة في قلبه ، كما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزًى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله

ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ [آل عمران : ١٥٦] فنهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن التشبه بالكافرين في مقالتهم عن إخوانهم الذين ماتوا وقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فإن الله عز وجل جعل ذلك الندم وهذا القول حسرة في قلوب الكافرين . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالذين كفروا في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض .. ﴾ [آل عمران : ١٥٦] ومن المراد بإخوانهم ؟

ج : أما الذين كفروا فيقول فريق من العلماء : إنهم المنافقون فهم الذين كانوا يثبطون المؤمنين ، كما قال سبحانه : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ١٨] ، وفريق من العلماء يرى أن الآية عامة في كل كافر جاحد ومنافق . والله أعلم .

أما المراد بإخوانهم فلها وجوه منها : إخوانهم الذين أسلموا ، ومنها : إخوانهم في النسب الذين خرجوا للجهاد ، ومنها : إخوانهم في الكفر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الإيمان والجهاد في سبيل الله والثبات عليهما حتى الموت أو القتل خير من متاع الدنيا الفاني وضح ذلك بأدلته ؟

ج : أما الأدلة على ذلك فكثيرة ، منها :

- قول الله تعالى : ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾ [آل عمران : ١٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [يونس : ٥٨] .

● وقال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١١١] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

* * *

س : ما معنى (ما) في قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا صلة زائدة كما في قوله تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ [المائدة : ١٣] فمعناها : فبنقضهم ميثاقهم ، وكقوله تعالى : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] فالمعنى : فمن خطيئاتهم ، وكقوله تعالى : ﴿ جندٌ ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ [ص : ١١] فالمعنى : جندٌ هنالك ، وكقوله تعالى : ﴿ عما قليل ليصبحن نادمين ﴾ [المؤمنون : ٤٠] فالمعنى : عن قليلٍ فهي زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ [يوسف : ٩٦] فالمعنى : فلما جاء البشير .

● ومن أهل العلم من يرى أنها استفهام للتعجب ، والمعنى فبأي رحمة من الله لنت لهم مع أن المعصية التي فعلوها (بفرارهم عنك يوم أحد) كانت كبيرة وأصبت من ورائها بما أُصبت به ومع ذلك ليَّن الله عز وجل قلبك

لهم ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - فبرحمة الله عز وجل عليك وعلى أصحابك ورأفته بك وبهم جعلك الله لينًا سهلًا لأصحابك فأصبحت تتحمل أذاهم وتعفو عنهم إذ قصروا في حقك وتتغاضى عن ذي الجرم منهم إذ أجرم في حقك ، كل هذا من فضل الله عليك وعليهم إذ سهل لهم أخلاقك وحسنها لك ولهم .

* * *

س : صفة رسول الله ﷺ في التوراة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، اذكر ما يدل على ذلك ؟

ج : ورد في صحيح البخاري[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سَخَّاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله عز وجل حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا .

* * *

س : الداعي إلى الله عز وجل عليه أن يتحلى بالخلق الحسن كاللين

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٨) .

والرفق بمن يدعوهم إلى الله عز وجل وبمن اتبعوه ، وضح ذلك وبين هل يطرد ذلك في جميع الأحوال ؟

ج : نعم ، على الداعي إلى الله عز وجل أن يتحلى بمكارم الأخلاق التي منها اللين وخفض الجناح ، كما قال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٢١٥] ، وكما قال الله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، وكما قال الله عز وجل عن رسوله ﷺ : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [براءة : ١٢٨] ، وكما قال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغىٰ فقولا له قولًا لينًا ﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وقولوا للناس حُسنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] ، وكما قال النبي ﷺ : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه »[1] إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب .

● ولكن هذا اللين لا يطرد في كل الأحوال فإذا احتاج المقام إلى شدة اشتد الشخص ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [النور : ٢] وكما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● فإذا لم يُفضِ اللين والرفق إلى إهمال أو إضاعة حدٍّ من حدود الله فالرفق محمود .

● وإذا طُمع من وراء الشدة - في بعض الأحيان - في نفع اشتد الشخص على أن تكون نيته خالصة لله وعمله خالصًا لله عز وجل .

● وإذا كان المقام مقام تعاملٍ مع أهل النفاق ورجى الشدة في التعامل

---

(١) صحيح وقد تقدم وقد أخرجه مسلم .

معهم فإن الله سبحانه قال : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] .

ومن أراد الله عز وجل به خيرًا فقهه في الدين وبيَّن له المواطن التي ينبغي أن يُلين فيها فيُلين والمواطن التي ينبغي أن يشتد فيها فيشتد[1]، والله تعالى أعلم .

***

س : لماذا أمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه مع أن الله عز وجل قادر على أن يُريه وجوه الحق والصواب في الأمور التي يستشير فيها أصحابه ؟

ج : من أهل العلم من قال : إنه عليه السلام أُمر بمشاورة أصحابه تطييبًا لقلوبهم وجبرًا لخاطرهم وتأليفًا لهم .

● ومنهم من قال : إن النبي ﷺ أُمِرَ بذلك ليسنَّ لأمته سنة المشاورة في الأمور .

● ويظهر لي وجه ثالث ألا وهو أنه عليه السلام أُمر بالاستشارة ليصل بإذن الله - ثم باستشارتهم - إلى أوفق الآراء وأسد الآراء كما ورد عن رسول الله ﷺ في حروبه .

● وثمَّ وجه آخر ألا وهو أنهم إذا استشيروا في أمرٍ فأشاروا برأيٍ فيه ثم أصابهم من ورائه شيء كانوا أرضى بقدر الله عز وجل عليهم منهم إذا لم يستشاروا .

● ووجه آخر أنهم لما زلت أقدامهم وفروا من حول رسول الله ﷺ ربما يتسرب إليهم اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل لعظم الذنب الذي ارتكبوه من الفرار ، فالأمر بمشاورتهم بعد العفو عنهم والاستغفار لهم يرد

---

(١) وانظر كتابنا مفاتيح الفقه في الدين .

إليهم - بإذن الله - ما يتقووا به على الشيطان وما يتقربون به إلى الرحمن عز وجل ويفتح لهم أبواب الخير وأعمال البر والطاعات .

وهذا قد يستفيد منه الدعاة إلى الله عز وجل ، فإذا آذاهم شخص واعترف بذنبه معهم عفوا عنه وقربوه أكثر وأكرموه بدرجة أوسع و لم يغلقوا أبواب الخير في وجهه ، وبالله عز وجل التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : هل يُستشار المؤمنون في كل الأمور ؟

ج : لا يستشارون في كل الأمور ، وإنما يستشارون في الأمور التي تهم عامتهم ، لقوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [الشورى : ٣٨] أما الأمور الخاصة فقد يستشار فيها أهل الاختصاص والمعرفة بها فقط ، وثمَّ أمور أخرى لا تحتاج إلى استشارات[١] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض المواطن التي استشار فيها رسول الله ﷺ أصحابه ؟

ج : استشار النبي ﷺ في عدة مواطن :

● استشارته لهم في غزوة بدر[٢] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿ وشاورهم في بعض الأمر ﴾ (التفسير : ١٧٥٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله : والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ... فذكر الحديث .

• واستشارته لهم في أسارى بدر[1] .

• واستشارته لهم في قصة الإفك فاستشار[2] عليًّا وأسامة وبريرة ، واستشار عموم أصحابه في شأن المنافقين الذين طعنوا في عرضه عليه السلام ، وقال لهم : « أشيروا عليَّ في قوم أبنوا أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة : « .. لا تعجلي حتى تستشيري أبويك »[4] .

❋ ❋ ❋

س : وضح باختصار معنى قوله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – فاعف عنهم فيما فرطوا فيه معك وفيما ارتكبوه في حقك من فرارهم عنك في الغزوة ، ونحو ذلك .

واستغفر لهم : في الذنوب التي اقترفوها في حق أنفسهم وحق الله عز وجل .

وشاورهم في الأمر : في الأمر العام الذي يهم عمومهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه : فلما أسروا الأسرى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»... الحديث.

(٢،٣) كلاهما صحيح ، وهما في حديث الإفك وقد تقدم .

(٤) أخرجه مسلم (١٤٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : دخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ .... الحديث =

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – إذا انتهيت إلى رأي بعد استشارة أصحابك فامض في هذا الأمر الذي أراك الله إياه أو أوحاه الله إليك وقذفه في قلبك ولا تتردد ولا يكن اعتمادك وتوكلك إلا على الله عز جل وحده . فلا يكن اعتمادك على مشورتهم وإن عملت بما أشاروا عليك به ، والله أعلم بمراده .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التوكل على الله ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● أن التوكل على الله معناه الاعتماد على الله مع إظهار العجز .

● ومنها : أن لا تعص الله عز وجل من أجل رزقك .

● ومنها : أن لا تطلب لنفسك ناصرًا غير الله ولا لرزقك خازنًا غيره ولا لعملك شاهدًا غيره .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فوائد التوكل على الله ؟

ج : من فوائد التوكل على الله عز وجل ما يلي :

● أن الله عز وجل يكفي المتوكل ويحفظه بحفظه ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] .

● ومنها : أنه سبب لدخول الجنة بغير حساب كما قال رسول الله ﷺ

= وفيه (قصة التخيير) قال النبي ﷺ : « يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك .... » الحديث .

في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »[1] .

● ومنها : أنه سبب للرزق كما قال عليه الصلاة والسلام : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا »[2] .

● ومنها : أنه من تمام الإيمان لقوله تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [المائدة : ٢٣] .

❋ ❋ ❋

س : النصر والتمكين دائمًا من عند الله ولا يكون إلا من عند الله ، اذكر جملة أدلة على ذلك ؟

ج : أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة فمنها :

● قول الله تعالى : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكفى بربك هاديًا ونصيرًا ﴾ [الفرقان : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ [الروم : ٤،٥] .

● وقال تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (١/ ٣٠ - ٥٢) ، وابن ماجة (٤١٦٤) ، والحاكم (٤/ ٣١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وسكت عليه الذهبي كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا وهو صحيح .

لينصبرنه الله ﴾ [الحج : ٦٠] .

● وقال تعالى : ﴿ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ﴾ [الملك : ٢٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [الأنفال : ١٠] .

● وكذلك التمكين من الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾ [الحج:٤١].

وقال تعالى : ﴿ أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء .. ﴾ [القصص : ٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ [النور : ٥٥] .

● وقال تعالى عن ذي القرنين : ﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾ [الكهف : ٨٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه..﴾ [الأحقاف:٢٦].

● وقال تعالى : ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ... ﴾ [القصص : ٥،٦] ، إلى غير ذلك من الآيات .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وما كان لنبي أن يغل ﴾ [آل عمران : ١٦١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – ما كان لنبي أن يأخذ لنفسه شيئًا من الغنيمة

قبل القسمة ، فالغلول ليس من صفات الأنبياء ، ولا يكون نبيًّا من غلَّ .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ومن يغلل يأت بما غلَّ يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ١٦١] ؟

ج : لأهل العلم قولان في ذلك :

الأول : أن من غلَّ يوافى يوم القيامة بوزر ما صنع ويلاقي جزاء ما صنع ، كما قال تعالى : ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴾ [الأنعام : ٣١] .

الثاني : أن من غلَّ (أي سرق شيئًا من الغنيمة) يأتي حاملًا هذا الذي سرقه على ظهره يوم القيامة . والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في ذم الغلول ؟

ج : الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة نذكر منها :

● حديث رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » .

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا النبي ﷺ فذكر الغُلول فعظمه وعظم أمره قال : « لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول : يا رسول أغثني فأقول : لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت[1] فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول :

(١) الصامت : الذهب والفضة .

لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك ، أو على رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك »[1].

● وأخرج البخاري أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو ، قال : كان علي ثُقل النبي ﷺ رجل يقال له كِرْكَرة ، فمات فقال رسول الله ﷺ : « هو في النار » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلَّها[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى أتوا على رجل فقالوا : فلان شهيد ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كلا إني رأيته في النار في بردة غلَّها - أو عباءة » ثم قال رسول الله ﷺ : « يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » قال : فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[3].

● وأخرج الطبري رحمه الله من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقًا، فقال: «إياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء » قال : لا آخذه ولا أجيء به فأعفاه[4].

● وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ قال ﷺ: « .... فهلا جلس في بيت أبيه - أو بيت أمه - فينظر أيهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئًا إلا جاء به يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣) ، ومسلم (١٨٣١) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٤) .
(٣) أخرجه مسلم ، وأحمد (١/ ٣٠) .
(٤) أخرجه الطبري (التفسير ٨١٦٣) ، وفي رواية عنده : أن سعدًا قال : قد علمت يا رسول الله أني أُسأل فأعطي فأعفني ، فأعفاه .

يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تَيْعَر » ثم رفع بيده حتى رأينا عُفرة إبطيه « اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ثلاثًا »[1].

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [آل عمران : ١٦٢] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أفمن اتبع رضوان الله فلم يغل كمن رجع وهو غال.

وقيل : أفمن اتبع رضوان الله وتبع رسول الله ﷺ يوم أحد من المؤمنين كمن خالف أمره ونكص على عقبيه ورجع من المنافقين .

وقيل : إن الآية أعم من ذلك ففحواها لا يستوي الصالح مع الطالح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ هم درجات عند الله ﴾ [آل عمران : ١٦٣] وضح معناه .

ج : المعنى - والله أعلم - هم ذوو درجات عند الله ، والمراد أن أهل الإيمان متفاوتون في الدرجات ، وأهل الكفر متفاوتون في الدركات كذلك .

أما كون أهل الإيمان متفاوتين في الدرجات .

● فلقول النبي ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »[2].

● ولقوله عليه السلام : « إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٧) ، وأخرجه مسلم (١٨٣٢) .
(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

الكوكب الدري في أفق السماء »[1].

● ولقوله تعالى : ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ [طه : ٧٥] .

● ولقوله تعالى : ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ [الواقعة : ٧ - ١١] .

* * *

س : من المراد بالمؤمنين في قوله تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد عموم المؤمنين ، وهي كقوله : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ [فصلت : ٦] ، وكقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [الأنعام : ١٣٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها ﴾ [الروم : ٢١] .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالمؤمنين هنا العرب لقوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم ﴾ [الجمعة : ٢] ، وكقوله تعالى :

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٦ المسند) وفي الفضائل (١٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفي آخره : « وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » وإسناده حسن لشواهده ، وله طريق آخر عند الترمذي (٣٦٥٨) من حديث أبي سعيد أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » ، وأخرجه أحمد (٣/٢٧ و ٩٣) ، وأبو داود (٣٩٨٧) ، وابن ماجة (٩٦) ، وأبو يعلى (٢/٣٦٩) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١١٩٧٤) ، وهو صالح للشواهد فيستشهد به للحديث الأول والله أعلم .

﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، والقول الأول أولى – والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو وجه الامتنان في قوله تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم ... ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ؟

ج : وجه الامتنان من وجوه :

الأول : بعثة الرسول ﷺ من البشر .

الثاني : تلاوة الرسول ﷺ للآيات عليهم .

الثالث : تزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة بعد الضلال الذي كانوا فيه . والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٥] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه أحمد (١/ ٣٠)[1] مطولًا من حديث

---

(١) قال أحمد (المسند١/٣٠) : حدثنا أبو نوح قراد أنبأنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال : نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهم أين ما وعدتني اللهم أنجز ما وعدتني اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبدًا » قال : فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك عز وجل فإنه سينجز لك ما وعدك ، وأنزل الله عز وجل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف =

عمر رضي الله عنه وفيه ... فلما كان يوم أُحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكُسِرَتْ رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ [آل عمران : ١٦٥] بأخذكم الفداء .

* * *

= من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عز وجل المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلًا ، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ وعليًا وعمر رضي الله عنهم ، فقال أبو بكر : يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدًا ، فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » ، قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر رضي الله عنه ، ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريبًا لعمر فأضرب عنقه ، وتمكن عليًّا رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء ، فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه : غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما قال : فقال النبي ﷺ : « الذي عرض عليَّ أصحابك من الفداء لقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ إلى قوله ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم ﴾ [الأنفال : ٦٧ - ٦٨] » من الفداء ثم أحل الله لهم الغنائم ، فلما كان يوم أحدٍ من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرَّ أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ ، وكُسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله تعالى ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ... ﴾ [آل عمران : ١٦٥] الآية بأخذكم الفداء .

وإسناده حسن .

س : قوله تعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ما هي المصيبة التي أصيب بها المؤمنون ، وما هما المثلان اللذان أصابهما المؤمنون ؟

ج : أما المصيبة التي أصيب بها المؤمنون فهي قتل سبعين منهم يوم أحد ، وشج رأس نبيهم ﷺ .

أما المثلان اللذان أصابهما المؤمنون ، ففيهما قولان :

● القول الأول : وهو قول الجمهور أن المراد أنه كما قتل من المسلمين يوم أحدٍ سبعون ، فقد قتلوا هم يوم بدرٍ سبعين وأسروا سبعين من المشركين .

● القول الثاني : أنهم انتصروا يوم بدر ، وانتصروا أيضًا يوم أحد في أول المعركة .

والقول الأول أقوى ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ أنى هذا ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – من أين حدث لنا هذا ونحن مؤمنون ، ومعنا رسول الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء ، وديننا دين الحق ، وعدونا كافر بالله مكذب بلقائه .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنكم أنتم المتسببون فيه لأنفسكم بما ارتكبتموه من معاص ، وبما فعلتموه من مخالفة أمر نبيكم ﷺ .

* * *

س : تسليط قومٍ على قومٍ يكون بإذن الله ، وكف يدِ قومٍ عن قوم يكون بإذن الله أيضًا اذكر من الكتاب والسنة ما يؤيد ذلك ؟

ج : الآيات والأحاديث على ذلك كثيرة منها :

● قول الله تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ [آل عمران : ١٦٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ [النساء : ٩٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ [المائدة : ١١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ [الفتح : ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ [الحشر : ٦] .

أما الأحاديث فكثيرة نذكر منها :

● قصة سارة عليها السلام لما دخلت على جبار من الجبابرة (وقد قيل له ها هنا رجل معه امرأة من أحسن النساء، فأرسل إلى إبراهيم عليه السلام فجيء به وبها ... الحديث) ومد يده لتناولها، فقالت : اللهم كف يد الكافر فأُخذ فقال لها : ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق[1]... الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وواحدة في شأن سارة فإنه =

● ومنها الغلام (الذي ورد ذكره في قصة الملك والراهب والساحر وأصحاب الأخدود) أخذوه ليلقوه من فوق شاهق فرجف الجبل بهم وأنجاه الله ، وأخذوه ليلقوه في اليم فرجف بهم البحر فأغرقهم الله وأنجاه[1].

● ومنها قول النبي ﷺ لعمر في شأن ابن صياد : « إن يكن الذي ترى – أي : الدجال – فلن تستطيع قتله »[2].

❋ ❋ ❋

= قدم أرض جبار ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه ، فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأُتي بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ففعلت ، فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين ، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي فلكِ الله أن لا أضرك ففعلت وأطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر .

قال : فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف ، فقال لها : مهيم ، قالت : خيرًا كف الله يد الكافر وأخدم خادمًا .

قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

والحديث أخرجه البخاري مختصرًا مرفوعًا (٥٠٨٤) ومطولًا موقوفًا (٣٣٥٨) .

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ، ففر الصبيان وجلس ابن صياد ، فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك ، فقال له النبي ﷺ : « تربت يداك أتشهد أني رسول الله ؟ » فقال : لا ، بل تشهد أني رسول الله ، فقال عمر بن الخطاب : ذرني يا رسول حتى أقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله » .

• ومنها محاولة الدجال قتل الرجل الذي هو من خيار الناس (أو خير الناس) فلا يستطيع قتله ولا يُسلط عليه[1].

• ومنها حديث جابر رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومةً ، فإذا رسول الله

---

(١) أخرج البخاري (٧١٣٢) ، ومسلم (٢٩٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال ، فكان فيما يحدثنا به أنه قال : « يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو من خيار الناس – فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يُحييه ، فيقول : والله ما كنت فيك أشد بصيرةً مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » .

وفي رواية لمسلم من حديث أبي سعيد أيضًا مرفوعًا : « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ، فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذي خرج ، فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ، فيقول : ما بربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه ، قال : فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ ، قال : فيأمر الدجال به فيشج ، فيقول : خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربًا ، قال : فيقول أو ما تؤمن بي ؟ قال ، فيقول أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا ، قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه في النار وإنما ألقى به في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين » .

ﷺ يدعونا ، قال : عنده أعرابي فقال : « إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ثلاثًا » ولم يعاقبه وجلس[1].

***

س : اذكر مثالًا للإذن الكوني القدري ومثالًا للإذن الديني الشرعي ؟

ج : أما مثال الإذن الكوني القدري ، فقوله تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ [آل عمران : ١٦٦] وكقوله تعالى : ﴿ وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

- أما الإذن الديني الشرعي فكقوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور : ٣٦] .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ادفعوا ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال منها :

- كثروا سواد المسلمين .
- رابطوا في الثغور دفاعًا عن ديار المسلمين .
- قاتلوا دفاعًا عن أعراضكم وحريمكم وأموالكم إن لم تروا القتال في سبيل الله . والله أعلم .

***

س : ما المراد بقول أهل النفاق : ﴿ لو نعلم قتالًا لاتبعناكم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – لو نعلم أنه يجري اليوم قتالٌ ما أسلمناكم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٠) ، ومسلم (ص ١٧٨٦ حديث ٨٤٣) .

لعدوكم ولا تركناكم له .

● وقيل المعنى لو نحسن القتال لقاتلنا معكم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة ذكر الأفواه في قوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ؟

ج : بعض العلماء يقول : إن هذا لتأكيد أن القول لم يصدر من القلوب بل صدر من الأفواه فقط كقوله تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي يقوله أهل النفاق بألسنتهم ، وما هو الذي تضمره قلوبهم ؟

ج : أما الذي يقولونه بأفواههم فهو نطقهم بالإيمان ، وبيان أنهم أنصار الله ، أما الذي تضمره قلوبهم فهو الكفر وعداوة الله ورسله والمؤمنين . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ﴾ [آل عمران : ١٦٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن المتخلفين عن الجهاد ، القاعدين عنه قالوا لأهل النفاق من إخوانهم وأمثالهم عن الذين قتلوا في سبيل الله : لو أطاعونا ما قتلوا .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ .. قل فادرءوا عن أنفسكم الموت

إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران : ١٦٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – إن كنتم تظنون أن القعود يسلم به الشخص وينجو به من الموت أو القتل ، فادفعوا عن أنفسكم الموت ، وردوه عنكم إن كنتم صادقين ، ولكن الموت لا بد وأنه آت إليكم ، ولو كنتم في بروج مشيدة .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ؟

ج : يوضح المعنى الإجمالي لهذه الآية ما أخرجه مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئًا[1]؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا[2].

---

(١) قال النووي رحمه الله (٥/١/٣٣) : قوله ﷺ : « فقال لهم الله تعالى هل تشتهون شيئًا » هذا مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم ، إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر ، ثم رغبهم في سؤال الزيادة ، فلم يجدوا مزيدًا على ما أعطاهم ، فسألوه حين رأوه أنه لا بد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ويبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى ، ويستلذوا بالقتل في سبيله تعالى . والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٨٧) .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يخبر الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار .

● وقال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ الذين قتلوا في سبيل الله ﴾ [آل عمران : ١٦٩] يعني : الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿ أمواتًا ﴾ يقول : ولا تحسبنهم يا محمد أمواتًا لا يحسون شيئًا ، ولا يتلذذون ، ولا يتنعمون ، فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي .

وقال ابن القيم رحمه الله (كما نقل عنه القاسمي ص١٠٣٦) : إن الله تعالى عزّى نبيه ﷺ وأولياءه عمن قُتل منهم في سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لهم بقوله : ﴿ ولا تحسبن ... ﴾ الآيات ، فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه ، وأنهم عنده وجريان الرزق المستمر عليهم ، وفرحهم بما آتاهم من فضله وهو فوق الرضا ، بل هو كمال الرضا ، واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم ، واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته وذكرهم سبحانه في هذه المحنة بما هو أعظم مننه ونعمه عليهم التي قابلوا بها كل محنة تنالهم وبلية تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة ، ولم يبق لها أثر البتة وهي منته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل إرساله إلى الهدى ، ومن الشقاء إلى الفلاح ، ومن الظلمة إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، فكل بلية ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدًّا في جنب الخير الكثير ، كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير ، وأعلمهم أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا ، وأنها بقضائه وقدره ليوحدوه ويتكلوا عليه ولا يخافوا غيره ، وأخبرهم بما له فيها من الحكم لئلا

يتهموه في قضائه وقدره ، وليتعرف إليهم بأنواع صفاته وأسمائه ، وسلَّاهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرًا وأعظم خطرًا مما فاتهم من النصر والغنيمة ، وعزاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوا فيه ، ولا يحزنوا عليهم ، فله الحمد كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله .

❋ ❋ ❋

س : هل حياة الشهداء عند ربهم حقيقية ؟

ج : نعم هي حقيقية ، ويشهد لذلك الآية الكريمة : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩].

ويشهد لذلك الأحاديث الواردة في فضل الشهداء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الشهادة في سبيل الله ؟

ج : هذه جملة من الأحاديث الواردة في ذلك .

● عن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال[(١)] : يغفر له في أول دفعة[(٢)] ويرى مقعده من الجنة ويجار[(٣)] من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر[(٤)] ، ويوضع على رأسه

---

(١) قال المباركفوري (تحفة الأحوذي ٣٠٣/٥) : قوله : « للشهيد عند ربه ست خصال » لا يوجد مجموعها لأحد غيره .

(٢) أي : الدفقة من الدم .

(٣) يجار : أي : يُحفظ ويأمن من عذاب القبر .

(٤) قال القاري: فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء : ١٠٣]، قيل: هو عذاب النار ، وقيل : العرض عليها ، وقيل : هو وقت يؤمر أهل النار بدخولها ، =

تاجُ الوقار الياقوتةُ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجةً من الحورِ[1] العين ، ويُشفع في سبعين من أقاربه »[1].

● عن البراء رضي الله عنه قال : أتى النَّبي ﷺ رجلٌ مُقنعٌ بالحديد . فقال : يا رسول الله ، أقاتل أو أسلم ؟ قال : « أسلم ثم قاتل » فأسلم ثم قاتل فقتل . فقال رسول الله ﷺ : « عمل قليلًا وأجر كثيرًا »[2] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تضمن[3] الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل »[4].

= وقيل : ذبح الموت فييأس الكفار من التخلص من النار بالموت ، وقيل : وقت إطباق النار على الكفار ، وقيل : النفخة الأخيرة ، لقوله تعالى : ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلَّا من شاء الله ﴾ [النمل : ٨٧] .

أعاذنا الله من ذلك كله برحمته وفضله ، ورزقنا الشهادة في سبيله آمين يا سميع يا مجيب .

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٣) وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وابن ماجة حديث (٢٧٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٨) ، ومسلم (١٩٠٠) من حديث البراء رضي الله عنه .

(٣) في رواية « انتدب » قال الحافظ ابن حجر (٩٣/١) : أي : سارع بثوابه وحسن جزائه ، وقيل : بمعنى أجاب إلى المراد ... إلى آخر ما ذكره رحمه الله .

(٤) رواية البخاري لهذا الحديث مفرقة ، جزء في موطن وآخر في موطن ، والحديث =

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء – وهي أم حارثة بن سراقة – أتت النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب[1] – فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء[2] . قال ﷺ : « يا أم حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى »[3] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمرو بن أقيش كان له ربًا في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه . فجاء يوم أحد فقال : أين بنو عمي ؟ قالوا : بأحد . قال : أين فلان ؟ قالوا : بأحد . قال : أين فلان ؟ قالوا : بأحد . فلبس لأمته[4] وركب فرسه ، ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا : إليك عنا يا عمرو . قال : إني قد آمنت . فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحًا ، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته : سليه حمية لقومك أو غضبًا لهم أو غضبًا لله ؟ فقال : بل غضبًا لله ولرسوله فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة[5] .

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خطب النبي ﷺ فقال :

= أخرجه البخاري (٣٦ وفي غير موضع) ، ومسلم (١٨٧٦) .

(١) قال الحافظ : « سهم غرب » أي : لا يعرف راميه ، أو لا يعرف من أين أتى ، أو جاء على غير قصد من راميه .

(٢) قال الخطابي : أقرها النبي ﷺ على قولها : « اجتهدت عليه في البكاء » فيؤخذ منه الجواز ، وتعقبه الحافظ بقوله : كان ذلك قبل تحريم النوح فلا دلالة فيه ، فإن تحريمه كان عقب غزوة أحد ، وهذه القصة كانت عقب غزوة بدر .

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) أي : درعه وسلاحه .

(٥) أخرجه أبو داود بإسناد حسن (حديث ٢٥٣٧) ، وهو موقوف ، لكن لا يقال من قبيل الرأي ، وانظر كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص٣٦٧ .

« أخذ الراية[1] زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له » . وقال : « ما يسرنا أنهم عندنا » . قال أيوب : (أحد رجال الإسناد) : أو قال : « ما يسرهم أنهم عندنا »[2] وعيناه تذرفان .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحوها ، فقلت : يا رسول الله أسهم لي ، فقال بعض بني سعيد بن العاص[3]: لا تسهم له يا رسول الله . فقال أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوقل . فقال ابن سعيد بن العاص : واعجبًا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ينعي عليَّ قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي ولم يهني على يديه[4]. قال : فلا أدري أسهم له أم لم يسهم له[5] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة »[6].

● عن أنس رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ أقوامًا من بني سليم

---

(١) وذلك في غزوة مؤتة . والحديث أخرجه البخاري (٣٠٦٣) ، والنسائي (٢٦/٤) .

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٧/٦) : « ما يسرهم أنهم عندنا » أي : لما رأوا من الكرامة بالشهادة ، فلا يعجبهم أن يعودوا إلى الدنيا ، كما كانوا من غير أن يستشهدوا مرة أخرى .

(٣) هو : أبان بن سعد .

(٤) قال الحافظ في الفتح : المراد منه قول أبان : أكرمه الله على يدي ولم يهني على يديه ، وأرتد بذلك ، أن النعمان استشهد بيد أبان فأكرمه الله بالشهادة ، ولم يقتل أبان على كفره فيدخل النار ، وهو المراد بالإهانة ، بل عاش أبان حتى تاب وأسلم وكان إسلامه قبل خيبر بعد الحديبية ، وقال ذلك بحضرة النبي ﷺ وأقره عليه .

(٥) والحديث أخرجه البخاري (٢٨٢٧) .

(٦) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وإسناده حسن .

إلى بني عامر في سبعين ، فلما قدموا قال لهم خالي : أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ ، وإلا كنتم مني قريبًا فتقدم فأمنوه ، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومأوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة ، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلًا أعرج صعد الجبل ، قال همام : وأراه آخر معه ، فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم ، فكنا نقرأ : أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ، ثم نسخ بعد[1] ، فدعا عليهم أربعين صباحًا ، على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله[2] .

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به[3] ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي ، فسمع صوت نائحة فقيل : ابنة عمرو - أو أخت عمرو - فقال: «لم تبكي ؟! أو لا تبكي ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها»[4] .

قلت لصدقة (القائل هو البخاري) : أمنه حتى رفع ؟ قال : ربما قاله .

أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

● عن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال

---

(١) أي : نسخ تلاوة ، ولكنه باق حكمًا .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) الذي يمثل به هو من تقطع أجزاؤه أو بعضها كأن يجدع أنفه أو تقطع أذنه أو مذاكيره أو تشق بطنه أو غير ذلك .

(٤) قال الحافظ في الفتح (١٦٣/٣) : فهذا الجليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يبكى عليه بل يفرح له بما صار إليه .

قلت : والبكاء بدون نوح ولا صياح ولا عويل أمر جائز ، وقد ذرفت عينا رسول الله ﷺ لما جاءه خبر قتل زيد وجعفر وابن رواحة رضي الله عنهم .

بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد ألا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] إلى آخر الآية .

أخرجه البخاري ومسلم .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينًا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري – جد عاصم بن عمر بن الخطاب – فانطلقوا حتى إذا كان بالهدأة[1]– وهو بين عسفان مكة – ذكروا لحي من هذيل يقال لهم : بنوا لحيان ، فنفروا لهم قريبًا من مائتي رجل كلهم رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب . فاقتصوا آثارهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد[2] وأحاط بهم القوم فقالوا : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدًا ، فقال عاصم بن ثابت أمير السرية : أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك ، فرموه بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة ، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق ، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا

---

(١) هو مكان على بعد سبعة أميال من عسفان . قاله ابن إسحاق .

(٢) الفدفد : الموضع المرتفع . قاله ابن كثير .

أوتار قسيهم فأوثقوهم ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر والله لا أصحبكم ، إن لي في هؤلاء لأسوة - يريد القتلى - وجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه ، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقيعة بدر ، فابتاع خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرًا ، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته ، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلة حتى أتاه قالت : فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال : تخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ، والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب ، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد بمكة ، وما بمكة من ثمر ، وكانت تقول : إنه لرزق من الله رزقه خبيبًا . فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : ذروني أركع ركعتين . ثم قال : لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتهما ، اللهم أحصهم عددًا :

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث ، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرىء قتل صبرًا ، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا . وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حيث حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف ، وكان قد قتل رجلًا من عظمائهم يوم بدر ، فبعث على عاصم مثل الظلة[1] من الدبر فحمته من رسولهم فلم

(١) قال الحافظ (فتح ٣٨٤/٧): الظلة بضم المعجمة: السحابة، والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة : الزنابير ، وقيل : ذكور النحل ، ولا واحد له من لفظه . =

يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئًا[1].

● عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال . فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » . ثم قال رسول الله ﷺ : « كيف قلت ؟ » . قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك »[2].

● عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجب ربنا عز وجل من رجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزم – يعني أصحابه– فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله عز وجل لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه »[3].

= قال : وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ، ولا يمكن من نفسه ولو قتل ، أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر ، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة فإذا أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن .

(١) أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي .

(٢) قال النووي رحمه الله (٥/١/٢٩) : فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين ، وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو : أن يقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر . ثم قال النووي رحمه الله : وأما قوله ﷺ : « إلا الدين » ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين ، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين ، وإنما يكفر حقوق الله تعالى . قلت : وهذا ما يؤيده الحديث التالي .

والحديث أخرجه مسلم والترمذي ، وهو صحيح .

(٣) أخرجه أبو داود بإسناد حسن .

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلًا قال : أين أنا يا رسول الله إن قتلت ؟ قال : « في الجنة » . فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل[1] .

أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعث رسولُ الله ﷺ بسيسة[2] عينًا[3] ينظر ما صنعت عير[4] أبي سفيان فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ قال : لا أدري ما استثنى بعض نسائه قال : فحدثه الحديث قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال : « إن لنا طلبة[5] فمن كان ظهره[6] حاضرًا فليركب معنا » ، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة ، فقال : « لا إلا من كان ظهره حاضرًا » فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : «لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » ، فدنا

---

(١) قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ٤٣/١/٥) : فيه ثبوت الجنة للشهيد ، وفيه المبادرة بالخير وإنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفس .

(٢) قال النووي رحمه الله (٤٤/١/٥) : وهو بسبس بن عمرو ، ويقال : ابن بشر من الأنصار من الخزرج ، يقال : حليف لهم .

(٣) عينًا : أي متجسسًا ورقيبًا .

(٤) هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره من الأمتعة . قاله النووي . وقال : قال في المشارق : العير هي : الإبل والدولب تحمل الطعام وغيره من التجارات ، قال : ولا تسمى عيرًا إلا إذا كانت كذلك .

وقال الجوهري في الصحاح : العير : الإبل تحمل الميرة وجمعها عيرات بكسر العين وفتح الياء .

(٥) أي : شيئًا نطلبه .

(٦) الظهر : الدواب التي تركب .

وفي قوله عليه السلام : « إن لنا طلبة » : استحباب التورية في الحرب وأن لا يبين الإمام جهة إغارته وإغارة سراياه ، لئلا يشيع ذلك فيحذرهم العدو ، ذكر ذلك النووي رحمه الله .

المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » ، قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض . قال : « نعم » . قال : بخ بخ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قولك بخ بخ » ، قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها . قال : « فإنك من أهلها » فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمرات هذه إنها لحياة طويلة، قال : فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل(١).

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل »(٢).

● عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من قاتل في سبيل الله عز وجل من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقًا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد ، ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها كالزعفران وريحها كالمسك ، ومن جرح جرحًا في سبيل الله فعليه طابع الشهداء »(٣).

---

(١) قال النووي رحمه الله (٤٦/١/٥) : فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة ، وهو جائز بلا كراهة عند جمهور العلماء .
والحديث أخرجه مسلم وأحمد .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة بإسناد صحيح .

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى »[١].

● عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك . فيقول : أي رب خير منزل. فيقول: سل وتمن . فيقول : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات ، لما يرى من فضل الشهادة »[٢].

● عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها ، قال : أما هذه الدار فدار الشهداء »[٣].

---

(١) في رواية للبخاري (٢٨١٧) « ... فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » .
قال ابن بطال : هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة ، قال : وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد ، فلذلك عظم فيه الثواب .
وقال النووي (شرح مسلم ٥/١/٢٤) : هذا من صرائح الأدلة في عظيم فضل الشهادة ، والله المحمود المشكور .
وأما سبب تسميته شهيدًا : فقال النضر بن شميل : لأنه حي ، فإن أرواحهم شهدت وحضرت دار السلام وأرواح غيرهم إنما تشهدها يوم القيامة . وقال ابن الأنباري : إن الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام يشهدون له بالجنة . وقيل : لأنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالى له من الثواب والكرامة . وقيل : لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه . وقيل : لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله . وقيل : لأن عليه شاهدًا بكونه شهيدًا وهو الدم . وقيل : لأنه ممن يشهد على الأمم يوم القيامة بإبلاغ الرسل الرسالة إليهم ، وعلى هذا القول يشاركهم غيرهم في هذا الوصف .
والحديث أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه أحمد والنسائي بإسناد صحيح .

(٣) هذا الحديث جزء من حديث طويل في رؤيا للنبي ﷺ رآها ثم قصها على =

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن »[1].

وأخرج أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، وفي قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا »[2].

❋ ❋ ❋

س : ورد في الحديث : « نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة » وورد في حديث ابن مسعود عن الشهداء : « أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ ، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل ... الحديث » فما هي مزية الشهداء على سائر المؤمنين ؟

ج : أجاب الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى على نحو هذا فقال : فأرواح الشهداء كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها

= أصحابه بعد صلاة الفجر ، وقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها آخر كتاب التعبير (حديث ٧٠٤٧) ومسلم والنسائي .

وفي هذا القدر فضيلة ظاهرة للشهداء وعلو منزلة دارهم وحسنها .

(١) أخرجه مسلم .

قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا : ذِكر الدَّين تنبيه على ما في معناه من الحقوق المتعلقة بالذمم كالغصب ، وأخذ المال بالباطل ، وقتل العمد وجراحه وغير ذلك من التبعات ، فإن كل هذا أولى ألا يغفر بالجهاد من الدَّين فإنه أشد ، والقصاص في هذا كله بالحسنات والسيئات حسبما وردت به السنة الثابتة .

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكأن الشهداء : منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ، ومنهم : من يكون على هذا النهر بباب الجنة ، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويُراح . والله أعلم .

تطير بأنفسها . والله أعلم .

***

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ؟

ج : سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس(١) رضي الله عنهما ، وفيه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طيرٍ خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتهوي إلى قناديل من ذهبٍ في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب شربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [آل عمران : ١٧٠] وما هو وجه استبشارهم ؟

ج : المعنى – والله أعلم – ما ذكره أهل العلم كالطبري وابن كثير وغيرهما . قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك تعالى ذكره : يفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٦٥) .

من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون أنهم إذا صاروا كذلك ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يعني بذلك : لا خوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ، ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها للخفض الذي صاروا إليه والدَّعة والزُّلفة .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي : الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند الله ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم ، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم .

● أما وجه استبشارهم ففيه ثلاثة أقوال ذكرها ابن الجوزي رحمه الله وهي :

الأول : أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء أخبر الشهداء بأني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم فاستبشروا وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة . قاله سعيد بن جبير .

الثاني : يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة يقولون : إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل . قاله قتادة .

الثالث : أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله ، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر بقدومه ، كما يستبشر أهل الغائب به . قاله السدي .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تُصعدون – لا تلوون – في أُخراكم – فأثابكم – أَمنة – يُبدون – برز – يبتلي – يمحص – تولوا – ضربوا في الأرض – غزًّى – تحشرون – فظًّا – غليظ القلب – انفضوا – يخذلكم – يغل – باء – مَنَّ – يتلو – يزكيهم – الحكمة – ضلال – مبين – أنَّى – ادرءوا – يستبشرون ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــــا
تُصعدون	الإصعاد هو السير في مستوى الأرض وبطون الأودية – وأصعد– أيضًا– إذا أَبعد في الذهاب وأَمعن فيه ، أما الصعود فهو الارتفاع على الجبال والسطوح والسلالم والدرج . فمعنى تُصعدون : تذهبون هاربين فارين من عدوكم . وقيل : الإصعاد والصعود بمعنى واحد ، والمعنى تصعدون في الجبل (أي فارين من عدوكم أيضًا) . والله أعلم .
لا تلوون	لا تعرجون ولا تلتفتون إلى أحد .
في أُخراكم	في آخركم ومن ورائكم .
فأثابكم	جازاكم .
أمنة	أمانًا ، وقيل : إن الأمنة تكون مع بقاء أسباب الخوف، والأمن يكون عند عدم تواجدها ، والمعنى

	أن المؤمنين نزل عليهم الأمن مع وجود عدوهم وأسباب الخوف أمامهم .
يُبدون	يُظهرون .
برز	خرج – ظهر .
يبتلي	يختبر .
يُمحص	يُطهر – يُنقي .
تولوا	فرُّوا – ولوا ظهورهم لعدوهم .
ضربوا في الأرض	سافروا .
غزًّى	خرجوا غزاةً .
تحشرون	تجمعون .
فظًّا	خشن الكلام – سيىء الخُلق – جافي .
غليظ القلب	قاسي القلب غير ذي رأفة ولا رحمة يعاملهم بجفاء وعنف .
انفضوا	انصرفوا – تفرقوا .
يخذلكم	يترك معونتكم ، فالخذلان ترك العون والقعود عن النصرة .
يَغل	فيها أقوال منها : يَخون (أي : يخون أصحابه فيأخذ شيئًا من الغنيمة خفيةً قبل قسمتها ، أو يعطي قومًا ويمنع آخرين مجاملة من عنده نفسه) فالغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل القسمة ، ومنهم من قال : يغل أي : يتهمه أصحابه ، ومن العلماء من قال : يغل : يخفي شيئًا من الوحي .

	والقول الأول أقوى وعليه الجمهور وهو الأولى .
باء	رجع – استحق .
مَنَّ	أنعم وأحسن .
يتلو	يقرأ ، ولها معان أُخر .
يزكيهم	يطهرهم من الذنوب والشرك ، وذلك بما يأمرهم به من معروف وما ينهاهم به عن منكر وما يأمرهم به من فعل الصالحات .
الحكمة	المراد بها هنا السُّنة .
ضلال	جهلٌ وغيٌّ وبُعدٌ عن طريق الصواب .
مبين	بينٌ واضح وظاهر وجليٌّ .
أنَّى هذا	من أين أصابنا هذا .
ادرءوا	أبعدوا – اصرفوا .
يستبشرون	يُسرون – يفرحون .

* * *

يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ
فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟
بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ
وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ
إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ
شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ
خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا
كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ
ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ
مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ

خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ
مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ
قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ
إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ
أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٧١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لا يبطل جزاء أعمال من آمن برسوله وصدقه واتبعه وعمل بما أمر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالاستبشارين في الآيتين ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ... ﴾ [آل عمران : ١٧٠] ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾ [آل عمران : ١٧١] ؟

ج : المراد بالاستبشار الأول : السرور لإخوانهم الذين سيقبلون عليهم ، والمراد بالثاني السرور لما سينالهم هم من فضل الله ونعمته .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنعمة والفضل في قوله تعالى : ﴿ بنعمة من الله وفضل ﴾ [آل عمران : ١٧١] ؟

ج : بعض أهل العلم يقول: النعمة هي الثواب والجزاء، والفضل هو الزيادة.

وبعض العلماء يقول : النعمة والفضل هي الرحمة والرزق ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [آل عمران: ١٧٠] وعقبه قوله تعالى : ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾ [آل عمران: ١٧١]، هل في ذلك السياق لطيفة ؟

ج.: نعم يورد بعض أهل العلم هنا لطيفة ألا وهي : أن الشهداء كان استبشارهم

الأول هو سرورهم من أجل إخوانهم القادمين عليهم ، والاستبشار الثاني هو فرحهم لأنفسهم فقدموا فرحتهم لإخوانهم على فرحتهم لأنفسهم، والله أعلم .

* * *

س : من هم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، اذكر اثنين منهم ؟

ج : هم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد[1] لما دعاهم النبي ﷺ إلى الخروج إليها لملاقاة عدوهم على ما بهم من ألم الجراح .

وكان منهم : أبو بكر والزبير رضي الله عنهما ، كما ورد في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٢] ، قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ ، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال : من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلًا منهم أبو بكر والزبير[2] .



---

(١) وأكثر الروايات الواردة في هذا الباب - رغم ما بها من مقال - تفيد أنها حمراء الأسد ، ومن العلماء من قال : إن هذه الاستجابة من الصحابة كانت من العام المقبل حيث تواعد أبو سفيان ورسول الله ﷺ موسم بدر للقاء فيه ، وتخلف أبو سفيان وسميت بدر الصغرى أو بدر الموعد ، ولم أقف لهذا على إسناد صحيح ، والوارد فيه ضعيف .
واختار ابن كثير رحمه الله أن الصحيح أن السياق نزل في شأن حمراء الأسد ، وكذلك اختاره الطبري أيضًا، وحمراء الأسد موطن، وسيأتي ذكره في سبب النزول .

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٧٧) ، ومسلم (٢٤١٨) .

س : هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ﴾ [آل عمران : ١٧٢] ؟

ج : لا أعلم لهذه الآية الكريمة سبب نزول سالمًا من العلل ، وقد ورد عند ابن أبي حاتم (كما عزاه إليه ابن كثير في التفسير) ، أثر من طريق عكرمة قال : لما رجع المشركون عن أُحدٍ قالوا : لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ، ارجعوا ؛ فسمع رسول الله ﷺ بذلك فندب المسلمون فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد – أو بئر أبي عيينة[1] فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله ﷺ فكانت تعد غزوة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٢] .

وقد اختلف في وصله وإرساله[2] .

وأشار الحافظ ابن حجر إلى أن الصواب إرساله[3] .

* * *

س : أليس كل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح قد أحسنوا ؟ فلماذا قيل في الآية الكريمة ﴿ .. للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٢] ؟

ج : إذا كان المراد أنهم أحسنوا في استجابتهم للرسول ﷺ لما دعاهم

---

(١) الشك من سفيان (أحد الرواة) .

(٢) فرواه محمد بن عبد الله بن يزيد عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسًلا ، ورواه محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس متصلًا .

(٣) قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ،كتاب التفسير ٨/٧٧) : ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس .

وقد أصابهم القرح فنعم كلهم قد أحسنوا في ذلك وتكون (من) ، في قوله : ﴿ منهم ﴾ ، للتبيين .

ولكن قد يقال : إن من هؤلاء المستجيب لله والرسول قومًا محسنين معروفين بالإحسان قبل الغزوة أصلًا ، ومتقين كذلك ، فأضيف إلى إحسانهم وتقواهم استجابة لنداء رسول الله ﷺ فاستجابوا له مع ما بهم من قرح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأذكار التي يقولها من خاف قومًا أو من خوَّفه قوم ؟

ج : من هذه الأذكار : قول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) فقد قال الله سبحانه : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾[1] [آل عمران : ١٧٣،١٧٤] .

وما ورد في قوله تعالى : ﴿ فخرج منها خائفًا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ [القصص : ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿ ..إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ [براءة : ٤٠] .

---

(١) ورد في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ، أخرجه البخاري (٤٥٦٣) .

● وفي رواية أخرى للبخاري (٤٥٦٤) عن ابن عباس قال : كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار « حسبي الله ونعم الوكيل » .

وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس : ٨٣ - ٨٦] .

ومن هذه الأذكار أيضًا قول (اللهم اكفِنيهم بما شئت)[١].

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى هنا : ﴿ واتبعوا رضوان الله ﴾ [آل عمران : ١٧٤] ؟

ج : المراد - والله أعلم - أنهم اتبعوا طاعة رسول الله ﷺ التي بها يرضى الله عز وجل عنهم .

❋ ❋ ❋

س : ماذا حدث للمؤمنين لما فوَّضوا أمرهم إلى الله عز وجل ؟

ج : أعطاهم الله عز وجل من الجزاء أربعة .

● نعمة منه سبحانه[٢]، وفضل[٣]، وصرف السوء واتباع الرضا فرضَّاهم عنه ورضي عنهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) فقد قالها الغلام الذي ورد ذكره في حديث الملك والساحر والراهب والغلام وأصحاب الأخدود . أخرجه مسلم (١٨/١٣٠) .

وثمَّ حديث آخر في هذا الباب ، وفيه كلام وهو حديث : « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » .

(٢) وهي العافية فلم يلقوا عدوهم .

(٣) وهو ما منَّ الله به عليهم من ثواب في الدارين .

س : قد يطلق العام في القرآن الكريم ويُراد به الخاص ، اذكر مثالًا لذلك ؟

ج : مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ [آل عمران : ١٧٣] فالناس عامة لكن أريد بها هنا الخصوص ، فالمقول لهم ناس (وهم رسول الله ﷺ والمؤمنون) ، والقائلون ناس (وهم إما أهل نفاق أو بعض الأعراب) ، والذين جمعوا لهم ناس (وهم المشركون آنذاك أبو سفيان وأصحابه) ، ومثال آخر قوله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] .

فالمحسودون ناس وهم رسول الله ﷺ ، والحُسَّد ناس وهم أهل الكتاب والمنافقون وأهل الشرك والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هناك نعمة من الله قلما يلتفت إليها الناس ويولونها الشكر وهي نعمة كف الأذى عن المؤمنين ، اذكر ما يؤيدها من الكتاب العزيز ؟

ج : نعم وما أعظمها من نعمة وهي كف أيدي الظالمين عن أهل الإيمان ، قال الله تعالى :

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم ﴾ [المائدة : ١١] .
- وقال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ [النساء : ٩٠] .
- وقال سبحانه : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة ﴾ [الفتح : ٢٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة على زيادة الإيمان ؟

ج : الأدلَّة على ذلك كثيرة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فزادهم إيمانًا ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ﴾ [الفتح : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا ﴾ [براءة : ١٢٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

● وقال سبحانه : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم ﴾ [محمد : ١٧] .

● وقال تعالى : ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ﴾ [المدثر : ٣٣] .

● ومن السنة : قول رسول الله ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إلـٰه إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إلـٰه إلا الله وفي قلبه وزن برةٍ من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إلـٰه إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير »[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وكذلك أخرجه مسلم (ص١٨٢) .

س : ما المراد بالشيطان في قوله تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان ... ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ؟

ج : فريق من أهل العلم يقول : إن المراد بالشيطان الشيطان نفسه باعتبار ما يصدر منه من الوسوسة المقتضية للتثبيط .

● وقيل : المراد الشيطان باعتبار ما يلقيه على لسان أتباعه من المنافقين فيتكلمون به لتثبيط المؤمنين .

● وقيل : المراد بالشيطان هنا شيطان من شياطين الإنس ، قيل : إنه نعيم بن مسعود .

● والقول الأول أعم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يخوف أولياءَه ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● يخوفكم بأوليائه[١] كقوله تعالى : ﴿ لينذر بأسًا شديدًا ﴾ [الكهف : ٢] أي : لينذر ببأسٍ ، وكقوله تعالى : ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ [غافر : ١٥] أي : لينذر بيوم التلاق .

والمعنى : أن الشيطان يوهمكم أن أولياءَه ذوو قوة وبأس شديد ، وذوو عددٍ وعُدد لِترهبوهم وتتركوا حربهم .

● ومنها : يخوفكم من أوليائه .

---

(١) صح عن قتادة (عن ابن جرير الطبري في التفسير ٨٢٥٦) أنه قال : يخوِّف والله المؤمن بالكافر ويرهب المؤمن بالكافر .

● وقيل : يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين يسارعون في الكفر وما هي صفة مسارعتهم فيه ؟

ج : المسارعون في الكفر فيهم أقوال ، منها :

● أنهم المشركون ، ومسارعتهم في الكفر تتمثل في تسارعهم في الأعمال المقوية للكفر كالتهيؤ لقتال النبي ﷺ ومحاربة دينه وشرعه .

● وقيل : إنهم المنافقون شهدوا بألسنتهم ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم سارعوا في الردة إلى الكفر بعد إيمانهم .

● وقيل : هم قوم من اليهود كتموا صفة محمد ﷺ .

قلت : ولا يمتنع أن يدخل كل المذكورين في الآية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٧٦] ، **ردٌّ على المعتزلة وضح ذلك ؟**

ج : نعم فيه رد على المعتزلة ، فالمعتزلة يقولون : إن الشر لا يقع بإرادة الله فكذّبوا في ذلك ، وقال سبحانه : ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٧٦] ، ونحو هذه الآية قوله تعالى : ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا ﴾ [المائدة : ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿ ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء ... ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

❋ ❋ ❋

س : قال بعض أهل العلم : إن الحزن على كفر الكافر طاعة ، والحزن على معصية العاصي طاعة، بمعنى : أن المسلم يحزنه أن يرى العاصي يعصي الله عز وجل، ويحزنه أن يرى المسلم يرتد عن دينه إلى الكفر، فكيف يُنهى عن هذه الطاعة في قوله تعالى: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ [آل عمران : ١٧٦] ؟

هذه الطاعة في قوله تعالى : ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم إن المنهي عنه - والله أعلم - هو الإفراط في الحزن على كفر الكافر ومعصية العاصي ، كما قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] وكقوله تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ... ﴾ [الكهف : ٦] .

وقيل قولٌ آخر وهو : أن المعنى : لا تخف أن يضرك كفر الكافرين ولا كيد الكائدين . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لن يضروا الله شيئًا﴾ [آل عمران: ١٧٦]؟

ج : المراد - والله أعلم - جملة أقوال ذكرها العلماء منها :

- لن ينقصوا من ملك الله عز وجل شيئًا بكفرهم[١].
- أنهم لن يضروا أولياء الله عز وجل شيئًا .
- الثالث أن المعنى جارٍ على ظاهره ، والله أعلم .

---

(١) كما جاء في حديث أبي ذر في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا » .

س : ما هو سبب مسارعة المسارعين إلى الكفر ؟

ج : سببها- والله أعلم - طمعهم في الدنيا ، وقبل ذلك إرادة الله عز وجل ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة، فلذلك خذلهم الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقول الله تعالى ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئًا ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران : ١٧٧] ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في معناها : يعني بذلك جل ثناؤه : المنافقين الذين تقدم إلى نبيه ﷺ فيهم أن لا يحزنه مسارعتهم إلى الكفر ، فقال لنبيه ﷺ : إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه ، ورضوا بالكفر بالله وبرسوله عوضًا من الإيمان لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن إيمانهم شيئًا ، بل إنما يضرون بذلك أنفسهم بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قِبَلَ لها به . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

ج : المعنى - والله أعلم - لا يظن هؤلاء الكفار أن تأخيرنا لهم في هذه الحياة الدنيا خيرٌ لهم ، ولكن تأخيرنا لهم وإطالتنا أعمارهم في هذه الحياة الدنيا ؛ ليكتسبوا معاصي فيزدادوا آثامًا مع آثامهم ويحملوا أوزارًا مع أوزارهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ؟ وضح معنى هذه الآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم في تحديد المخاطب بالآية أقوال :

● منها : أن المخاطب هم المشركون ، والمعنى : ما كان الله ليترك أهل الإيمان على ما أنتم يا أهل الكفر من كفر وشقاق وعداوة النبي ﷺ حتى يُفرِّق بين المؤمن والمنافق بما يلقيه من ابتلاءات ومحن وشدائد وقتل وجراح .

● ومنها : أن المخاطب هم المؤمنون ، والمعنى : ما كان الله ليذركم يا أهل الإيمان على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين حتى تأتيكم المحن فيفرِّق بينكم وبين أهل النفاق وتعلموا - بما يسوقه الله من ابتلاءات - المؤمن الصابر من المنافق الفاجر ، والله تعالى أعلم .

● وثمَّ قول آخر : أن الخطاب للمشركين ، والمعنى : ما كان الله ليذر ما في أصلابكم ممن كتب الله له الإيمان في أصلابكم حتى يفصل بينكم وبين أولادكم المؤمنين الموجودين في أصلابكم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، في ثنايا الآية الكريمة ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أن الله عز وجل أراد أن يخبركم بأهل الإيمان منكم وأهل النفاق ، وجرت حكمته وسنته ألا يطلع أحدًا على الغيب فيقال له : هذا مؤمن وهذا منافق (إلا من اجتباهم من الرسل) ، فأراد الله عز وجل أن يطلعكم على أهل الإيمان وأهل النفاق بطريقة غير الاطلاع على الغيب ، وهذه الطريقة هي الابتلاءات والمحن التي بها تتعرفون على مؤمنكم من المنافق الموجود معكم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، يجتبيهم هنا بماذا ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن المراد بالاجتباء هنا : الاجتباء بالاطلاع على بعض الغيب فيختار الله عز وجل بعض رسله لإطلاعهم على بعض غيبه بإذنه سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا ﴾ [الجن : ٢٦ و ٢٧] .

وقال بعض العلماء : إن المراد بالاجتباء : اختبار من يشاء من الرسل لتفضيلهم على غيرهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسله ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، هل فيه إيماء إلى شيء ؟

ج : نعم – والله أعلم – فيه إرشاد إلى التصديق وعدم التشوف إلى علم الغيب ، والمعنى – والله أعلم – لا تشتغلوا بما لا يعنيكم من محاولة معرفة الغيب والاطلاع عليه ، فليس لكم سبيل إلى ذلك ،ولكن اشتغلوا بما يعنيكم من الإيمان والتصديق ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الفرق بين الشح والبخل ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : الشح والبخل بمعنى واحد .

وبعضهم يقول :

البخل : هو الامتناع من إخراج ما حصل عندك .

والشح : الحرص على تحصيل ما ليس عندك .

وقيل : الشح هو البخل مع حرص . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالبخل في قوله تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ؟

ج : جمهور العلماء على أن المراد بالبخل هنا : هو البخل بالمال الواجب على الإنسان إخراجه ، وممن منع ما ليس بواجب عليه فليس ببخيل يستحق الوعيد الشديد الوارد في الآية الكريمة .

وبعض أهل العلم يقول : إن المراد بالبخل هنا : البخل بالعلم ؛ إذ العلم فضل أيضًا كما قال تعالى : : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] ، فاليهود كتموا صفة النبي ﷺ..

والقول الأول أقوى وعليه الأكثر ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ ، وما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك وسيأتي إن شاء الله .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: لا يحسبن البخيل أن جمعه المال وبخله بإخراج الواجب عليه فيه ينفعه، بل هو مضرة عليه في أُخراه ، بل وفي دنياه أيضًا . والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ؟

ج : أخرج البخاري[1] في صحيحه ما يوضح معنى الآية الكريمة ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث ٤٥٦٥) .

وذلك بما رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثل له ماله شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوِّقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، إلى آخر الآية .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآثار والأحاديث والآيات الواردة في ذم البخل وبيان سوء عاقبة البخيل ؟

ج : أما الآيات فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ٣٧] .

● وقوله سبحانه : ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتولَّ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ [الحديد : ٢٣ و ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : ٣٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث ٤٥٦٥) .

ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [براءة : ٧٥ - ٧٧] .

● وقال تعالى ﴿ ... وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل : ٨ - ١٠] .

● ولما انطلق أصحاب الجنة متخافتين يقولون : لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أصبحت قريتهم كالصريم .

● وقال تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر : ٩] .

أما أحاديث النبي ﷺ فكثيرة في هذا الباب ، منها :

● قوله عليه الصلاة والسلام : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا »[1].

● وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أهل النار كل جعظري جوَّاظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون »[2].

● وقال النبي ﷺ : « وشر ما في رجل شح هالع وجبن خالع »[3].

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣٠٤) ، ومسلم (٧/٩٥ مع النووي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢١٤) ، والحاكم في المستدرك (٢/٤٩٩) بإسناد حسن من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٠٢) ، وأبو داود (٣٥١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

• وقال النبي ﷺ : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من ثُديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تُخفي بنانه[1] . وتعفو أثره[2] . وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع »[3] .

• وقال رسول الله ﷺ : « من سيدكم يا بني سلمة ؟ قلنا : جدُّ بن قيس على أنا نبخِّلُهُ » قال : « وأي داءٍ أدوأ من البخل ؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح »[4] .

وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية ، وكان يولم عن رسول الله ﷺ إذا تزوَّج .

• وقال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك وإن تمسكه شرٌّ لك ولا تُلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى »[5] .

• وثبت في عدة أحاديث أن النبي ﷺ كان يتعوذ من البخل[6] .

---

(١) أي : تكون طويلة حتى تغطي أصابعه .

(٢) أي : تكون طويلة حتى تلحق بالأرض وتمحو أثر خطاه .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣٠٥) ، ومسلم (٧/١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث (٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا . وإسناده صحيح .
وقد رواه الحاكم في مستدركه (٣/٢١٩) ، (٤/١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، لكن فيه : «بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور » .
وقوله : « وأي داء أدوى من البخل » أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح ٩/٩٥) موقوفًا على أبي بكر رضي الله عنه .

(٥) أخرجه مسلم (٧/١٢٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٦) منها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يأمر بهؤلاء الكلمات ويحدثهن =

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[1].

● وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ... » الحديث ، وفيه : « يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي... » الحديث[2].

= عن النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر » أخرجه البخاري (١١/١٧٨ مع الفتح) ، ومسلم (٨/٢٥٦ مع النووي) .

ومنها : حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل » أخرجه البخاري (١١/١٧٩) ،ومسلم (مع النووي ١٧/٢٩) .

ومنها : حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » . أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٤١) .

(١) أخرجه مسلم (١٦/١٣٤ مع النووي) .

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (مع النووي ١٦/١٢٥) .

قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟!! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يا رب كيف أسقيك =

● وقال النبي ﷺ : « من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يُطوِّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ [آل عمران : ١٨٠][1].

● وقال النبي ﷺ : « لا يأتي رجل مولى له يسأله من فضلٍ عنده فيمنعه إلا دعي له يوم القيامة شجاع أقرع يتلمظ فضله الذي منع »[2].

● وقال رسول الله ﷺ : « يكون كنز أحدهم يوم القيامة شجاعًا أقرع يفرُّ منه صاحبه فيطلبه ويقول : أنا كنزك ، قال : والله لن يزال يطلبه حتى يبسط يده فيلقمها فاه »[3] وقال رسول الله ﷺ : « إذا ما رب النعم لم يُعطِ حقها تسلَّط عليه يوم القيامة فتخبط وجهه بأخفافها » .

وقال رسول الله ﷺ : « من ترك بعده كنزًا مُثل له شجاعًا أقرع له زبيبتان يتبعه فيقول : من أنت ويلك ، فيقول : أنا كنزك الذي خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده »[4].

وقد تقدمت بعض الأحاديث في هذا الباب في أوائل هذه السورة المباركة فراجعها إن شئت .

= وأنت رب العالمين ؟!! قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي » .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٢٦٨) ، والنسائي (٥/٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٥/٥) ، والنسائي (٥/٨٢) من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا ، وإسناده حسن .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢/٣٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) صحيح وقد أخرجه أبو يعلى رحمه الله (نقلًا من تفسير ابن كثير ١/٤٣٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا .

أما الآثار ، فمنها :

عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال أعرابي : أخبرني عن قول الله :﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [التوبة : ٣٤] قال ابن عمر رضي الله عنهما : (من كنزهما فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال)[1].

● وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ قال : شجاع يلتوي برأس أحدهم[2].

● وعن الأحنف بن قيس قال : (جلست إلى ملإ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ، ثم قال : بشر الكانزين برضفٍ يحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ثم ولَّى فجلس إلى سارية ، وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو ، فقلت له : لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت ، قال : إنهم لا يعقلون شيئًا ، قال لي خليلي ، قال قلت : من خليلك ؟ قال النبي ﷺ : « يا أبا ذر أتُبصر أُحدًا ؟ » قال فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له ، قلت : نعم قال : « ما أحب أن لي مثل أُحدٍ ذهبًا أُنفقه كله إلا ثلاثة دنانير » وإن هؤلاء لا يعقلون ، إنما يجمعون الدنيا ، لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله)[3].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٧١/١٣) ، وابن ماجه (١٧٨٧) .

(٢) أخرجه الطبري (٤٣٦/٧) بإسناد صحيح إلى ابن مسعود .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٧١/٣) ، ومسلم (٩٩٢) .

س : الرضا بالمعصية يُعد معصية ، اذكر ما يؤيد ذلك من كتاب الله عز وجل ؟

ج : الدليل على ذلك قوله تعالى :﴿ سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾ [آل عمران : ١٨١] فالمخاطبون ما قتلوا نبيًّا ، ولكن أسلافهم من اليهود هم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق ، وهؤلاء أقروهم ورضوا بأفعالهم فنُسب القتل إليهم .

وهذا أيضًا كقوله تعالى : ﴿ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها ﴾ [الشمس : ١٤ و ١٥] فالذي عقر الناقة واحد ولكن القبيلة (ثمود) أقروه على ذلك فنسب الذنب إليهم جميعًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم القائلون : ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران : ١٨١]؟

ج : هم اليهود ، وقد أطبق المفسرون على ذلك ، وجاء في بعض الآثار أنهم قالوا ذلك لما نزلت آية[1] الصدقة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : على أي أساس نُصب (قتلَهم) في قوله تعالى : ﴿ وقتلهم الأنبياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] ؟

ج : نُصب على المفعولية أي : وسنكتب قتلهم الأنبياء .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ [آل عمران: ١٨١]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ذلك بما اقترفتموه من ذنوب سالفة وافتراءات على الله وقتل لرسل الله .

❋ ❋ ❋

---

(١) أعني قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

س : هل عهد الله عز وجل إلى اليهود أن لا يؤمنوا لنبي حتى يأتيهم بقربان تأكله النار ؟

ج : الذي نستطيع أن نجزم به أن هذا العهد، وإن وجد لا يتطرق إلى نبينا محمد ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: « وأحلت لي الغنائم »، ثم بعد ذلك نقول : إن بعض أهل العلم قال : هذا كذب من اليهود في دعواهم ﴿ إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ [آل عمران : ١٨٢] ، ومنهم من قال : إن ذلك كان ثابتًا في التوراة لكنه كان مثبتًا فيها باستثناء عيسى ومحمد عليهما السلام فأخفى اليهود هذا الاستثناء والله تعالى أعلم[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : الاشتراك في المصيبة في الحياة الدنيا قد يهونها ، ولكن في الآخرة لا ينفع هذا الاشتراك ، وضح هذا بأدلته ؟

ج : ذكر الله سبحانه وتعالى قصص الأنبياء الصالحين مع أممهم وأذى أقوامهم لهم وحث نبيه ﷺ على الصبر كما صبروا ، فقال سبحانه : ﴿ فاصبر كما صبر أولواْ العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وقال

---

(١) وفي هذا الباب أخرج البخاري (٣١٢٤) ، ومسلم (١٧٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجلٌ ملكَ بُضْعَ امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمَّا يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها ، ولا آخر ، اشترى غنمًا أو خَلفات وهو ينتظر ولادها ، فغزا فدنًا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحُبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم فجاءت – يعني النار– لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولًا فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يدُ رجل بيده فقال : فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ، ثم أحلَّ الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » .

عز وجل : ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ [آل عمران : ١٨٤]، وقال تعالي : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم ﴾ [فاطر : ٢٥] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كلٌّ كذب الرسل فحق وعيد ﴾ [ق : ١٣و١٤] إلى غير ذلك من الآيات، فإن كان مشركو قريش قد كذبوا وأُوذيت منهم فقد كذبت أمم من قبلهم وأُوذى منهم أنبياؤهم كذلك ، فاصبر كما صبر إخوانك من الرسل .

● وقال النبي ﷺ لفاطمة : « يا بنية إنه قد حلَّ بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا .. ».

وقد قالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يكون مثل أخي ولكن أعزي النفس معهم بالتأسي

أما في الآخرة فلا ينفع الاشتراك في العذاب ، فإن الله سبحانه يقول : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ [الزخرف: ٣٩].

* * *

س : الموت شيء لا بد منه ، اذكر من الآيات ما يؤيد ذلك ؟

ج : أما الآيات على ذلك فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

● قوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ [النساء : ٧٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [الزمر : ٣٠] .

● وقوله تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ [الجمعة: ٨].

● وقال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٦ و ٢٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ .. ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾ [المؤمنون: ١٥] .

● وقال تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ [السجدة : ١١] .

***

س : ما المراد بمتاع الغرور في قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ؟

ج : أما المتاع فقال جمهور المفسرين ما حاصله : إنه ما يتمتع به الإنسان وينتفع به ثم يزول ولا يبقى .

والغُرور قيل : هو مصدر من قول القائل غرني فلان فهو يغُرُّني غرورًا بضم الغين ، وأما إذا فتحت الغين من الغَرور فهو صفة للشيطان الغَرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته . قاله الطبري ، وقال أيضًا ﴿ إلا متاع الغرور ﴾ يقول إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فأنتم تتلذذون بما متعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره ، يقول تعالى ذكره ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها فإنما أنتم منها في غرور تمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون انتهى .

● وجاء في الغرور أقوال مختصرة منها : الغرور : الباطل ، ومنها : أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمنيه من طول البقاء .

وذكر بعض المفسرين عن سعيد بن جبير أنه قال: هي متاع الغرور لمن

لم يشتغل بطلب الآخرة ، فأما من يشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها . والله أعلم .

* * *

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

جمعوا لكم – فاخشوهم – حسبنا الله – نعم الوكيل – انقلبوا – نعمة من الله – وفضل – حظًّا في الآخرة – نُملي – مُهين – الخبيث – الطيب – الحريق – قربان – البينات – الزبر – الكتاب المنير – زحزح ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــــا
جمعوا لكم	جهزوا لكم الجيوش وجمعوا لكم الجموع .
فاخشوهم	احذروهم وخافوهم فإنه لا طاقة لكم بهم .
حسبنا الله	كافينا الله .
نعم الوكيل	نعم الموكل إليه .
انقلبوا	رجعوا .
نعمة من الله	عافية من الله إذ لم يلقوا عدوًّا .
فضل	تجارة وربح ومزيد ثواب .
حظًّا في الآخرة	نصيبًا من الثواب فيها .
نُملي	الإملاء: الإطالة في العمر والإنساء (التأخير) في الأجل، ومنه قول آزر لإبراهيم ﴿ واهجرني مليًّا ﴾ [مريم: ٤٦]

	أي : طويلًا ، وقول عمر عليه السلام : (ثم انطلق فلبثت مليًّا) .
مهين	مُذل مُخزي .
الخبيث	المنافق .
الطيب	المؤمن .
الحريق	نار محرقة ملتهبة .
قربان	البر الذي يُتقرب به إلى الله فقد يكون حُليًّا أو متاعًا أو نحو ذلك ، وقد يكون صلاة ونحو ذلك لحديث : « الصلاة قربان » .
البينات	الحجج والبراهين القاطعة - الدلالات الواضحات .
الزبر	الكتب المتلقاة من السماء ، فالكتب المزبورة أي : المكتوبة .
الكتاب المنير	البيِّن الواضح الجلي المضيء .
زحزح	أُبعد وتنحى .



○ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟
أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ
أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ
فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾
لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟
فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ
ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ
فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ
﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم

مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن

دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ

وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ

عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦

مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ

رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ

أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠

س : ما هو وضع اللام في قوله تعالى : ﴿ لتبلون ﴾ [آل عمران : ١٨٦]؟

ج : بعض أهل العلم يقول : هذه اللام هي لام القسم ، والمعنى : والله لتبلون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة الابتلاء في المال وفي النفس ؟

ج : أما صورة الابتلاء في المال فتتمثل في :

- ذهابه ونقصانه .
- ما فرض الله فيه من الزكوات والحقوق هل تؤدى إلى أهلها أم لا .
- ماذا من وراء هذا المال هل من ورائه البطر والأشر وكفران النعم ، أم من ورائه الشكر والحمد .

أما صورة الابتلاء في النفس فتتمثل في :

- المصائب أو الجراح والقتل .
- ما فرض على الشخص من عبادات وجهاد وكلمة حق ونحو ذلك .
- الأمراض والأسقام .
- المصيبة بالأحباب والعشائر والأقربين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور الأذى التي يسمعها المؤمنون من أهل الكتاب ومن الذين أشركوا ؟

ج : من صور هذا الأذى قول اليهود : عزيز ابن الله ، وقولهم : يد الله مغلولة ، وقولهم : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقولهم – مع النصارى –: نحن أبناء الله وأحباؤه، إلى غير ذلك ، وكذلك يسمعون من النصارى قولهم :

المسيح ابن الله ، وقولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، وقولهم : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وطعن هؤلاء وأولئك في رسول الله ﷺ .

● ومن صور الأذى التي تسمع من الذين أشركوا قولهم في رسول الله ﷺ : (ساحر - شاعر - مجنون - كذاب) إلى غير ذلك من الافتراءات ، وطعنهم في أزواجه ﷺ وطعنهم في أصحابه كذلك .

وقد ورد في هذا الباب حديث أسامة بن زيد[1] رضي الله عنهما وفيه أنه قال : إن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فَدَكِيَّة وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أُبي ابن سلول ، وذلك قبل أن يُسلم عبد الله بن أُبي ، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله بن أُبي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبِّروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أُبي ابن سلول : أيها المرء إنه لأ أحسن مما تقول إن كان حقًّا فلا تؤذينا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون ، فلم يزل النبي ﷺ يُخفضهم حتى سكنوا ، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ : « يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أُبي - قال كذا وكذا » ، قال سعد بن عبادة : يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البُحيرة على أن يتوجوه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٦) ، ومسلم (مع النووي ١٥٧/١٢) .

فيعصبونه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرِق بذلك ، فذلك فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصطبرون على الأذى ، قال الله عز وجل : ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦] وقال الله : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾ إلى آخر الآية [البقرة : ١٠٩] ، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش ، قال ابن إبي ابن سلول ومن معه من المشركين : هذا أمرٌ قد توَّجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالصبر في قوله تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من قال : إن المراد بالصبر هنا ترك المؤاخذة والمقابلة بالإساءة ، فيمر المؤمن باللغو مرور الكرام ويسمع أذاه بأذنه ويتغاضى عن ذلك ؛ لأنه أقرب إلى دخول المخالف في الدين ، كما قال الله تعالى : ﴿ فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] ، وكما قال تعالى : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كرامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون ﴾ [الجاثية : ١٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم ﴾ [فصلت: ٣٤]، وكما قال سبحانه : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ [الأحقاف : ٣٥] إلى غير ذلك .

● ومن العلماء من يرى أن المراد بالصبر هنا : الصبر على مجاهدتهم والإنكار عليهم ، والصبر على التمسك بدينكم رغم طعن الطاعنين فيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : هم اليهود والنصارى .

الثاني : هم اليهود خاصة .

الثالث : هم كل العلماء .

❋ ❋ ❋

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ؟

ج : في هذا قولان للعلماء :

فمنهم من قال : هذا يرجع إلى الكتاب ، فقوله : ﴿ لتبيننه ﴾ أي : لتبينن الكتاب .

ومنهم من قال : إن الضمير يرجع إلى محمد ﷺ ، والمعنى : لتبينن صفة محمد ﷺ وشأنه ولا تكتموا من ذلك شيئًا .

● والقول الأول أعم : لأنه يدخل فيه القول الثاني ، ولا شك أن الذين أُوتوا الكتاب مأمورون بتبيين كل الكتاب وعدم كتمانه .

❋ ❋ ❋

س : كيف أخذ الله الميثاق من الذين أوتوا الكتاب ؟

ج : أُخذ الميثاق منهم على لسان أنبيائهم عليهم السلام .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه ﴾ [آل عمران : ١٨٧] هل ينسحب على علماء هذه الأمة أيضًا ؟

ج : نعم ينسحب على علماء هذه الأمة أيضًا ، وهذا قول أكثر أهل العلم ، وأخرج الطبري بإسناده إلى قتادة رحمه الله قال في هذه الآية : هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم ، فمن علم شيئًا فليعلمه ، وإياكم وكتمان العلم فإن كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين[١] ، كان يقال : (مثُل علمٍ لا يُقال به كمثل كنزٍ لا ينفق منه ، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب) وكان يقال : (طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واعٍ) هذا رجل علم علمًا فعلَّمه وبذله ودعا إليه ورجل سمع خيرًا فحفظه ووعاه وانتفع به .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم[٢] فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئًا ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ قال : « من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نارٍ »[٣] .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٨٣٢٤) بإسناد حسن إلى قتادة رحمه الله ، وقوله: كان يقال، لا يدرى من قائله .

(٢) أي : مسلك الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم .

(٣) له طرق متعددة عن رسول الله ﷺ ، وإن كانت مفرداتها لا تخلو من مقال إلا أن بعض أهل العلم صححه بمجموع طرقه ، والله أعلم .

● وقال الرازي في تفسيره : اعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مختصًّا باليهود والنصارى فإنه لا يبعد أيضًا دخول المسلمين فيه ؛ لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى: ﴿ واشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أنهم أخفوا الحق وكتموه حفاظًا على جاههم ورئاستهم فخشوا إن أظهروا صفة محمد ﷺ أن تنتقل الرئاسة منهم إلى غيرهم وأن تذهب دنياهم ووجاهتهم فيها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ [آل عمران : ١٨٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● أن قومًا من اليهود كانوا يفرحون بما أتوه من أنواع الخبث والغش والتلبيس على ضعفة المسلمين ويحبون أن يُحمدوا بأنهم أهل برٍّ وتقوى وصدق وديانة وعفاف .

● أنهم يحرفون نصوص التوراة ويفسرونها بتفسيرات باطلة ، ويروجونها عند الرعاع ، ويحبون أن يحمدوا من الرعاع على ذلك .

● وانظر ما سيأتي من أسباب نزول الآية الكريمة .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ولا مانع أن تكون الآية نزلت في كل ذلك أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح

بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٨] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون .. ﴾ الآية[آل عمران : ١٨٨] فقال ابن عباس: مالكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ كذلك حتى قوله ﴿يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ .

* * *

س : ما معنى أتوا [3]؟ وما هو الذي أتوه ؟

ج : أتوا معناها فعلوا كقوله تعالى : ﴿ واللذان يأتيأنها منكم ﴾ [النساء : ١٦] والذي أتوه فيه جملة أقوال منها :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٧) .

(٢) وأخرج البخاري أيضًا (٤٥٦٨) من طريق علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان امرىء فرح بما أُوتي وأحب أن يُحمد بما لم يعمل مُعذبًا لنعذبن أجمعون .

(٣) تنبيه : ورد في الآية قراءة أخرى وهي (آتوا) بالمد ومعناها (أعطوا) .

- أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق .
- تبديلهم التوراة .
- إيثارهم الفاني من الدنيا على الثواب .
- إضلالهم الناس .
- اجتماعهم على تكذيب رسول الله ﷺ .
- نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده .
- اتفاقهم على محاربة رسول الله ﷺ .
- تخلفهم عن الغزوات .

س : اذكر حديثين في ذم المتشبع بما لم يُعط ؟

ج : الحديث الأول هو قول رسول الله ﷺ : « من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة »[1] والثاني قوله ﷺ : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور »[2] .



(١) أخرجه مسلم ص ١٠٤ من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه مرفوعًا وكذلك أخرجه البخاري (٦٠٤٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (٢١٣٠) ، من حديث أسماء رضي الله عنها قالت : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن لي ضرة فهل عليَّ جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور » .
ولة طرق أخرى عن النبي ﷺ .

س : هذه الآيات العشر من آخر سورة آل عمران ﴿ إن في خلق السموات ... ﴾ [آل عمران : ١٩٠] ثبت أن النبي ﷺ قرأها في موطن فما هو ؟

ج : ثبت أن النبي ﷺ قرأها لما استيقظ لصلاة الليل ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونة - وهي خالته - قال : فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ في طولها حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران[1] ثم قام إلى شنٍّ معلقةٍ فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي ... الحديث[2] .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ومعنى الآية يقول تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ أي : هذه في ارتفاعها واتساعها ، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها ، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص ، ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ أي : تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذي كان طويلًا ، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم ، ولهذا

---

(١) في بعض الروايات نص عليها فقال : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ... ﴾ .

(٢) أخرجه البخاري (٣/٧١ مع الفتح) ، ومسلم (مع النووي ١٧/٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

قال : ﴿ لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران : ١٩٠] أي : العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليانها .

● وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : وهذا احتجاج من الله عز وجل على قائل ذلك[١]، وعلى سائر خلقه بأنه المدبر المصرِّف الأشياء والمسخر ما أحب ، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس واعتبروا فيما أنشأته وخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون في هذا لمعاشكم وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم معتبر ومُدَّكر وآيات وعظات ، فمن كان منكم ذو لُب وعقل يعلم أن من نسبني إلى أني فقير وهو غني ، كاذب مفتر ، فإن ذلك كله بيدي أقلبه وأُصَرِّفه ولو أبطلت ذلك لهلكتم ، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش - ما في السموات والأرض - بيده وإليه ، أم كيف يكون غنيًّا من كان رزقه بيد غيره إذا شاء رزقه وإذا شاء حرمه ، فاعتبروا يا أولي الألباب .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالذكر في قوله تعالى : ﴿ .. الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم .. ﴾ [آل عمران : ١٩١] ؟

ج : لأهل العلم أقوال في ذلك :

● فمنهم من قال : إن المراد بالذكر هنا : (عموم الذكر) .

● ومنهم من قال : إن المراد بالذكر هنا : الصلاة .

● ومنهم من قال : إن المراد بالذكر هنا : الخوف .

أما القول الأخير فلا وجه له عندي هنا ، والقول الثاني خاص ، وأعمها

---

(١) يعني : الذي قال : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

وأولاها القول الأول ، إذ هو ظاهر الكتاب العزيز ، والثاني داخلٌ فيه ، والله أعلم .

***

س : هل يشرع للرجل أن يذكر الله عز وجل مضطجعًا ؟

ج : نعم يُشرع ذكر الله عز وجل مضطجعًا ؛ لقول الله عز وجل : ﴿ الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ﴾[1] [آل عمران: ١٩١].

ولقول الله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم .. ﴾ [النساء : ١٠٣] .

ولقول النبي ﷺ : « صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى جنب »[2].

● ولقول عائشة رضي الله عنها : (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[3].

وقال النبي ﷺ : « من تعار[4] من الليل فقال : لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله،

---

(١) أخرج الطبري (٨٣٥٥) بإسناد ثابت إلى قتادة قوله : ﴿ الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ﴾ وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يُسرًا من الله وتخفيفًا .

(٢) أخرجه البخاري (١١١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال : « صل قائمًا ... » الحديث .

(٣) أخرجه مسلم (٦٨/٤ مع النووي) .

(٤) التعار : هو اليقظة مع صوت ، وذكر البعض أنه الاستيقاظ ، وذكر آخرون أنه التقلب على الفراش ليلًا مع كلام .

ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي - أو دعا - استجيب ، فإن توضأ قبلت صلاته »[1] .

✵ ✵ ✵

س : في قوله تعالى : ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١] محذوف دل عليه السياق ما هو هذا المحذوف ؟

ج : المحذوف هو قوله : (قائلين) والمعنى : ويتفكرون في خلق السموات والأرض قائلين : ربنا ما خلقت هذا باطلًا ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : وضح المعنى الإجمالي لقول أولي الألباب : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٩١] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي : ما خلقت هذا الخلق عبثًا ، بل بالحق لتجزي الذين أساءوا بما عملوا ، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا : ﴿ سبحانك ﴾ أي : عن أن تخلق شيئًا باطلًا ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ أي : يا من خلق الخلق بالحق والعدل يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث قنا عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا ، ووفقنا لعملٍ صالح تهدينا به إلى جنات النعيم وتجيرنا به من عذابك الأليم .

✵ ✵ ✵

(١) أخرجه البخاري (٣/٣٩ مع الفتح) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا .

س : قال أولو الألباب : ﴿ ... إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ، وقال سبحانه : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ... ﴾ [التحريم : ٨] ، ومن المسلمين من يدخل النار ثم يخرج كما في حديث المفلس وغيره فكيف نجمع بين الآيتين مع الحديث ؟

ج : أجاب بعض العلماء على هذا بأن حملوا قوله تعالى : ﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ على المخلدين فيها .

وبعض العلماء أطلق الآية الأولى في المخلدين وغيرهم ، ولكن عنده الخزي نسبي ، ثم يزال الخزي عن الموحدين إذا خرجوا من النار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ [آل عمران : ١٩٢] ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أن المراد بالظالمين هنا المشركون ، وذلك لثبوت الشفاعة في أهل التوحيد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو المنادي الذي ينادي للإيمان في قول أولي الألباب : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا يُنادي للإيمان .. ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ؟

ج : لأهل العلم قولان في ذلك :

أحدهما : أنه الرسول ﷺ ، وعليه الأكثر .

الثاني : أنه القرآن الكريم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى اللام في قوله تعالى : ﴿ للإيمان ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ؟ اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : اللام هنا بمعنى (إلى) كقوله تعالى : ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ [الزلزلة : ٥] أي : أوحى إليها ، وكقول المؤمنين : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف : ٤٣] أي : إلى هذا .

❋ ❋ ❋

س : طلب أولو الألباب من ربهم عز وجل أولًا ثلاثة أشياء وهي مغفرة الذنوب ، وتكفير السيئات ، والوفاة مع الأبرار ، اشرح المراد بكل منها ؟

ج : اعلم أولًا : أن الغفران : هو الستر والتغطية ، والتكفير : كذلك هو التغطية ، فالمعنى اللغوي للغفران والتكفير قريب جدًّا ، بل قد يتحد ، أما ما هو وجه دعائهم بقولهم : ﴿ اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] فللعلماء فيه أقوال :

● منها : أنهما بمعنى واحد وهو طلب محو الخطايا ، والتكرير إنما هو للإلحاح في الطلب وللتأكيد عليه ، فالمقام مقام دعاء ، ويستحب الإلحاح في الدعاء .

● الثاني : أن المراد بالذنوب هنا الكبائر ، والمراد بالسيئات الصغائر ، كما قال تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ [النساء : ٣١] .

● الثالث : المراد بالذنوب هي الذنوب التي تقدمت وسلفت ، والمراد بالسيئات هي الذنوب التي ستأتي .

● الرابع : أن المراد بالغفران ما يزول بالتوبة والاستغفار ، والمراد بالكفران ما تكفره الطاعة العظيمة .

● الخامس : أن الذنب ما ارتكبه الشخص مع علمه بكونه معصية ، والسيئة هي التي فعلت مع الجهل بكونها معصية وذنبًا .

أما قولهم : ﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ، فالأبرار أولًا قيل : هم الأنبياء والصالحون ، ومعنى قولهم توفنا مع الأبرار : اقبضنا إليك إذا قبضتنا في عداد الأبرار واحشرنا معهم ، وقيل : ألحقنا بالصالحين ، وقيل : وفقنا للعمل بأعمالهم حتى نحشر معهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : (الأبرار)[١] قد تأتي بمعنى عام وقد تأتي بمعنى أضيق ، وضح ذلك ؟

ج : تأتي الأبرار أحيانًا بمعنى واسع وهو : (الصالحون) ، فيكون معنى الأبرار : الصالحين، أو جمع (بَرٍّ) وهم الذين برُّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضي عنهم ، وأحيانًا تأتي بمعنى أضيق وهم أنهم أصحاب اليمين ، كما قال تعالى : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورًا عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا ﴾ [الإنسان: ٥و٦]، كما قال سبحانه : ﴿ ومزاجه من تسنيم عينًا يشرب بها المقربون ﴾[٢] [المطففين : ٢٧ و ٢٨] .

فالأبرار هنا هم أصحاب اليمين يشربون من كأس ممزوجة (مخلوطة) من تسنيم ، والتسنيم يشربها المقربون ، فالمقربون يشربون من التسنيم صرفًا (خالصة) وتمزج هذه العين لأصحاب اليمين مزجًا ، والله أعلم .

---

(١) وأصلها من الاتساع مأخوذ من البرِّ .

(٢) مطلع الآيات : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم ... ﴾ [المطففين : ٢٢ - ٢٨] .

س : ما المراد بقولهم: ﴿وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ [آل عمران: ١٩٤]؟

ج : الأظهر أن المراد ربنا وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك عليهم الصلاة والسلام .

وثمَّ قول آخر وهو : ربنا وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، والله أعلم .

* * *

س : قد علم أولو الألباب أن ربهم عز وجل لا يخلف الميعاد فما هو وجه قولهم : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [آل عمران : ١٩٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها : أن الله عز وجل أعلمهم على ألسنة رسله عليهم السلام أنه ناصرهم ومُعزهم ومُعلي دينه وكلمته فسألوا ربهم عز وجل أن ينجز لهم ما وعدهم عاجلًا غير آجل ، فكأنهم قالوا : قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجِّل خزيهم وانصرنا عليهم .

● الثاني : أنهم قالوا : إنك لا تخلف الميعاد من باب سؤال الله عز وجل بصفاته وأفعاله كما يقول القائل : اشفني أنت الشافي .

● الثالث : أنهم دعوا بهذا الدعاء على جهة العبادة والخضوع ، كما قال : ﴿ قال رب احكم بالحق ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق .

● الرابع : أن الله سبحانه وعد من آمن بالجنة فسألوا أن يكونوا ممن وُعد بذلك دون الخزي والعقاب .

وقريب منه ما ذكره الطبري حيث قال : قال بعضهم : ذلك قول خرج

مخرج المسألة ومعناه الخبر ، قالوا : وإنما تأويل الكلام ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، قالوا : وليس ذلك على أنهم قالوا : (إن توفيتنا مع الأبرار فأنجز لنا ما وعدتنا) ؛ لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد ، وأن ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ، ولكنه تفضل بابتدائه ثم ينجزه .

والذي اختاره ابن جرير نحو القول الأول الذي قدمناه، أي : لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم فعجل لهم[1] خزيهم ولنا الظفر عليهم .. والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ بعضكم من[2] بعض ﴾ [آل عمران : ١٩٥] ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ بعضكم من بعض ﴾ فيه أقوال منها :

- رجالكم مثل نسائكم في ثواب الطاعة .
- بعضكم من بعض في الموالاة والنصرة في الدين كما قال : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ [براءة : ٧١] .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجري الأنهار من تحت الجنات ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : تجري من تحتها ، أي : من خلالها ، وبعضهم يقول : تجري من تحتها ، أي : من تحت قصورها .

---

(١) أي : لأهل الكفر .

(٢) قيل : إن (من) في قوله تعالى : ﴿ من بعض ﴾ بمعنى الكاف فيكون المعنى بعضكم كبعض .

س : اذكر حديثًا في فضل : (الذين قاتلوا في سبيل الله وأوذوا في سبيله) ؟

ج : أخرج الطبري رحمه الله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين تُتقى بهم المكاره ، إذا أُمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت ، وهي في صدره ، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة ، فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأُوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب ، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : (ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ، فيقول الرب جل ثناؤه : هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي) ، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [الرعد : ٢٤] »[١] .

❋ ❋ ❋

س : على المسلم أن يكون كيسًا فطنًا عاقلًا ورعًا ، لا يغتر بما عليه أصحاب الدنيا من دنياهم ، فكل ذلك ذاهب لا مفر وزائل لا محالة ، والباقيات الصالحات خير عند ربك من ذلك كله ، والمتاع الذي يعيش فيه الكافر إنما هو إلى حين ، اذكر من الآيات ما يوضح ذلك ؟

ج : الآيات في هذا الباب كثيرة نورد منها :

● قول الله تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ [المؤمنون : ٥٥ و ٥٦] .

---

(١) أخرجه الطبري (٨٣٧٠) .

• وقال تعالى : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلًا من عند الله وما عند الله خير للأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٦ - ١٩٨] .

• وقال تعالى : ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾ [غافر : ٤] .

• وقال تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران : ١٤] .

• وقال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

• وقال تعالى : ﴿ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ [يونس : ٦٩ و ٧٠] .

• وقال تعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف : ٣٣ - ٣٥] .

• وقال سبحانه - عن قارون - : ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون إنه لذو حظٍّ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه

من دون الله وما كان من المنتصرين ... ﴾ [القصص : ٧٩ - ٨١] .

● وقال تعالى : ﴿ نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ [لقمان : ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا ﴾ [الطارق : ١٧] .

● وقال تعالى : ﴿ أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ [القصص : ٦١] .

● وقال تعالى : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ [الأعراف : ١٨٢] .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ﴾ [آل عمران : ١٩٦] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - : لا تغتر بما فيه الكفار من سلامة في أسفارهم ورجوعهم وأرباح في تجارتهم وترقيهم في مناصبهم واستمتاعهم بدنياهم ، فكل ذلك متاع فانٍ زائل يُمتعون به ، ثم مأواهم إلى النار ، هي مثواهم وبئس المصير .

* * *

س : من أهل الكتاب طائفة مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر وهم أهل الكتاب الذين آمنوا بنبينا محمد ﷺ .

اذكر بعض الآيات الدالة على ذلك ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم

وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ - ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧ - ١٠٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون ﴾ [المائدة : ٨٢] .

ومن هؤلاء عبد الله بن سلام ، والنجاشي ، وعدي بن حاتم الطائي رضي الله عنهم وغيرهم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أصل معنى الرباط ، وما معنى ﴿ ورابطوا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؟

ج : أصل الرباط : أن يربط كل فريق من المتحاربين خيله أو إبله بالثغر استعدادًا للآخر . ومعنى : ﴿ ورابطوا ﴾ أي : أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم فيها كما يربطها أعداؤكم . وسيأتي في ذلك مزيد إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ اصبروا ﴾ ففيه أقوال منها :

● اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا لرخاء ، فلا تدعوه لخوف ولا لفقر ولا لجوع ولا لنقصٍ في الأنفس والثمرات ولا يطغيكم الغنى كذلك فتنصرفوا عن دينكم، ويلتحق بهذا الصبر على فرائض الله عز وجل وأوامره .

● ومنها : (اصبروا) على البلاء والأمراض .

● ومنها : (اصبروا) على لقاء العدو .

والذي يظهر لي أن كل هذا يدخل في قوله تعالى : ﴿ اصبروا ﴾ ، والله أعلم .

● أما قوله تعالى : ﴿ وصابروا ﴾ أي : صابروا عدوكم فغالبوهم في الصبر على شدائد الحروب ولا تهنوا في ابتغائهم .

وقيل : صابروا عدوكم أي : نازلوهم وقاتلوهم .

فإن قيل : فهذا المعنى يدخل في قوله : ﴿ اصبروا ﴾ فيجاب بأن هذا من باب عطف الخاص على العام كما قال تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

• أما قوله تعالى : ﴿ ورابطوا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] : المرابطة هي المرابطة على الثغور لدفع شر الأعداء وحفظ بيضة المسلمين .

وقيل : إن المراد بالمرابطة : انتظار الصلاة بعد الصلاة لحديث : « .. وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط »[1] .

•• وقيل : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ اصبروا ﴾ كل ما يتعلق بك وحدك من صبر على التكاليف وصبر على البلاء وصبر على الجهاد و ...

﴿ وصابروا ﴾ كل ما كان مشتركًا بينك وبين غيرك .

﴿ ورابطوا ﴾ المرابطة : الاحتراز عن الأخلاق الذميمة ، والمحافظة على الأخلاق الحميدة .

••• وقال البعض : اصبروا على النعماء ، وصابروا على البأساء والضراء ، ورابطوا في دار الأعداء ، واتقوا إله الأرض والسماء ؛ لعلكم تفلحون في دار البقاء ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

• قول رسول الله ﷺ : « كُلُّ الميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وفي رواية : « فذلكم الرباط فذلكم الرباط » .

ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويُؤمن من فُتان القبر »[١].

● وقول رسول الله ﷺ : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهرٍ وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأُجري عليه رِزْقُهُ وأمن الفُتَّان »[٢].

● وقول النبي ﷺ : « .. طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة ففي الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع »[٣].

● وقول النبي ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها »[*].

● وعن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه قال : إنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا[٤] السير حتى كانت عشية فحضرت صلاة عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارسي فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة[٥] آبائهم بظُعُنِهِم[٦] وَنَعَمهِم[٧] وشائِهم[٨] اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله » ثم قال :

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه مرفوعًا .
(٢) أخرجه مسلم والنسائي من حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا .
(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .
(*) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .
(٤) أطنبوا أي : أسرعوا السير فتعبت بعض الإبل، من قوله: أطنب في الكلام إذا بالغ فيه .
(٥) أي : جاءوا جميعًا لم يتخلف منهم أحد .
(٦) الظعن : المراد بهن النساء .
(٧) النعم : المراد بها الإبل .
(٨) جمع شاة .

« من يحرسنا الليلة ؟ » قال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله ، قال : « اركب » فركب فرسًا له وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : « استقبل هذا الشِّعب حتى تكون في أعلاه ولا تُغرَّن (ولا يُغَرَّن)[1] من قِبَلِكَ » فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة ، فجعل رسول الله ﷺ يُصلي وهو يلتفت إلى الشِّعب حتى إذا قضى صلاته وسلَّم فقال : « أبشروا فقد جاء فارسكم » فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فسلم وقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحت اطلعت الشعبتين كليهما فنظرت فلم أر أحدًا ، فقال رسول الله ﷺ : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مُصليًا أو قاضيًا حاجة[2]، فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجبت[3] فلا عليك أن لا تعمل بعدها »[*].

❋ ❋ ❋

(❋) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه .

(١) أي : لا يأتينا العدو من ناحيتك على غفلة أو غرة .

(٢) المراد بالحاجة هنا : البول أو الغائط .

(٣) أي : لا ضرر عليك ولا جناح عليك في ترك العمل النفل بعد هذه الحراسة ؛ لأ تكفيك لدخول الجنة (أي : مع الفرائض الأخرى) . والله أعلم .

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
لتبلون - من عزم الأمور - نبذوه - أتوا - مفازة - باطلًا - سبحانك - أخزيته - أولي الألباب - لا تخزنا - استجاب - نزلًا - خاشعين لله ؟

ج :

الكلمة	معناها
لتبلون	لتختبرن .
من عزم الأمور	من صواب التدبير الذي لا يشك في ظهور الرشد فيه ، أو مما يجب أن تقدموا عليه ؛ لما فيه من كمال المزية والشرف .
نبذوه	النبذ هو الطرح ، ونبذوه وراء ظهورهم أي : بالغوا في طرحه وإهماله وتجاهله .
أتوا	فعلوا - كقوله تعالى : ﴿ واللذان يأتيانها منكم ﴾ [النساء : ١٦] ، وكقوله تعالى : ﴿ لقد جئت شيئًا فريًّا ﴾ [مريم : ٢٧] .
مفازة	منجاة .
باطلًا	عبثًا .
سبحانك	تنزيهًا لك .
أخزيته	أهنته وأذللته وأظهرت خزيه أمام الجمع ، وقيل المعنى : فضحته .

أولي الألباب	أصحاب العقول السديدة الراجحة .
استجاب	أجاب .
نزلًا	ضيافة – ثوابًا – رزقًا .
خاشعين لله	متواضعين لله .

❋ ❋ ❋

الخاتمة

بهذا ينتهي ما تيسر من أسئلة وأجوبة تتعلق بسورة آل عمران ، أسأل الله عز وجل أن ينفعني بها والإسلام والمسلمين والمسلمات ، وأن يجعلها في موازين أعمالنا يوم نلقاه ، ولا أنزه نفسي عن الخطأ فمن وجد خطأ فليُسد النصح وجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء .

وأسأل الله أن يجعل القرآن لنا شفيعًا ، ولقلوبنا ربيعًا ، ولأبداننا شفاءً ، ولأسقامنا دواءً ، وأن يجعل هذه السورة المباركة مع سورة البقرة غمامتين أو غيايتين من طيرٍ صواف تحاج عنا يوم القيامة .

ونسأله سبحانه أن يتقبلنا بقبول حسن ، ويتجاوز عن جهلنا وتقصيرنا وخطئنا وعمدنا وإسرافنا في أمرنا ، ويغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا ، ونسأله عز وجل أن يُعز بعزته الإسلام والمسلمين ، وأن يرفع رايتهم دائمًا عالية خفاقة فوق كل الرايات ، وأن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم على الحق والخير إن ربي سميع الدعاء ، وإنه لغفور رحيم .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله/ مصطفى العدوي